الجزء الأول **المجلد الثامن والثمانون**

مجلّة مجمع اللغة العربية بدمشق

«مجلّة المجمع العلميّ العربيّ سابقًا»

مجلّة محكّمة فصليّة

ربيع الأوّل ١٤٣٦هـ

كانون الثّاني ٢٠١٥م

يصدر المجلد ٨٨ من المجلة حاملاً التاريخ "كانون الثاني ٢٠١٥" لأن المجلة توقف إصدارها عامي ٢٠١٣ و ٢٠١٤

مجلةُ مجمعِ اللغةِ العربيةِ بدمشق

« مجلَّة المجمع العِلميِّ العَربيِّ سابقًا »

أُنشئَت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١م

المُدير المسؤول: الدكتور مروان المحاسني، رئيس المجمع

لجنة المجلة

الدكتور محمود السيِّد «رئيس التحرير»

الدكتور عبد الله واثق شهيد	الدكتور مكي الحسني الجزائري
الدكتور مازن المبارك	الدكتور ممدوح خسارة
الدكتور محمد محفِّل	الدكتور عيسى العاكوب
الدكتور عبد الإله نبهان	الدكتور أنور الخطيب
الدكتور أحمد قدور	الدكتور محمد سعيد الصفدي

أمينة المجلة: ريم الملَّاح

أغـراض المجلـة:

- إن أغراض المجلة مستمدة من أغراض المجمع الواردة في قانونه ولائحته الداخلية، وأبرزها:
المحافظة على سلامة اللغة العربية، وجعلها وافية بمطالب الآداب والعلوم والفنون، وملائمةً لحاجات الحياة المتطورة، ووضع المصطلحات العلمية والتقنية والأدبية والحضارية، ودراستها وفق منهج محدد، والسعي لتوحيدها في الأقطار العربية كافة.

خطـة المجلـة وشـروط النشـر فيهـا:

- أن يُرفق الكاتب بحثَه بالسيرة الذاتية والعنوان البريدي والإلكتروني، مع تعهد بأن البحث غير مستلٍّ من أطروحة جامعية، وغير منشور من قبل، ولم يُرسَل إلى جهة أخرى.
- ألَّا يقلَّ البحث عن عشر صفحات و ألَّا يزيد على ثلاثين صفحة من صفحات المجلة، وعدد الكلمات في الصفحة الواحدة لا يزيد عن (٢٠٠) كلمة. أما المقالات فيُقبَل منها ما يقلّ عن عشر صفحات.
- أن يخلو البحثُ من أي إساءة إلى الكتّاب والباحثين أو غيرهم، وأن يحترم المعتقدات الدينية والفكرية للشعوب.
- أن تكون البحوث والمقالات المرسلة إلى المجلة منضدة، وأن تشفع بقرص مدمج مسجلة عليه، أو مرسلة بالبريد الإلكتروني.
- أن يلتزم الباحث المنهجَ العلميَّ في التوثيق، فتُعطى الحواشي أرقاماً متسلسلة من بداية البحث حتى نهايته، وتذكر حواشي كل صفحة في أسفلها كما يلي:
((اسم المؤلف أو الكاتب - اسم الكتاب أو المجلة - رقم الصفحة)).

أما المصادر والمراجع فتكتب في آخر البحث وفق الترتيب الهجائي كما يلي:
((اسم المؤلف أو الكاتب - اسم الكتاب أو المجلة - دار النشر ومكانها - رقم الطبعة - سنة الطبع)).

- تُوضع الكلمات العربية (أو المعربة) قبل مقابلها الأجنبي عند ورودها أول مرة، نحو:
تِقانة (Technology)، حاسوب (Computer)، نفسيَّة (Psychologic).
- من الضروري أن يُعنى الكاتب بعلامات الترقيم: النقطة، الفاصلة، إلخ....
- تَنشر المجلة البحوث والمقالات التي ترد إليها بعد أن تخضع للتقويم السِّرّي.
- تُرتَّب البحوث والمقالات وفق اعتبارات فنية.
- البحوث والمقالات التي لا تُنشر لا تردّ إلى أصحابِها.
- ترسل البحوث والمقالات إلى المجلة على العنوان:

العنوان البريدي: دمشق ص. ب ٣٢٧. البريد الإلكتروني: E-mail: mla@net.sy

تُنشر المجلة في موقع المجمع على الشابكة (الإنترنت): www.arabacademy.gov.sy

فهرس الجزء الأول

مِن المجلَّدِ الثَّامن والثَّمانين

البُحوثُ والدِّراسات

مساراتٌ مجمعية	د. مروان المحاسني	٩
مقاربةٌ في الدرس الصرفي النحوي: التركيبُ المزجيّ- تحقيقه وإعرابه	د. ممدوح خسارة	٢٧
دون كيخوته والموريسكيون	د. عبد النبي اصطيف	٤٩
دلالةُ اللون في شعر أبي تمام الحربي	د. زينت ريحاني	٧٩
نظراتٌ في قرارات مجمعية	د. محمد عبده فلفل	١٠٧

التَّعريفُ والنَّقد

إعرابُ « لاسيما » وفوائد أخرى تأليف الشيخ حسين بن محمد البالي الغزي	د. إبراهيم عطية	١٢٣
« المعاصرون » للأستاذ محمد كرد علي والمدرسة الريحانية	د. مازن المبارك	١٣٥

المقالاتُ والآراء

صفحةٌ لغة: ﴿ الرَّحمٰن الرَّحِيم ﴾	د. مكي الحسني	١٤٩

المحاضَرات

مسيرةُ العدد عبر العصور د. موفق دعبول ١٥٩

أنباءٌ مَجمعيَّةٌ وثقافيَّة

كلمة رئيس المجمع الأستاذ الدكتور مروان المحاسني في تأبين د. برهان العابد ١٨١

استقبال الأستاذ الدكتور محمود السيد عضواً عاملاً في مجمع اللغة العربية بالقاهرة ١٩١

– كلمة أمين مجمع اللغة العربية بالقاهرة الأستاذ الشاعر فاروق شوشة ١٩٢

– كلمة الأستاذ الدكتور محمود السيّد في مجمع القاهرة ١٩٧

من قراراتِ مجلس المجمع في الألفاظ والأساليب للعام ٢٠١١: (١– ١٥) ٢٠٩

الكتبُ والمجلات المهداة إلى مكتبة المجمع حتى مطلع عام ٢٠١٥ ٢٣٧

أعضاءُ مجمع اللغة العربية بدمشق في مطلع عام ٢٠١٥ ٢٤٥

استدراك.. ٢٦١

البحوث والدراسات

مَساراتٌ مجْمعيَّـة

د. مروان المحاسني(*)

لقد أُنشئ مجمعُنا في منعطف مفصلي من حياة بلادنـا، حـين شـاخت السـلطنة العثمانية وهَرِمت، وانكسـرت شوكتها، فأضحت فريسةً لأطـماع الـدول تتقاسـم مـا يمكن أن تَفصِـله مـن مكوناتهـا عنهـا، ليبقـى منهـا مـا لا يمكـن إدخالـه في أي كيـان سـياسـي خارج البرّ التركي.

وكان انهيار السلطنة قد سـرعتْه تلك الثورات الأوربية، التي صوّرت لنفسها ثقافات مجتزأة من ثقافـة أوربيـة كانـت تـدّعي الشـمول تحـت تسـميات إمبراطوريـةٍ مختلفة: فهي تارةً فرنسـية، وتارة جرمانية خالصة، وتارة نمساوية متآخية مع المجـر، وتارة قيصـرية روسـية تضم عدداً كبيراً من الثقافات الآسـيوية. وهكذا فقد ظهرت ثقافةٌ صـربيّة، وأخرى بلغارية، وأخرى يونانية، وأخرى ألبانيـة، مسـتندةً إلى لغاتهـا القومية لتحديد كيانها وانتمائها، فكانت كل منها تسـعى إلى الانفصـال عـن السـلطنة لاستعادة هويتها، واسْتَعَرت من أجلها حروب البلقان.

وحين ساهمَت الثورة العربية في إخراج بلاد العـرب مـن الهيمنـة التركيـة بعـد الحرب العالمية، وسطعت حقيقة شمس الثقافة العربية الإسلامية تنير مجمـوع الـبلاد الناطقة بالضاد، من الخليج العربي إلى المحيط الأطلسـي، لم يكن هنالـك أي تسـاؤل

(*) رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق.

حول أحقيّة هذه المقاطعات في أن تأتلف في كيانٍ واحد، يجمعه تاريخ واحد، وتسوده ثقافة واحدة تحملها لغةٌ عريقة تستطيع التعبيرَ عن الذوات الفردية، وتوضيحَ حقيقة الانتماءات المجتمعية.

ولكن، على الرغم من هذه الحقائق الثقافية الحضارية التاريخية، فقد جرى تقسيم بلاد العرب بما يناسب أطماع ومصالح القوى المنتصرة في أول حرب عالمية في العصر الحديث، جعلها انخراط الولايات المتحدة الأمريكية فيها حرباً كونية لم يَنجُ من آثارها إلا بلاد اعتادت أن تكون في معزلٍ عما يجري في أنحاء المعمورة كاليابان وغيرها في آسيا.

وتأكيداً لتلك التفجّرات الثقافية القومية فقد كان من مهام المجمع حين إنشائه التصدي لتلك العزلة المفروضة على لغة البلاد بِفعْل رجحان لغة الغالب على مراكز الحكم وفي مجالات التعليم، وهذا ما جعل تلك اللغة المسيطرة مفتاحَ الدخول في الحداثة إذ استأثرت بكل جديد يَرد من الغرب، على حين بقيت اللغة العربية مغلقةً على نفسها، تستنشق أنفاس تلك الحداثة من خلال ما يَرشَح من التعامل مع مراكز الحكم.

لقد اعتمد المؤسسون بروز واقع سياسي جديد يتيح لهم إعادة اللغة العربية باندفاع صادق إلى مكانةٍ تليق بأصالتها وعبقريتها، وذلك حين أُعلن قيام أول دولة عربية حديثة في القرن العشرين، دولةٍ جعلت من أهدافها الأولى إعطاء الصدارة لإبراز الذاتية الثقافية العربية في حياة الدولة والمجتمع، وكان على رأس اهتماماتهم استعادة الأمجاد الفكرية التي حملتها اللغة العربية، وتعميق ارتباطها بشؤون الحياة، قبل الغوص في أعماق تراثها الحامل لفكر عبقري جعلها لغة عالمية يُستقى من نورها ما أنجزه علماؤها.

وكان أن نظر المجمع عند تأسيسه في مجموع المجالات التي تُخرج الأمة العربية من انطوائها على نفسها، بعيدةً عن حضارة مادية مَجلوبة من مجتمع دولي يتعالى على اللغات التي لا يعرفها، ولا يسعى إلى أي تواصل مع فكرٍ لم يتعرّف عظمتَه إلا أساطينُ الفلسفة والعلوم في العالم الغربي.

لم يكن هذا المسعى الهادف إلى تطوير اللغة، كي تتناغم مع معطيات الحداثة ليُعجِز المجمعيين، وهم رجال عاشوا في مجتمع لم يقبل من محتويات اللغة الدخيلة في حياته اليومية أكثر من تلك العناصر المادية التي اقتحمت حياة الأفراد، في ظل دولةٍ لغةُ دواوينها مغايرةٌ للغتهم، وهذا ما جعل ألفاظاً حكومية تنطلق على الألسنة في العلاقة بمصالح الدولة ومؤسساتها، كالطابو والكَرَكون والقوميسير، إلى جانب ألفاظ تُطلق على مجريات الحياة العامة.

لقد عقد المجمعيون العزمَ على إعادة الاعتبار إلى اللغة القومية وسيلةً قادرة على إيصال عناصر الحداثة إلى أفهام العامة والخاصة، تأكيداً لما أصبح معروفاً عن أهمية اللغة الأم مستنداً متيناً لجميع عمليات الفهم والإفهام.

ومن الأمور التي قد نستغربها اليوم أن منشورات المجمع في السنوات الأولى من إنشائه لم تتطرق فوراً إلى العلوم الحديثة المهيمنة على مقدرات الشعوب بما توفّره من وسائطَ عميقةِ الأثر في عالم السياسة والاقتصاد، كما أن المجمعيين لم يلتفتوا إلى إبراز ما قام به العرب من مشاركاتٍ جليلة في العلوم، وكيف انتقلوا، من الدراسات الفكرية التحليلية في علوم الفقه، إلى إقامة صرحٍ شامخ انطلقت منه الحقائق العلمية، التي بنَوا الوصولَ إليها على نظامٍ عقلي متين يستند إلى فلسفةٍ إغريقية هضموا عناصرها، واعتمدوا مساراتها الفكرية، حتى وصلوا إلى إنشاء علوم دقيقة تعتمد التجربةَ والتجربة المعاكسة للوصول إلى الأحكام.

لم يلتفت المجمعيون إلى تَفاخرٍ يُعيد إلى الأذهان مكانةَ ما حملته الثقافة العربية الإسلامية إلى غربٍ غارقٍ في الغيبيات، متعطشٍ إلى عقلانية بلغت أوجَها في فلسفة ابن رشد؛ إذ إنه ما إن دخلت كتلة الفلسفة العربية (ابن سينا، ابن باجة، ابن طفيل وابن رشد) في مجالات الغرب الثقافية حاملةً بحراً من المعارف العلمية المتطورة في القرن الثاني عشر الميلادي حتى أضحت الثقافةُ العربية الإسلامية منارةً يُهتدى بها طيلة قرون عديدة، حتى عصر التنوير.

بل إنهم التفتوا إلى حقائقَ حضاريةٍ واضحة المعالم جعلتهم يوجهون اهتمامهم إلى عِلْمَين اعتبروهما عاملين أساسيين في بناء مجتمع جديد، وهما الطب والزراعة، وهذا ما جعلهم يؤثرون سدّ حاجةٍ ملحّة هي توفير المصطلحات العربية اللازمة لكل منهما في تلك البرهة الزمنية.

إن تأسيس معهد طبي يدرّس جميع التخصصات الطبية باللغة العربية أمرٌ يحُثّ على توفير مصطلحات العلوم الأساسية التي يُبنى عليها تعليم الطب، كالتشريح ووظائف الأعضاء والجراثيم والطفيليات والفيزياء والكيمياء.

ولذا فقد انبرى أساتذة الطب، ومعظمهم مجمعيون، ينتجون مصطلحات أسسوها على قواعدَ لغوية تجعلها مُستساغةً في الاستعمال، تَدخل الأذهان لتستقرّ فيها جزءاً من سليقة علمية مُكتَسبة، كمُقابلات لمصطلحات أجنبية لا يُدرك الطالب العربي معاني الأجزاء المركّبة لها.

وهكذا فقد أورثتنا هذه المجهودات المتميزة ثروةً من المصطلحات العربية في مختلف المجالات الطبية، انطلاقاً من تشريح جسم الإنسان إلى توصيف ما بين أجزائه من علاقات، وقد استخلصوا معظم هذه التسميات من أعمال ابن سينا

وابن النفيس والزهراوي وغيرهم، كما أنهم أتمّوا توصيف وظائف الأجهزة المركَّبة كالهضمية والعصبية، مقترحين لشرح تلك العلوم الجديدة ألفاظاً عربيةَ الجَرْس والبناء، معتمدين ما تتيحه طواعيةُ اللغة العربية في جميع المجالات. إنها جهود متداخلة لتحديد التغيّرات المَرَضية في الأبدان وتعيين مسبباتها، وإطلاق الأسماء الدقيقة على العوامل المُمرضة من جراثيم وطفيليات تعكّر صفوَ حياة البشر.

ومن أساتذة كلية الطب من كان تعلّم الطب باللغة التركية في المدرسة الطبية التي أنشأها العثمانيون في دمشق (١٩٠١) ثم نقلوها إلى بيروت، لتعود إلى دمشق بعد إعلان الحرب العالمية الأولى (١٩١٤)، وكان أساتذتهم فيها على صلةٍ وثيقة بالطب الأوربي والفرنسي بخاصة.

وهذا ما جعل مجهوداتهم، مجمعيين وغير مجمعيين، تَصدُر عن معرفة حقيقية لمعاني المصطلحات، تُسهّل لهم الوصول إلى مقابلات عربية لها، وهم أصحاب لغةٍ لم يهجروها، وهذا ما أتاح لهم إيصالَ طلابهم إلى دِقّة عالية في التمييز بين مصطلحات مشتركةٍ اعتمدها كلّ علم ليُضفي عليها مسحةً تميّزها عن استعمالاتٍ لها في علوم أخرى.

ومن النشاطات التي لا يمكن إخراجها عن السيل المعرفي الذي أطلقه المجمع في هذا المضمار، صدورُ معجم طبي حديث هو معجم (كليرفيل) الكثير اللغات، الذي تُرجم عن الفرنسية عام ١٩٥٦ على أيدي واضعي تلك الثروة المصطلحية المستعملة في التدريس، وهم أساطين العلوم الطبية في سورية: الأستاذ مرشد خاطر والأستاذ أحمد حمدي الخياط والأستاذ صلاح الدين الكواكبي. إنه عمل متميز أدى خدماتٍ جلّى للطلاب وللأطباء في متابعتهم للتطور الطبي العالمي. وقد تصدّى

لمناقشة ما فيه من مصطلحات الأستاذ حسني سبح رئيس المجمع، في سلسلة من المقالات الناقدة نشرتها مجلة المجمع تباعاً طيلة مدة تجاوزت العشرين عاماً ابتداء من ١٩٥٩ حتى ١٩٨٢، أي من المجلد الرابع والثلاثين إلى المجلد السابع والخمسين، بمعدل مقالتين أو ثلاث مقالات في كل مجلد.

ثم كان أن انضم الدكتور حسني سبح إلى لجنة أطلقها اتحاد الأطباء العرب لصناعة معجم طبي يوحّد المقابلات العربية للمصطلحات الطبية الفرنسية والإنكليزية في جميع الوطن العربي، فكان الدكتور سبح يرأس لجنة كان لي شرف المشاركة في تأسيسها وهي تضم ممثلين عن سورية ومصر والعراق ولبنان وذلك في أواخر ستينيات القرن الماضي، ثم انضم إليها في السبعينيات ممثلون عن تونس والجزائر والمغرب.

وقد تطور هذا المعجم الموحّد بعد أن تولّت منظمة الصحة العالمية (منطقة المتوسط) الإشرافَ على إتمامه ونشره، حتى أصبح اليوم، وهو يحتوي على مئة وخمسين ألف مصطلح (الطبعة الرابعة ٢٠٠٧)، مرجعاً عالميّاً معتمَداً لجميع المصطلحات العلمية المرتبطة بشكل أو بآخر بالمصطلحات الطبية الدقيقة مع مقابلاتها الفرنسية والإنكليزية.

وأما العلم الثاني الذي أخذ موقع الصدارة بين منشورات المجمع بعد تأسيسه فهو علم الزراعة الذي كانت تحتاجه سورية، وهي التي اشتهرت منتجاتها الزراعية الصادرة عن غوطتها الدمشقية، أو عن سهول حوران، أو بساتين العاصي أو أرياف وادي بردى. إنه علم يهدف إلى الانتقال بالبلاد من ممارسات زراعية تراثية إلى ممارسات متجددة تستفيد من العلوم الحديثة التي تفتح الأبواب واسعةً أمام حماية المنتجات، والارتقاء بالمحاصيل إلى مستويات متميزة.

وقد كان للأمير مصطفى الشهابي رئيس المجمع فضل كبير في تصنيف معجمه الزراعي الذي بقي حتى يومنا هذا نموذجاً يُحتذى في دقته المعجمية وعبقريته التصنيفية، محمولاً على طاقات عميقة الجذور في لغتنا العربية، وقد جُمِع فيه الكثير من المسميات الواردة في كتب الزراعة التراثية. والأمير الشهابي من خريجي أرقى مدرسة زراعية أوربية هي مدرسة غرينيون في فرنسا.

وأما النشاط المجمعي في المجالات اللغوية فقد كان واضحاً في مجلة المجمع المؤسسة عام ١٩٢١ التي كانت مساهماتُ الأعضاء النسبةَ الكبرى مما نشر فيها. هذا إضافةً إلى نشر كتبٍ تراثية أتـمّوا تحقيقها، كجامع التواريخ للتنوخي، ورسالة الملائكة للمعري، وديوان الوليد بن يزيد، وأخبار الأصمعي، والتبصر بالتجارة للجاحظ. هذا إلى جانب مؤلفات رأوا إحياء الاهتمام بها لأنها دراسات هامة في التمييز بين العامي والفصيح، كبحر العوّام لابن الحنبلي وتكملة الإصلاح للجواليقي، إذ كان من الضروري في تلك المرحلة الوقوفُ في وجه انتشار العامية كي لا تصبح مُعتمَدَةً على حساب اللغة الفصيحة، بعد ذلك العهد الطويل من تهميشٍ أصاب اللغة العربية في بلادنا.

وقد سار مجمعنا على خُطا المؤسسين في انتقاء عدد من الكتب التراثية التي تستحق تحقيقاً جديداً بعد أن أصبحت غائبة عن المكتبات ليساعد إعادةُ انتشارها على التعمّق في معرفة هذا التراث المتعدد الوجوه، والحاوي لِكنوز فكرية ولفظية وتحليلية تُعيد إلى الأذهان حقائقَ يحاول الكثيرون تجاوزها في هروَلَتهم نحو الحداثة.

ومن هذه المنشورات في السنوات العشر الأخيرة ديوان أبي النجم العجلي وديوان ابن سنان الخفاجي وديوان نجم الدين بن سوار الدمشقي وأخبار شعراء حمير، وهي كتب قد أفاد من نشرها عدد غير قليل من طلاب الدراسات العليا لتحضير البحوث المطلوبة للحصول على الماجستير والدكتوراه.

هذا إلى جانب كتب راسخة الجذور في أعماق فهم اللغة العربية وتذليل بعض الصعاب التي جعلت أعداء العربية يتهمونها بالتعقيد، ومنها ما تُستساغ طرافته في زمان يميل فيه الكُتّاب إلى إهمال القوالب اللغوية الرصينة، ليلجؤوا إلى اقتراضات مُبسَّطة من ثقافات أجنبية. فقد طُبع استدراك الغلط الواقع في كتاب العين للزبيدي، والدر النثير والعذب النمير للمالقي، والمقصور والممدود لابن ولاّد، ومختصر تاج المجامع والمعاجم للقوصي، وقد لقيت جميعها قبولاً حسناً لدى المهتمين باللغة العربية وتطورها.

ويبقى تاريخ دمشق لابن عساكر شهاباً متألقاً ما زال مجمعنا يتابع تحقيقه ونشر مجلداته، وما زال أمامنا عدد غير قليل من المجلدات يجري تحقيقها ونشرها تباعاً بعد أن جرى تحقيقها من قبل أفضل المحققين، نظراً لما لهذا المؤلَّف التاريخي النفيس من قيمة تراثية. وقد أنجز مجمعنا نشر ستين مجلداً منه ولم يبق سوى عشرة مجلدات نأمل إتمام العمل فيها عام ٢٠١٥.

إن هذه النظرة إلى الحقائق المجمعية في السنوات الأولى من إنشاء المجمع تُعيننا على تفهّم المصاعب المُحيقة بنا في الألفية الثالثة. فنحن اليوم في مواجهة صادِمة مع علومٍ حديثةِ النشأة، قد دخلت في مسارات تفصيلية متسارعة في تطورها، تَنشقُّ عنها علومٌ فرعية تتطور إلى تخصصات أدقّ فأدقّ، منتجةً بحراً زاخراً بالمصطلحات الخاصة بكل فرع، نَجهد في إيجاد المقابلات العربية لها قبل أن تُدخَل بعجمتها في التداول، مفروضةً على الأَفهام في سياق جُملٍ عربية نقيّة تَبرُز فيها ناشزةً مُستهجَنة.

إنها علوم قديمة حديثة كالكيمياء والرياضيات والفيزياء، ما زالت مرتكزاً أصيلاً لا تستغني عنه العلوم الحديثة المتطورة، ولو أنها بلغت في أيامنا مستوياتٍ غير

مسبوقة في عالم الذرة والجزيئات، إلى جانب عالم الجينات وما يضمُّه من مركَّبات لها دور أساسي في مسار الحياة على وجه الأرض. يضاف إلى ذلك أن هذه العلوم التي ما زالت في مسارٍ متسارع في مسعاها لسَبْر خفايا هذا الكون، ما فتئت تفرز تقانات جديدةً، ومفهومات آخذةً في التفصيل، وهذا ما يجعل متابعة ما تُنشئه من مصطلحات عملاً دائباً لا كلالَ فيه، يحتاج إلى خدمة متواصلة، تُتابع إدخال جديدِه إلى اللغة العربية. وقد أَلَّفْنا لجاناً مختصة بتلك العلوم الحديثة، كالمعلوماتية والاتصالات.

ومن الأمور التي تكاد تكون خاصةً بمجمعنا في مجالات العلوم، ما شعرنا به من اختلال في تحديد المصطلحات المعتمدة لتدريس العلوم في الجامعات السورية، وهي الجامعات العربية الوحيدة التي التزمت تدريس جميع المواد باللغة العربية. فقد تبيّن لنا ظهور اختلاف بين ما يعتمده الأساتذة من مصطلحات، إذ إنها تتأثر بمشاربهم الثقافية حسب البلاد التي حصلوا على الاختصاص منها، فقد ظَهَرَ وجود فروق هامة بين من يستقي تطورَه العلمي من خلفية ألمانية، ومَن استقاه من خلفية روسية، مع وجود هذا الاختلاف بين الاستعمال الإنكليزي والاستعمال الأمريكي للمصطلحات.

وهذا ما جَعلَنا نؤلِّف لجاناً خاصة لتوحيد المصطلحات المتداولة في الجامعات السورية في جميع التخصصات العلمية (لجنة لكلٍّ من الفيزياء، والكيمياء، والرياضيات، وعلم الحيوان وعلم النبات، والزراعة وعلوم الأرض) حتى نصل إلى توحيدٍ يُقرّه مجمعنا في مؤتمراته، ويقدّمه إلى وزارة التعليم العالي للإصرار على الالتزام به في التأليف والتدريس. هذا إضافةً إلى تأليف لجان جديدة تهتم بفروع آخذة في النمو حتى أصبحت ملازمة لحياتنا اليومية، كالعلوم المرتبطة بالحفاظ على البيئة، أو

علـوم المعلوماتيـة وتقاناتهـا التـي تكـوِّن أساسـاً لا يُسـتغنى عنـه في جميـع المجـالات البحثية، وقد أضفنا أخيراً لجنةً تنظر في التطورات الجديدة في طب الأسنان التقويمي، وما ظهر فيه من جَهائز صناعية تُعيد إلى الإنسان الراحة في انتقاء طعامه، ولجنةً أخرى تختصّ بالاستشعار عن بعد نظراً لما يمثله هذا العلم باعتماده تقانات حديثة متطورة.

ونظراً لضـرورة الاهتمام بالشؤون اللغوية البحتة والعودة إلى ما تختزنه المعـاجم التراثية فقد أُلِّفت لجنة تهـتم بصـناعة معجـم يشـرح معـانيَ أبنيـة ألفـاظ اللغـة العربيـة أفعـالاً وأسـماء، وهـو عمـل يطمـح إلى احتـواء معظـم مـا في تلـك المعـاجم مـن أبنيـة، مصـنفةً في مجموعـات ومجـالات: هيئـة الإنسـان، الطبيعـة والحيـاة، المشـاعر، الخيـال، وغيرها. إنه معجم قد يكون رديفاً مكمِّلاً لمشـروع المعجم التاريخي الذي اختص منه مجمعنا بدراسة نصوص منتقاة من العهد الأموي، على حين تقوم المجامع الأخرى بما خصها به اتحاد المجامع الذي سيتولّى إصدار ذلك المعجم التاريخي للغة العربية.

وهنـاك مضـمار ملـحّ اهتمـت بـه لجنـةٌ لألفـاظ الحضـارة تقـوم حاليّـاً بإصـدار معجمها الأول، وهو يتضمن ألفاظاً موزَّعة على مجالات مختلفـة: السـياحة، النقـل، السَـكَن ونحوهـا، وهـي تقـترح مقـابلات عربيـة مطلوبـة لألفـاظ أعجميـة جمَّـدها الاستعمال مع بقائها أعجمية. ويجب أن نضـيف إلى هذه النشاطات اللغوية البحتـة، التي أنشئت لها لجان خاصة بها، أمراً جعله مجمعنا في طليعـة اهتماماتـه اليوميـة، هـو اعتمادُ مرصدٍ لغوي يقـوم بكشـف مـا يـرد في لغـة الصـحافة والتلفـزة والإذاعـة مـن مفردات أو تراكيب تحتاج إلى دراسة لكشـف صُـدورها عـن تراكيـبَ أجنبيـة قُلبـت عربيةً دون تأصـيلها في اللغة، ليمكن تصحيحها أو الموافقة عليها بقرار مـن المجمـع يجيز استعمالها، بصفته المرجعية العليا للغة العربية كما ورد في قانونه.

وبعد أن تم ترميم المكتبة الظاهرية، وتمت فهرسة محتوياتها على تصنيف عالمي يسمح بالإفادة من كنوزها، اتجهنا إلى إدراج فهارسها في برنامج حاسوبي يمكن ربطه ببرامج المكتبات العالمية.

وقد التفت مجمعنا كذلك إلى ما لديه من مخطوطات تراثية فطلب من المتخصصين في العناية بالمخطوطات أن يدرّبوا العاملين في المجمع على صيانة المخطوطات وتصويرها والإشراف على أفضل الطرق لحفظها.

ومن جهة أخرى فقد ضاقت مساحات بناء المجمع الحالي عن الوفاء باحتياجاته في التوسع ولذا سعينا إلى الحصول على مبانٍ جديدة، آملين أن يدخل في حوزة مجمعنا أحدُ البيوت الدمشقية التراثية (بيت القوتلي في باب البريد) وهو مجاور للظاهرية. وقد وُفّقتْ جهودنا، والنية معقودة على ضمّ ذلك البيت بعد ترميمه إلى أرض غير مسكونة يملكها المجمع، وهي ملاصقة للظاهرية، ليتشكّل من تلك المجموعة صرحٌ ثقافي كبير في قلب مدينة دمشق.

وأخيراً لا بد لنا من القول إننا في مسعانا إلى السير على ما اختطه لنا مؤسسو مجمعنا يجب علينا إيضاح ما نكابده من معوقات تميّزت بها أيامنا.

فلقد وصلت اللغة العربية في بلادنا إلى عطالة مُتدرّجة قد تؤدي إلى انكماشها مبتعدةً عن التطور المطلوب لإعادتها عماداً لحياتنا.

فإن لغتنا اليوم تسودها تراكمات معطِّلةٌ لانفتاحها على المعاصرة محمولةً على حماسة النابهين من أبنائها ، الساعين وراء بقائها مرتكزاً أصيلاً لهويتنا، وكنزاً ثميناً نغترف منه طاقات خلّاقة تفتح لنا أبواب المستقبل.

ولنا أن نميز بين هذه التراكمات المُعطِّلة:

١- لهجات قطرية مُتفاصحة تريد ترسيخ وجودِها مرتكزاً ثقافيّاً كافياً لاستيعاب المعاصرة بما فيها من تشعُّبات.

٢- تعريبات بَلْهاء لعناصر الحداثة الفكرية والعلمية والمجتمعية تكتفي بنقل الكلمة من حروفها الأعجمية إلى حروف عربية تقريبية، محتفظةً بتراكيبها اللفظية الأعجمية التي تحول دون تطابقها مع سلاسة النطق في النظام اللغوي العربي.

٣- استسهالٌ حداثي قد غلب على شبابنا فإذا بهم يتحادثون بلغة عربية هجينة تُعطى فيها للكلمات الأجنبية تصريفات النظام اللغوي العربي وهي باقية على عجمتها فتبقى ناشزةً عسيرة على الفهم.

إنها موجات غامرة تسلّطت على لغتنا منطلقةً من حضارات غربية تنتج علوماً وتقانات لم نعهدها في بلادنا ولم نساهم في تطويرها، فدخلت أفكارَنا بطابعها الغريب الذي عجز ضعفُنا اللغوي عن ربطه بمقابل لغوي مناسب نَسْتخلصه من تراثنا الممتد على قرون، كان قد استوعب فيها أجدادُنا أهمَّ منجزات الغرب التي وصلت إليهم، فأطلقوا عليها التسميات المناسبة، وأدخلوها في رصيدهم اللغوي حين ألفّوا الكتب التي حملت إلى العالم مساهماتهم الكبرى في تطوير الفكر الفلسفي والعلمي.

مشكلتنا اليوم ليست عضويةً ترتبط بضعف اللغة العربية عن الوصول إلى الحداثة، بل إنها قطيعةٌ وجدانية:

- بين تراث باهر بناه أهل اللغة بعد أن تعمّقوا في فقهها، وفهموا نظامها، وقاموا بشرحه حتى استقرّ في جيلهم مَلَكةً يُسارع النشء الجديد إلى تغذيتها بملازمة العلماء، والمجالسِ التي تشهد على إتقان الإفادة مما تتميز به لغتهم من منعطفات وثَنْيات، ليمكن للعقول النابهة أن تفهم عالمها وتنظر إلى مستقبلها بالاستناد إلى لغتها.

- وبين جيل مبهور بحداثة قلبت أوضاعه المعاشية بما قدمته من أعاجيب علمية تَحمِلها لغات أخذت لنفسها موقعاً كونيّاً، وهي تُطلق نظرات جديدةً على العالم وتصورات خلّابةً لعالم الغد تُغري بها أبناء هذا الجيل أن يلتحقوا بتلك اللغات متذرّعين بضعف لغتهم القومية.

إنها حالة راهنة نحاول أن نفكّك العناصر المكوّنة لها لعلّنا نصل إلى مسار يعيد إلى لغتنا مكانتها في نفوسنا، ويصونها من محاولات ماكرة لتهميشها في عالم سريع التطور.

فإذا كان المؤسسون قد التفتوا إلى كتب الجواليقي وابن الحنبلي الساعية إلى تفصيح العامية، بقصد التوسّع في ألفاظ أُلبِسَتْ دلالات جديدة بما يساعد على الانفتاح في اللغة، فنحن اليوم نواجه تشويهاً حقيقيّاً للغتنا يسود التواصل بين الأفراد على اختلاف مستوياتهم الثقافية.

فإذا نظرنا إلى انحسار دور القراءة مصدراً للمعرفة، وزاداً يختزنه الأفراد ليكون منطلقاً لتبادل فكري أو شخصي فيما بينهم في مجتمع تسوده لغةٌ واحدة، رأينا وسائل التواصل الاجتماعي الحديثة تحدّ ما يتمتع به الأفراد من طلاقة واسترسال في الحديث، فارضةً أعداداً معينة من الحروف فيما يسمى تغريدات، وصيغاً مضغوطة لما يجري تبادله في رسائلَ قصيرة، وهي تخلو من كل فكاهة وكل طابع شعوري تستطيع اللغة التعبير عنه حين يُطلق لها العنان.

وإن ما أدخله هذا الانفلات من أهمّ الضوابط الجمالية في النظام اللغوي للعربية، متجاهلاً ما تتميز به لغتنا من سلاسةٍ وانسياب مضافاً إلى دقةٍ في التعبير،

وهي عناصر كانت تعيد إلى أذهاننا قراءات أدبية وأوزاناً شعرية نترنّم بسحرها، هذا الانفلات ينتهي إلى إظهار لغة هجينة مختلطة زال عنها ما يُزيّن لغتنا من بلاغة ومجاز، وما نتمتّع به من طلاوتها، ونستسيغه من جرْسِ ألفاظها المنتقاة.

وإذا أضفنا ما ظهر في أغانينا من كلام لاهث متقطّع لا تجانسَ فيه هو «الراب Rap»، أي تلك الموسيقا الارتجالية اللاهثة التي تغلب عليها الطبول، ولا يلتقط منها سامعها سوى ضجيجٍ يدّعي أنه كُلٌّ موزون، وذلك هروباً من ضوابط الشعر، وحتى من أخف الشعر الذي انطلق أصلاً من الأندلس، ألا وهو الزَجَل الذي مازال فنّاً تُقام له المهرجانات في لبنان المجاور.

فأين نحن اليوم من ذلك الاندفاع الوجداني الجارف الذي غمر البلاد وأدخل الأفراد في نشوة حقيقية تربطهم بكل ما له علاقة بلغتهم، يوم خرجت سورية من الحكم العثماني وأُعلن استقلالها دولةً عربيةَ الكيان عربيةَ اللسان، فظهرت الأناشيد الوطنية التي تقدّس الانتماء إلى وطن استعاد حرية التفاخر بأمةٍ عربية، عمادُ كيانها لغةٌ عربية حاملةٌ لأمجاد فكرية، تهتز المشاعر لسماع شعرها، وتخفق الأفئدة متجاوبة مع كل نداء لإعلاء شأنها بين الأمم. لقد استعاد الشعب لغته فأقْبلَ على تعلّمها، وأكْبرَ هِمّةَ أصحابِ الكتاتيب الذين حفظوها وأحسنوا تلقينَها للأطفال جيلاً بعد جيل، كما أدخلوا في نفوسهم احتراماً حقيقيّاً لها ما دامت معتَمداً لمستقبلهم في أي نشاط علمي أرادوا اتخاذه وسيلة لبناء شخصيتهم، ولذا فقد التفّ أفراد الشعب حول أول مجمع للغة العربية في بلاد العرب، فحضروا محاضراته واقتنَوا كتبه وأطاعوا توصياته فيما يخدم لغتهم القومية وأنشؤوا المنتديات يتذاكرون في أدبهم التليد فيها.

إننا أمّة تختلف كل الاختلاف عن الأقوام البدائية التي لا تاريخ لها، وتعيش حياةً ليست سوى حاضر ينساب، على حين نحن نعيش في «عالمٍ تاريخي له مستقبل قد تم تحقيق جزء منه (هو الماضي الوطني) وبقي الجزء الآخر (المستقبل) يسير تحقيقُه بمرور الزمن» كما يقول ليفي برول(*).

فتاريخنا مطبوع بلغتنا كما وصلت إلينا محمولةً على شعر جاهلي سيطرت هيكليته على حِسِّنا اللغوي، مستقرّةً في الصيغ الخالدة التي أنزلت في القرآن الكريم، ثم بقيت تستقبل الروافدَ من الأحداث، ومن الدفعات الفكرية المتعاقبة التي حملت إليها أصداءَ وحقائقَ حضارات كبيرة غارقة في القدم. إنها اللغة ذاتها التي تشبّعت بما استنبطه علماؤها حتى أنتجت الحضارة العربية الإسلامية، وما زالت تتكامل في تطابقها مع الأحداث؛ لتكون قادرة على وضع الأسس التي يُبنى عليها التوجّه نحو المستقبل. فإنه لا يَصحُّ النظر إلى اللغة بأنه يمكن تحديد العناصر المكونة لها، إذ إن جَمْع هذه العناصر لا يوصلنا إلى لغة متكاملة، كما يقول جان بياجه J. Piaget ذلك لأن اللغة هي كجهاز فكري تجتمع فيه مكوِّنات مختلفة تشكّل لحمتَه وتحتوي على مجموعة من الانزياحات اللغوية إلى جانب ما فيها من ثوابت، وهي التي أوصلتها إلى مفهوميتها. لقد صمدت لغتنا في وجه نوائب الدهر وتجاوزت ما حلّ بأهلها من صروف وهزائم، وبقيت شجرة باسِقةً تُنبت فروعاً مثمرة في العلوم والفلسفة والفكر الإنساني، حاملةً لثقافة باهرة كان لها دويّ عالمي أنارَ عقولَ أجيالٍ متعاقبة في بقاع الأرض، عند أقوامٍ كانت غارقةً في جاهليات مختلفة، فكانت دافعةً لها في مسيرتها نحو التحضر.

(*) La mythologie Primitive, Levy-Bruhl 1935.

إن لغتنا اليوم تحيط بها المخاطر من كل حدب وصوب، تلك التي تنطلق من غزو ثقافي مبرمج، مخترقةً وسائلَ إعلامية مستسلمةٍ لزحف غادر من ألفاظِ التقانات والعلوم الحديثة، لتصل إلى نفوس عربية أسرتْها «الصرعات» الغربية، فانضوت تحت لوائها منسلخة عن ذاتيتها الثقافية بذريعة تخلّف اللغة القومية الحاملة للهوية عن اللحاق بالحداثة.

إن هنالك خللاً يسيطر على التعبير في الحياة العامة حين يلجأ الأفراد ومعظمهم من الشباب إلى إدخال ألفاظٍ وتراكيبَ يستعيرونها من لغات أخرى ويفرضونها على المتلقّي الذي يَحارُ في فهمها.

وهذا الخلل يتجاهل حقائق أثبتتها العلوم الحديثة؛ فليس الكلام سوى ما يُطلِقُه الوعي لتجسيد معطيات الفكر، بأسلوب يختلف بين قوم وقوم آخر، بأشكال يختص كل مجتمع بفهم إشاراتها الحاملة للمعنى، ولولا وجود الكلام لبقيت الأفكار حبيسةً لا يمكن جعلها وسيلة للتواصل البشري؛ فكيف يصل المتلقي العربي إلى تفهم أشياء لا تُربط إشاراتها بنظامه اللغوي؟

إن إقحام ألفاظ غريبة لا يتطابق النطق بها مع جرْس ألفاظ اللغة العربية، وهي التي تتميز بنظام اشتقاقي تشير كل لفظة فيه إلى جذر حاملٍ لمعنى أصلي، يُدخل المتلقي في حَيرة تُربك فهمه للمقصود. فهو قد اعتاد إرجاع كل لفظ إلى مجال من المجالات التراثية حسب بنائه بما يشير إلى ذات معيّنة، أو يشير إلى فعل واضح المعالم أو إلى حقائقَ حياتية. وكلها أمور يستحضرها المتلقي من مخزونه الثقافي.

ذلك أن النمط الفكري الذي يعتمده الفرد في تعبيره يوصل المعنى المقصود محمولاً على طاقة لغوية تتولى تنسيقَ هيكلية الكلام المنطوق بالاستناد إلى الموروث اللغوي السائد في مجتمعه.

فكيف يمكن للمتلقي أن يفهم ما يقوله صديقه حين يسمعه يقول بأنه (فَلَّلَ) خزّان سيارته وهي (مُفَيّمة) «زجاج نوافذها مُعْتِم» أو أنه ذهب (ليشرّج) هاتفه المحمول أي يشحنه بالكهرباء، إلى آخر ما هنالك من «صرعات» تُهين لغةً مازالت هي مفتاح فهمنا للعالم حتى حين نعبّر عن أنفسنا بلغة أخرى.

صحيح أن لغتنا تواجه ضغوطاً متعددة المصادر في عصر تتسارع فيه الكشوفات التي تُظهر تقاناتٍ متتابعةً تحتاج إلى ألفاظ جديدة. وحقيقةُ الأمر أنه لا يجوز لنا القول بأن لغتنا اكتملت وذلك في نظرة ماضوية لا تأخذ بالاعتبار تطورات الفكر الحديث، الذي ينشئ في كل يوم ألفاظاً وتعبيرات تحمل معانيَ جديدة وحقائق لا تناقش. بل لا بد من تأكيد حاجتنا إلى توطين العلوم في لغتنا رافضين لأي قطيعة معرفية بين لغة الحاضر ولغة الماضي. إنه العمل المطلوب بكل إلحاح لنصل إلى ترسيخ تلك المنطلقات العلمية في أذهان الأجيال الجديدة بعد توضيح معالمها، لتنضمّ إلى مخزونهم الثقافي الذي كان قد استوعب ترسّبات لغوية هامة ربطته بالفكر العالمي حتى تمكن من فرض نفسه على تطور العلوم بعد ذلك.

الخاتمة

إن تكاثف الغيوم على منطقتنا العربية، محمّلَةً بالرعود والشرر، لن يُحِيْدَنا عن التمسك بثقافتنا المجيدة، ولن يجعلنا نتعلّق بأهداب عولمة هدّامة تحاول إدخال الشكوك إلى نفوسنا، مستخفّةً بقيمة لغتنا العريقة وتَمَيُّزِها بصفات تجعلها أغنى لغات الأرض، وهذا ما يتيح للعولمة فرصاً للقضاء على شخصيتنا.

إن لغتنا يحكمها منطق متماسك، ومن ينظر إلى تاريخها وما فيه من وحدة في

التعبير دون التباس في معاني الألفاظ متى كان سبكها متقناً ضمن مسار السياق، يرى قوةً لغوية نادرة المثال يُهيكلها نظام لغوي تجاوز حدثان الزمان، وتضمَّن عناصر لغوية اختلفت معانيها ولكنها وصلت إلينا موحّدة في موقعها بين الماضي والمستقبل.

نحن في مسار حضاري يتطلب تفتحاً يخرجنا من شمولية العولمة، لنبقى قادرين على بناء شخصية عربية كاملة المعاصرة. وهذا يتطلب تطويرَ فَهمنا لحضارتنا، بإصرارنا على فهمنا للغتنا، لا بوصفها وسيلةً للتعبير اليومي الحياتي فحسب، بل بوصفها مخزوناً ثقافيّاً مطبوعاً بمؤثرات تعاقبت عبر العصور وأوصلت إلينا ما يشير إلى هذه المؤثرات. وهذا يؤكد لنا ضرورة إتمام تطوير لغتنا مستفيدين من المؤثرات الحداثية.

وإن الجهود المجمعية، على تشعّبها وتفاوت قدراتها في زمان بدأ طغيان الاستسهال والتهاون يعطّل نجاعتها، عليها أن تبقى ثابتة في إصرارها على حفظ مكانة اللغة في نفوس أبنائها، حتى تبقى المجامع عنصراً مركزيّاً في التدقيق فيما يظهر من مصطلحات، وهي قادرة على الإسراع في إنتاجها متساوقةً مع الحداثة، متجاوبةً لضغوط تنثرها العولمة الصاخبة محاولةً إشعار المجتمعات بدونيَّتها.

أملنا أن يعود مجتمعنا إلى وعيه الحضاري بعد انقشاع ما أحاط ببلادنا من غُمّة سابغة بدأت تنخر في العلاقات بين الأفراد تشكيكاً بانتمائهم، وأن يرجع الأفراد إلى ثقافتهم الأثيلة ليعودوا إلى الانغماس في ذاتيتهم الثقافية التي تمثل تطلّعات لا يمكن التعبير عنها بصدق إلا باللغة الأم.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

مقاربة في الدرس الصرفي النحوي
التركيب المزجي تحقيقه وإعرابه

د. ممدوح خسارة(*)

ثمَّة تركيب لغويّ يمرُّ عليه الصرفيون والنحاة مرّاً سريعاً دون أن يَخصُّوه ببحث مستقل وهو (التركيب المزجي)، وغالباً ما يوردونه في ثنايا بحث (الممنوع من الصرف). فهم في ذلك الموضع يشيرون إلى منع الاسم من الصرف لعلَّتَي العلمية والتركيب المزجي(١)، ويتعاورون أمثلته المعدودة التي لا يتجاوزونها، وهي (حَضرموت، بَعْلَبك، مَعْدِ يكرب، نَبُخَذْ نصر، قَالي قلا، أيادي سبا)، ويضيفون إليه أحياناً كلمات معرَّبة مثل (طَبْرستان، سيبويه، رام هرمز).

أما في العصر الحديث فقد كثر هذا التركيب بداعي الحاجة إليه من مثل (البَرّمائي، اللامركزيّ، الرَّأْسمالية، الشرق أوسطيَّة).

لكنَّ هذا التركيب يحتاج إلى كثير من الدرس والتحقيق، لتَحْسُن الإفادة منه في العربية المعاصرة، وأهم ما يجب درسه والبحث فيه تحقيقُه وضبطُه الإعرابي.

(*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

(١) ينظر مثلاً شرح شذور الذهب ٢: ٨٣٤ والنحو الوافي ١: ١٧٦.

أولاً: تحقيق التركيب المزجي وتحريره:

ونعني بذلك تخليص مفهوم التركيب المزجي مما التبس به من مفاهيم، سواء عند القدماء أو المحدثين. وهي ثلاث مُلْتَبَسات:

١) الخَلْط بين مفهوم التركيب المزجي والنحت:

كثيراً ما يختلط مفهوم التركيب المزجي بمفهوم النحت عند المحدثين. إذ يظنُّ كثير من المحدثين أن كلمات مثل (برمائي، الرأسمالي[٢]، اللاسلكي، اللاأَدْرِيَّة...)[٣] هي كلمات منحوتة، ويقيسونها على نحو البَسْملة والحوقلة أو الحولقة، وهذا ظنٌّ خاطِئٌ ووهم باطل؛ ويظهر ذلك من المقارنة بين حدِّ كلٍّ منهما والآخر.

فحَدُّ النحت عند ابن فارس: «أن تؤخذ كلمتان وتُنْحَتَ منهما كلمةٌ تكون آخذة منهما جميعاً بحظّ، والأصل في ذلك ما ذكره الخليل من قولهم: حَيْعَل الرجل: إذا قال: حيَّ على الصلاة»[٤]. وهو عند السيوطي نقلاً عن ابن فارس: «العرب تنحت من كلمتين كلمةً واحدة **وهو جنس من الاختصار**، وذلك رَجُلٌ عَبْشَميّ منسوب إلى اسمين [أي عبد شمْس]»[٥]. أما صاحب كتاب الاشتقاق فقد كان أكثر تحديداً عندما قال: «والنحت في اصطلاح أهل اللغة هو أخذ كلمةٍ من كلمتين أو أكثر، مع المناسبة بين المأخوذ والمأخوذ منه في اللفظ والمعنى معاً، بأن تعمد إلى

(٢) د. محمود شلتوت ومصطفى الشهابي – تعليق على بحث النحت – مجلة مجمع القاهرة ١٣: ٧٧.

(٣) ساطع الحصري – في اللغة والأدب: ١٤١ – ١٤٢.

(٤) ابن فارس – مقاييس اللغة ١: ٣٢٨ – ٣٢٩.

(٥) السيوطي – المزهر في اللغة ١: ٣٣٧.

كلمتين أو أكثر فتسقط من كلٍّ منها أو من بعضها حرفاً أو أكثر، وتضمّ ما تَبَقَّى من أحرف كل كلمة إلى الأخرى **وتؤلف منها جميعاً كلمة واحدة فيها بعض أحرف الكلمتين أو الأكثر وما تدلان عليه من معان**»[٦].

وأشكال النحت هي:

– نحت فعليّ من اسمين، نحو (بَسْمَلَ) من بسم الله.

– نحت فعليّ من جملة، نحو (حَوْلَق وحَوْقَلَ) إذا قال: لا حول ولا قوة إلا بالله.

– نحت اسمي من اسمين، نحو (الحَزْرَمة) من الحزم والرأي.

– نحت نسبي من علم مركَّب إضافيّ، نحو (عَبْقَسي) من عَبْد قيس.

وبناء على ما تقدم فإن ما يميِّز النحت ثلاثة أشياء:

١ – حَذْف بعض حروف الكلمتين أو الجملة المنحوت منها كلمة، ففعل (سَبْحَل) المنحوت من عبارة (سُبْحان الله)، حذف منه الألف والنون واللام الثانية والهاء.

٢– الصلة القوية المباشرة بمعنى كُلٍّ من الكلمتين المنحوت منهما، فكلمة (الحَزْرَمَة) معناها هو معنى أصلها تماماً وهو اجتماع الحزم والرأي.

٣– الغرض منه اختصار جملة أو مركَّب إضافي شائع ومتداول فقولهم (دَمْعَزه) اختصار لجملة طويلة مسموعة كثيراً وهي (قال له أدام الله عِزَّك).

أما التركيب المزجي فحدُّه: «**ضمّ كلمتين إحداهما إلى الأخرى، وجعلهما اسماً واحداً إعراباً وبناء، سواء أكانت الكلمتان عربيَّتين أم معرَّبتين**»[٧].

(٦) عبد الله أمين – الاشتقاق: ٣٩١.

(٧) مجمع اللغة العربية بالقاهرة – في أصول اللغة ١: ٥٢.

أو «كل كلمتين اختلطتا بأن اتصلت ثانيتهما بنهاية الأولى، حتى صارتا كالكلمة الواحدة»(٨).

ويُستنتج مما سبق أن التركيب المزجي ينماز عن النحت بما يلي:

أ – لا يشترط في التركيب المزجي حذف أيّ حرف من الكلمتين المتضامتين. فَحَضرمَوت وبَعْلَبكّ، وبَرْمائيّ، نسبة إلى (بَرٍّ و ماء) لم يحذف أيُّ حرف من أيٍّ من هاتين الكلمتين، بل ضُمَّت كل منهما إلى الأخرى بتمامها فصارتا كالكلمة الواحدة.

ب – الكلمة المتولِّدة من التركيب المزجي ذات دلالة جديدة لا صلة لها مباشرة بالكلمتين الممزوجتين، فكلمة (حَضرمَوْت) اسم عَلَم لمكان لا صلة لها بمعنى الفعل (حَضر) أو الاسم (مَوْت)، وكلمة (رأسماليّة) لا صلة دقيقة لها بكلمة (الرأس) وحدها أو المال وحدها، وإنما هي لدلالات جديدة لا تؤخذ من الكلمتين مباشرة، أما الكلمة المنحوتة فتأخذ من كُلٍّ من الكلمتين المنحوتة منهما بحظٍّ من المعنى كما يقول ابن فارس.

ج – ليس الغرض من التركيب المزجي الاختصار كما ذكر السيوطي عن النحت. بل هو توليد دلالة جديدة. فالتركيب المزجي (مَعْدي كرب) لم يختصر شيئاً من أيٍّ من كلمتيها، بخلاف نحو (سَبْحَل) التي تختصر عبارة طويلة هي (قال سبحان الله).

د – يُجْرَى النحت على كلمتين أو جملة شائعة جدّاً ومفهومة تماماً، حتى إن سماع بعض حروفها يُحيل عليها، فقولهم (رجل عبشميّ) يحيل على اسم العلم (عبد شمس)، و (حَمْدَل) يحيل على جملة اسمية لا تغيب عن الألسنة والأذهان وهي (قال

(٨) عباس حسن – النحو الوافي ٤: ٢٢٧ .

الحَمْد لله). وقولهم (جَعْفَده) يحيل على جملة فعلية بل إلى جملتين هما: (قال له جعلني الله فِداك). أما التركيب المزجي فهو يحيل على كلمتين متباعدتي الدلالة من نحو (حَضر ومَوْت، وأيادي وسَبا)، ولا يشيع استعمالهما معاً غالباً إلا في حالة المَزْج، وذِكْرُ إحداهما لا يُنبئ بِذِكْر الثانية حتماً ولا يحيل عليها.

هـ-قد يكون النحت من تركيبٍ إضافي نحو (تَيْمَليّ) من تيم الله، أو من مركب إسنادي نحو (دَمْعَز) من (قال له: أدام الله عزَّك).

أما التركيب المزجي فلا يكون إلا من كلمتين مستقلتين نحو (معدي كرب، وقالي قلا) عند القدماء، ونحو (رأس المالِ، اللاسلكي) عند المحدثين.

٢) الخلط بين التركيب المزجي والأسماء المعرَّبة:

ثمة خَطَأٌ منهجي وقع فيه النحاة القدماء والمحدثون، وهو عدُّهم الأسماء الأعجمية المعرَّبة من المركبات المزجية، جاء في شرح شذور الذهب: « المركب المزجي نوعان: ما خُتِم (بويه) كسيبويه وخالويه ونفطويه... وثانيهما ما خُتم بغير (وَيْه) [ويعنون به مثل رام هرمز وطبرستان][٩]» ومثل «بُرْسعيد ونيويُرك»[١٠]، وكذا الأسماء التركية التي مازالت في بعض الوثائق العربية في ذلك العهد مثل (الخازِنْدار والبَيْرَقْدار والتَّحْصَلْ دار). وإذا بدا لبعضهم أن هذه كلمات عربية ركبت مزجيّاً[١١]، فالأمر ليس كذلك عندنا، إذ هي كلمات عربية أخذتها التركية،

(٩) شمس الدين الجوجري– شرح شذور الذهب – تح: نواف الحارثي ٢: ٨٣٤.

(١٠) عباس حسن – النحو الوافي ٤: ٢٢٩.

(١١) عباس حسن – النحو الوافي ١: ٣٠٢.

ولكنَّ تركيبها خارجٌ عن النظام النحوي العربي وهو يخضع لنظام فصيلة لغوية مغايرة تماماً لفصيلة اللغات الجزيرية العروبية. بخلاف تراكيب مثل (حضرموت وبيت لحم..) فهي من فصيلة لغوية مشتركة مع العربية العدنانية. فالحكم فيها أنها كلمات معرَّبة لا غير.

والخطأ المنهجي هنا هو طَرْدُ القاعدة الصرفية في اللغة العربية على غيرها من اللغات، فالتركيب المزجي خاصّ بكلم العربية ومفرداتها، ولا يجوز إخضاع الكلمات الأجنبية المعّربة له، فنحن لا ندري ما أصل ذلك العَلَم وغيره في لغته، حتى ولو كان كذلك فيها لما كان له أثر في التعامل معه في العربية. **والصواب هنا عدُّ الأسماء المعرَّبة التي وُصِفت بأنها مركبات مزجيَّة، عدُّها أعلاماً معرَّبة**، تنطبق عليها قواعد النحو العربي من حيث الإعراب ومَنْع الصرف، أي يجب إخراج أسماء الأعلام الأجنبية من مبحث التركيب المزجي، وإبقاؤها في مبحث الممنوع من الصرف. ولذا فلن نَعُدَّ ما قَعَّدوا عليه من أسماء معرَّبة من مثل (سيبويه وطبرستان) مَوْضِع استدلال في سائر بحثنا، لأنها ليست ألفاظاً عربية. فإذا قيل ألم يَعُدَّ النحاة (بعلبك وبختنَصر ومعد يكرب) تراكيب مزجية؟ قلنا: بلَى، لأن تلك الأسماء من اللغات العروبية القديمة من أخوات العربية العدنانية التي نبحث فيها، وقواعدها تصدق على أخواتها عامَّة. وكان بعض الصرفيِّين قد وقعوا في الخطأ المنهجي نفسه عندما حاولوا وزن الكلمات المعرَّبة وفق الميزان الصرفي العربي الذي يقوم أصلاً على التمييز بين الحروف الأصلية والحروف الزائدة في الكلمة، وهذا الاعتبار لا ينطبق على اللغات الأجنبية، ذلك أن مقولة الأصالة والزيادة في أحرف الكلمة هي خاصة بالعربية. وهذا ما حَمَل بعضَ اللغويين على أن يقولوا: «إن

الأسماء الأعجمية لا توزن، لتوقُّف الوزن على معرفة الأصلي والزائد، وذلك لا يتحَقَّق في الأعجمية»[١٢].

٣) فصل التركيب المزجي المقصود في بحثنا عن غيره من التراكيب التي عُدَّت عند كثير من النحويين مزجيَّة، ونرى أن يُفْصل بعضها عن بعضها الآخر لاختلاف ضوابطها الإعرابية. وإن كانت قد تدخل عُموماً في حدِّ التركيب المزجي. جاء في قرار مجمع اللغة العربية بالقاهرة: «المركَّب المزجي ضمُّ كلمتين إحداهما إلى الأخرى، وجعلُهما اسماً واحداً إعراباً وبناء، ويكون ذلك في أعلام الأشخاص وأعلام الأجناس، والظروف والأحوال والأصوات والمركبات العددية»[١٣]. ويلحظ أنهم جعلوا منه المركبات الظرفية مثل (صباحَ مساءَ) والمركبات الحالية، نحو (بيتَ بيتَ) في مثل قولهم (هو جاري بيتَ بيتَ أي ملاصقاً)، والمركب الصوتي مثل (خازِ بازِ) لصوت الذباب، والمركبات العددية مثل (أحد عشر وتسعة عشر)، وإذا كان حدُّ المركب المزجي ينطبق شكليّاً على هذه الأنواع، فإنَّ لكل واحد منها أحكاماً تميِّزه من غيره، ولا سيما في الدلالة والضبط الإعرابي. وكان الصَّبان في حاشيته على الأشموني قد فصل المركب العددي عن غيره من المركبات التي وُصفت بالمزجية عندما قال: «التراكيب على أنواع ومنه: المركب الإسنادي والتركيب المزجي والتركيب الإضافي والتركيب العددي». وإذا كان الصبان قد فصل التركيب العددي عن غيره من التراكيب فلأسبابٍ مشابهة نفصل التركيب المزجي المقصود عندنا عن التراكيب الحالية والظرفية والصوتية، فإذا كان الشكل يوحد بينها فإن الدلالة والضبط الإعرابي يفرقان بينها.

(١٢) الشهاب الخفاجي – شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل: ٢٣.

(١٣) مجمع اللغة العربية بالقاهرة – في أصول اللغة ١: ٥٢.

وقد توصَّلنا – لكي تستقيم أحكامُنا اللاحقة – إلى التعريف الآتي للتركيب المزجي:

(فهو كل كلمتين اختلطتا بأن اتصلت ثانيتهما بنهاية الأولى حتى صارتا كالكلمة الواحدة، ممّا سوى المركبات العددية والظرفية والحالية والصوتية).

نخلص مما سبق إلى أن التركيب المزجي هو ما خرج منه:

- الأعلام المعرَّبة (كرام هرمز وسيبويه ونيويورك) التي تحكمها قواعد منع الصرف.
- المركبات العددية والحالية والظرفية التي تحكمها قاعدة البناءعلى فتح الجزأين.
- المركب الصوتي الذي تحكمه قاعدة البناء على الكسر أو الإعراب.

وعلى هذا فأشكال التركيب المزجي المتحصَّلة والثابتة لدينا سبعة وهي:

أ – ما هو أصيل منها في العربية مثل (بعلبك وحضرموت ومعد يكرب وبيت لحم).

ب- ما هو معدول عن تركيب إضافي مثل (الرأسمال) من (رأس مال) و(الجنوب إفريقي) نسبة إلى جنوب إفريقية، وإذا قيل: إن المضاف لا يعرَّف، قلنا: لم يعد هذا التركيب تركيباً إضافيّاً، بل صار تركيباً مزجيّاً، أي صار كلمة واحدة بحسب حدِّ التركيب المزجي.

ويلحق بهذا التركيب ما كان مركباً من كلمة أعجمية وكلمة عربية مثل (بورسعيد)، إذ أضيفت الكلمة الأعجمية (بور) بمعنى ميناء، إلى الكلمة العربية (سعيد)، وتُعَدُّ عربية على وجه التغليب.

ج- ما هو معدول عن تركيب وصفي مثل (الشرق أوسطية) من (الشرقُ الأوسطُ).

د – ما هو معدول عن اسم منفي مثل (اللاسلكي) من (لا سلك) واللاهوائية من (لا هواء).

هـ- ما هو معدول عن فعل منفي مثل (اللاأدريَّة)، نسبة إلى فعل (لا أدري)، وهي مذهب كلامي.

و – ما هو معدول عن مركب نَسَقي من معطوف ومعطوف عليه، مثل (برمائي) من برّ وماء، و(السَّمعيبصريّ) من سَمْعيّ وبَصريّ.

ز- ما هو خارج عن التركيب العربي السليم، مأخوذ من التركية، من نحو (خازِنْدار).

ثانياً: إعراب التركيب المزجي:

نقدم بين يدي الضبط الإعرابي للتركيب المزجي تنبيهات ثلاثةً هي:

أ- إن المباحث النحوية القديمة لم تتعرض لضبطه الإعرابي، إلا ما كان منها عَلَماً، إذ قَعَّدت له في مبحث الممنوع من الصرف، أما المباحث النحوية المعاصرة فقد لامَسَتْه بما لا يفي أو يوضِّح.

ب- ثمة صعوبة في الإفادة من أحكام النحاة القدماء والمحدثين في الضبط الإعرابي للتركيب المزجي مردُّه إلى أن أولئك النحاة – على علُوّ كعبهم – خلطوا كما بيَّنا، بين التركيب المزجي العربي وما عَدّوهُ مركَّباً مزجيّاً من أسماء الأعلام الأعجمية المعرَّبة كسيبويه ورام هرمز وطبرستان ونيويُرك وجاردن سيتي[١٤].

(١٤) عباس حسن – النحو الوافي ٤: ٢٢٨.

ج- إن ما نعنيه بالتركيب المزجي – إذن – هي الأشكال السبعة التي تحصلت لدينا، أي التركيب المزجي الأصيل الموروث، وما هو معدول عن مركب إضافي أو وصفي أو نَسَقيّ أو منفي أو ملحون، وهي التي ذكرناها آنفاً وأمثلتها نحو: حَضرموت، معد يكرب، برّمائي، الرأسمالية، الشرق أوسطية، اللاسلكي، الخازندار.

سوف نذكر أقوال بعض النحاة القدماء والمحدثين حول إعراب التركيب المزجي، ثم نستنتج ما نراه صواباً أو أقرب إلى الصواب.

• قال الزمخشري(١٥): «ومن قال (هذا مَعْد يكربَ) فإنما ركبهما وجعلهما اسماً واحداً، وأَعْرَبَ الثاني [أي كرب](١٦) إلا أنه منعه الصرف لاجتماع العلمية والتركيب وهما علتان من موانع الصرف، وبَنَى الأول [أي معدي] لأنه بمنزلة الجزء من الكلمة، فهو كصدر الكلمة من عجزها، وكان القياس فيه [مَعْديَ] إلا أنهم تركوا الفتح وأسكنوه، وكذلك ما جاء من ذلك نحو (قالي قلا، وأيادي سبا، وثماني عشرة)...واللغة الثانية [في معد يكرب] أن تقول (هذا مَعْدي كَرِبٍ)، فتضيف (معدي) إلى (كرب) وتجعل (كرباً) اسماً مذكَّراً، وتصرفه لذلك وتنوِّنه ... ومن قال (هذا معد يكربَ) ففتح على كل حال فيحتمل أمرين: أولهما أن يكون مضافاً إلى (كرب) عَلَماً فتمنعه الصرف فيكونُ الاسمانِ معرَبين على هذا ...والثاني أن يكونا مركبين مبنيَّيْن على حد خمسة عشر، كأنه ركبهما وبناهما قبل التسمية»ا. هـ.

ويلاحظ أن البحث هنا كان مخصوصاً بالمركب المزجي العَلَم الذي جزؤه الأول منته بياء.

(١٥) الزمخشري – شرح المفصل ١: ٦٦.

(١٦) ما بين حاصرتين زيادة من الباحث للتوضيح.

• وقال المرادي في توضيح المقاصد[١٧]: «والنوع الثاني من التركيب المزجي ما ختم بغير (ويه)، فهذا فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: وهو الأرجح، أن يعرب إعراب ما لا ينصرف ويبنى صدره الأول على الفتح نحو (بَعْلَبَك) إلا أن يكون ياء نحو (مَعْدِيْ كَرِب)، فإنها تُسَكَّن، أو نوناً نحو (باذِنْجانة)».

ويلحظ هنا أن المرادي يشير إلى أن التركيب المزجي يُبْنَى على فتح الجزأين إلا إذا كان الجزء الأول منتهياً بياء أو بنون ساكنة، فإنه [أي الجزء الأول] يبنى على السكون أو يُسَكَّن. ويلحظ أيضاً أن المرادي أدخل في التركيب المزجي الأسماء المعرَّبة غير الأعلام كباذنجانة، وهي تخرج عندنا من مفهوم التركيب المزجي لما بيَّنا.

• وقال عباس حسن[١٨]: «أشهر أحكام المركب تركيبَ مَزْج غير العددي وأشباهه [أي الظرفي والحالي والصوتي]:

أ – أن يُتْرَك آخر جزئه الأول على حاله قبل التركيب من السكون أو الحركة ونوعها، فلا يتغيَّر ضبط آخر ذلك الجزء الأول مطلقاً بعد التركيب ولو كان واواً ساكنة أو ياء ساكنة، ولا يجري عليه إعراب ولا بناء، ولا يُنْظر إليه إلا على اعتباره بمنزلة جزء من كلمة واحدةٍ وليس كلمة مستقلَّة، ولهذا يتَّصل بالثاني كتابةً إن أمكن وصلُ حروفهما الهجائية.

ب – يجري الإعراب على آخر الجزء الثاني وحده، فيُعرب إعراب الممنوع من الصرف، فيُرْفَع بالضمَّة وينصب بالفتحة ويُجَرّ بالفتحة نيابة عن الكسرة مع امتناع

(١٧) المرادي: توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك ٢: ١٢٠٤.

(١٨) عباس حسن – النحو الوافي ٤: ٢٢٩.

التنوين في الحالات الثلاث كالشأن في كل اسم ممنوع من الصرف مجرد من (ال) والإضافة، ومن الأمثلة: (غادرنا نيويوركَ في طائرة قاصدين إلى بَعْلَبَكَّ فوصلناها، ولما نزلنا مطارها [!!] قال المذيع من كانت بُرْسعيدَ غايته فليستعد فهذه الطائرة متجهة إليها).

ج – من العرب من يجعل الجزء الأول مضافاً تجري عليه جميع حركات الإعراب على حسب حاجة الجملة، ولا يمنع من الصرف مادام مضافاً، ويكون الثاني هو المضاف إليه المجرور دائماً، فإن كان الأول (المضاف) مختوماً بحرف عِلَّة قُدِّر على هذا الحرف جميع حركات الإعراب حتى الفتحة رفعاً ونصباً وجَرّاً ومن غير مَنْعِ صرفٍ، ولا فرق في هذا بين الألف والواو والياء، ثم يجيء بعده القِسم الثاني المضاف إليه، فيكون ممنوعاً من الصرف إن استحقَّ المنع وإلا فينصرف. وعلى هذا يُفْصل الجزءان في الكتابة: (هذه بَعْلُ بَكٍّ، زُرْتُ بَعْلَ بكٍّ، تمتَّعْتُ بِبَعْلِ بَكٍّ)، ومثال ما يكون فيه الأول صحيح الآخر معرباً ويكون المضاف إليه ممنوعاً من الصرف: (من أشهر المدن الفارسية رامُ هُرْمُزَ، عرفْتَ رامَ هُرْمُزَ، في رامِ هُرْمزَ صناعات يدويَّة دقيقة)، فكلمة (رام) في الأمثلة السابقة معربة على حسب الجملة وهي مضاف، وكلمة هرمز مجرورة بالفتحة بدل الكسرة في كل الاستعمالات لأنها عَلَمٌ أعجميّ يُمْنع من الصرف. ومثال المضاف الذي آخره حرف علَّة تقدَّر عليه جميع الحركات وبعده الجزء الثاني (المضاف إليه) غير ممنوع من الصرف (صافي وُرود) اسم قرية مصرية، تقول: (صافي ورودٍ في الصحراء الغربية، أرغب في أن أشاهد صافي وُرودٍ، لم أذهب إلى صافي ورُودٍ) (بسكون الياء)، فكلمة (صافي) مرفوعة بضمَّة مقدرة على الياء ومنصوبة بفتحة مقدرة عليها ومجرورة بكسرة

مقدَّرة أيضاً، وهي مضافة، وكلمة (ورُود) مضاف إليه مجرورة منوَّنة لأنها غير ممنوعة من الصرف لعدم وجود ما يقتضي المنْعَ. ومثلها (معدي كرب) اسم رجل، وهو مركَّب من جزأين... ومثال معتل الجزء الأول الذي يليه الجزء الثاني ممنوعاً من الصرف (رضا عائشة) اسم امرأة فارسية و (حادي شَمَّر) اسم مدينة، وكذا (نيويورك) » ا.هـ.

وبعد أن أوردنا أقوال نحاة، ولاسيما عباس حسن على طوله وتشعُّبه فإننا نورد الآن ما نراه ملخص كلامه وهو قوله:

«والمراد بالتركيب المزجي كل كلمتين امتزجتا؛ أي اختلطتا بأن اتصلت ثانيتُهما بنهاية الأولى حتى صارتا كالكلمة الواحدة من جهةِ أن الإعراب والبناء يكون على آخر الكلمة الثانية في الرأي الأشهر، أما آخر الكلمة الأولى فقد يكون ساكناً نحو (بُرْ سعيد، نيُوْيورك)، وقد يكون متحركاً بالفتحة وهو الأكثر نحو (طَبْرَستان، خالَوَيه، سيبَويه)، في لغة من يعربها ولا يبنيهما: حَضرمَوت، بعلبك»[١٩].

وواضح بعد ما قدمنا أننا نختلف مع صاحب النحو الوافي في جمعه التراكيب المزجية العربية والأسماء المعرَّبة الأعجمية في قُراب واحد، فنحن نعدُّ الأسماء الأعجمية المعرَّبة كلمات تجري عليها في تعريبها ضوابط التعريب اللفظي صرفاً وبنية، وتجري عليها في إعرابها أحكام الممنوع من الصرف. أما التركيب المزجي بأشكاله السَّبعة التي ذكرناها فهي ما نحاول استخلاص ضبطه الإعرابي وهو جوهر بحثنا.

(١٩) عباس حسن – النحو الوافي ٤: ٤٢٧.

• وجاء في معجم القواعد العربية[٢٠]: «التركيب المزجي هو أن يُجْعل الاسمان اسماً واحداً لا بإضافة ولا إسناد، بل ينزَّل عَجُزُه من صدره منزلة تاء التأنيث كبعلَبَك وبُخْتَنَصر».

ويفهم من كلام المصنِّف أن الجزء الأول من التركيب المزجي مبنيٌّ على الفتح دائماً لأن ما قبل تاء التأنيث مفتوح. كما يُفهم أن الإعراب يظهر على آخر الجزء الثاني لأن تاء التأنيث هي موضع حركة الإعراب وهو آخر الكلمة.

• وقال الأفغاني[٢١]: «التركيب المزجي هو أن تعتبر الكلمتان كلمة واحدة، فيُبْنَى جزؤها الأول على الفتح، ويعرب الجزء الثاني إعراب الممنوع من الصرف: (لم يُعَرِّج بَخْتَنَصر على بَعْلَبَكَّ ولا حَضرموتَ».

وليس في كلامه إضافة على ما هو متعالم.

• وجاء في (النحو المصفَّى)[٢٢]: «حضرموت ومعدي كرب... الكلمات السابقة من التركيب المزجي... ومعناه أن تمتزج كلمتان فتصيرا كلمة واحدة، ويكون الإعراب حينئذ على آخر الكلمتين الممزوجتين فتقول مثلاً (إنَّ بورسعيدَ مدينة ذات شهرة)».

• ويفهم من كلامه أن حركة الإعراب تكون على آخر الجزء الثاني ولم يتعرض لحركة آخر الجزء الأول بعد أن صار الجزآن كلمة واحدة.

---

(٢٠) عبد الغني الدقر– معجم القواعد العربية ٤: ١٥.

(٢١) سعيد الأفغاني – الموجز في قواعد اللغة العربية ١: ١٨٠.

(٢٢) محمد عيد – النحو المصفى.

نستنتج من كلِّ ما سبق أن لنا في إعراب التركيب المزجي خيارين:

الأول: بناء الجزء الأول منه على الفتح إذا كان آخر هذا الجزء حرفاً صحيحاً، وبناؤه على السكون إذا كان آخر هذا الجزء حرف عِلَّة. وإعراب الجزء الثاني بحسب موقع المركب المزجي كاملاً من الجملة، فنقول مثلاً: (كان مَعْديكربُ فارساً وإن معد يكربَ فارسٌ، وأُعجبْت بمعديكربَ) ونقول: (هذه بَعْلَبَكُّ، وزُرْت بَعْلَبَكَّ، ومررت ببَعْلَبَكَّ) أي يعامل جزؤه الأول كالجزء الأول من المركب العددي. أما جزؤه الثاني فيعامل بحسب موقع المركب المزجي من الجملة إعراباً بحركة مناسبة ظاهرة أو مقدَّرة، سواء أكان هذا الجزء الثاني مصروفاً أو ممنوعاً من الصرف.

الثاني: أن يعرب الجزء الأول بحسب موقعه من الجملة، ويضاف إلى الجزء الثاني الذي يعرب مجروراً بالإضافة، فيقال مثلاً:

كان معدي كربَ فارساً، وإنَّ معدي كربَ فارسٌ، وأعجبت بمعدي كربَ (بحركة مقدرة على الياء)، وهذه بَعْلُ بَكٍّ وزرت بَعْلَ بَكٍّ ومررت ببْعلِ بَكٍّ).

لكنَّ التراكيب المزجية المعاصرة مثل (الرأسماليّة واللاسلكي وبرّمائي وسَمْعيّ بصريّ) لا تصح فيها الإضافة، إما لأن جزأها الأول معرَّف بأل، أو لأن أصلَها اسمٌ أو فعل منفيان، أو تركيبٌ نسَقيّ أو تركيبٌ وصفيّ. فلم يبق أمامنا إلا الخيار الأول وهو:

أن يُبنى آخر جزئها الأول على الفتح إذا كان حرفاً صحيحاً وعلى السكون إذا كان معتلاً وأن يعرب آخر الجزء الثاني بحسب موقع التركيب المزجي كاملاً من الجملة فيقال:

أخفقَت الرأسَماليَّةُ.

وطوَّرنا الرأسَماليّةَ.

وتحوَّلنا عن الرأسَماليَّةِ.

أو: نجَحت سياستُنا الشرقَ أوسطيَّةُ.

وعارض العدو سياسَتَنا الشرقَ أوسطَّيةَ.

ووافق الأصدقاء على سياستنا الشرقَ أوسطيَّةِ.

وذلك ببناء الجزء الأول (الرأس، الشرق) على الفتح، وإعراب الجزء الثاني (ماليه – أوسطية) بحسب موقع التركيب المزجي من الجملة.

ويَعْضد ما ذهبنا إليه أن كلمة (الدارقطنيّ) وهي تركيب مزجي في النسبة إلى (دار قطن) التي ضُبِطت في معجم تاج العروس على ما ذكرنا من القاعدة إذ جاء فيه:

- «هو عندي من تخريجِ الدارَقُطْنيِّ» / فأل
- «وهو من شيوخ الدارَقُطْنيِّ» / سكف
- «قال الدارَقُطْنيُّ» / د خ م
- «ذكره الدارَقُطْنيُّ» / ق ر ض م

ويلاحظ أن الزبيدي بنى الجزء الأول على الفتح، وأعرب الجزء الثاني بحسب موقع التركيب المزجي من الجملة جرًّا على الإضافة، ورفعاً بالفاعلية.

وإلى مثله ذهب الحافظ الذهبي في سير أعلام النبلاء:

– جاء فيه: «أخبرنا المقرِئُ المُجَوِّد محمدُ بن جوهر التَّلَّعْفَريُّ»[٢٣]. أي بُني آخر الجزء الأول وهو (التلّ) على الفتح، وأُعرب الجزء الثاني (عفريّ) بحسب موقع التركيب المزجي من الجملة عطفَ بيان على محمد المرفوع.

– ولكن لا بدَّ من الاعتراف بأن معظمنا قد يُحِسُّ قليلاً أو كثيراً من الثِّقل على النطق والسمع عندما لا تطابق حركة آخر الجزء الأول حركة آخر الجزء الثاني، فإذا خفَّ على السمع نحو (عارضَ سياستَنا الشرقَ أوسطيَّةَ) فليس الأمر كذلك في قولنا (نَجَحَتْ سياستُنا الشرقَ أوسطيَّةُ)، أو (وافَقَنا على سياستِنا الشرقَ أوسطيَّةِ) لذا نرى أن تعرب مثل هذه التراكيب المزجية المعرَّفة من مكانَيْن، فيعرب آخر الجزء الثاني بحسب موقع التركيب المزجي من الجملة ويُتْبَع به [أي بالموقع] آخر الجزء الأول فيقال مثلاً:

نجحَتْ سياستُنا الشرقُ أوسطيَّةُ.

وعارض سياستَنا الشرقَ أوسطيَّةَ

ووافق على سياستِنا الشرقِ أوسطيَّةِ.

ويقال: أخفقت الرأسُماليَّةُ.

وطوَّرْنا الرأسَماليَّةَ.

وعَدَلْنا عن الرَّأْسِماليَّةِ.

فيعُرب المركب المزجي في الجملة الأولى فاعلاً مرفوعاً بالضمة الظاهرة وفي الثانية مفعولاً به وفي الثالثة اسماً مجروراً. وهو في كل ذلك كلمة واحدة.

(٢٣) الحافظ الذهبي – سير أعلام النبلاء ٢٠: ٩٤.

ونحن في هذا الاجتهاد نستصحب حالتين قريبتين إلى حدٍّ ما ممَّا نحن بصدده:

أولاهما: أحكام إعراب الأسماء الستة التي ذهب بعض النحاة إلى أنها مُعْرَبَة من مكانين على حدِّ تعبير الزمخشري حيث قال: «وذهب الكوفيون إلى أنها معربة من مكانين بالحروف والحركات التي قبلها، فإذا قلت: (هذا أخوك)، فهو مرفوع، والواو علامة الرفع والضمَّة التي قبلها [أي ضمة الخاء]، وإذا قلت: (رأيت أخاك)، فالألف علامة النصب والفتحة التي قبلها، وإذا قلتَ: (مرَرْتُ بأخيك)، فالياء علامة الجر والكسرة التي قبلها»[٢٤] وهذا القول الذي وصفه الزمخشري بالضَّعف هو ما ذهب إليه البصريون ولكن بتعبير آخر، فهم لم يقولوا عن الأسماء الستة إنها تعرب من مكانين، ولكن قالوا ما هو قريب منه، إذ قال المرادي: «واعلم أن في إعراب هذه الأسماء الستة، عَشرةَ مذاهب ، وأقواها مذهبان: الأول مذهب سيبويه والفارسي وجمهور البصريين أنها مُعْرَبة بحركات مقدَّرة في الحروف وأُتْبع فيها ما قبل الآخِر للآخِر، فإذا قلت: (قام أَبُو زيدٍ) فأصله (قام أَبَوُ زيدٍ)، ثم اتبعت حركة الباء بحركة الواو فصارت (أَبُوُ زيدٍ)، فاستثقلت الضمَّة على الواو فحُذفت [أي حذفت الضمة من الواو]، فصارت قام أَبُو زيدٍ)»[٢٥].

ثانيتهما: ظاهرة إتباع الحركات بعضها ببعض في كلمتين لغرضِ توخِّي الخفَّة

(٢٤) ابن يعيش – شرح المفصل ١: ٥٢ .

(٢٥) المرادي – توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك ١: ٣١٣.

في النطق، كما في قراءة (الحَمْدِ لِلّه)[٢٦]، حيث أتبعت حركة الإعراب في الجزء الأول من التركيب الإسنادي (الحمْدُ) بحركة البناء في الجزء الثاني منه وهو لام الجر في كلمة (لِلّه). أو كما في إتباع حركة المَبْنَى بحركة الإعراب في كلمة (امرُؤ)، حيث تَتْبعَ حركة الراء في وسط الكلمة حركةَ الإعراب فيها، إذ يقال: (جاء امْرُؤٌ ورأيت امْـرَأً ومررت بامْرِئٍ).

ومما يعضد ما ذهبنا إليه أن بعض كتب التراث أعربت المركب المزجي من مكانين أي على الجزأين، جاء في كتاب سير أعلام النبلاء: «المسيب بن واضح بن سرحان السُّلَميُّ التَّلُّمَنَّسي ... الإمام المحدث العالم أبو محمد السُّلَمِيُّ التَّلُّمَنَّسي» أي بضم الجزء الأول وهو (التلّ) لأن هذا اللقب مركب مزجي كالتلَّعْفَريِّ والدارَقطنيِّ. على أن الكتاب نفسه ضبط الجزء الأول من المركب (التَّلَّعْفَريّ) بالفتح، وضبط الجزء الأول من المركب المزجي (التَّلُّمَنَّسي) بالرفع، وكلاهما في موضع رَفْع، فلا ندري هل هذان الضبطان للمؤلف الذهبي[٢٧] أم من اجتهاد المحققين؟

ونحن نرى مما سبق أنه يجوز في ضبط التراكيب المزجية المعاصرة وجهان:

الأول: بناء الجزء الأول منها على الفتح وإعراب الجزء الثاني بحسب موقع التركيب المزجي كاملاً من الإعراب في الجملة عملاً بأحكام إعراب التركيب المزجي في الأعلام عند القدماء فيقال مثلاً:

(٢٦) شهاب الدين الدمياطي – إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ١: ٢٣٢.

(٢٧) الحافظ الذهبي وسير أعلام النبلاء ٢١: ٤٧٧.

نجحَت سياستُنا الشرقَ أوسطيَّةُ

عارضَ سياستَنا الشرقَ أوسطيَّةَ

ووافق على سياستِنا الشرقَ أوسطيَّةِ.

الثاني: إتباع حركة الجزء الأول من التركيب حركة الجزء الثاني الذي يعرب بحسب موقع التركيب المزجي من الإعراب في الجملة، فيقال مثلاً:

أخْفَقت الرأسُماليَّةُ.

وطورَّنا الرأْسَمالِيَّةَ.

وعَدَلْنا عن الرأْسِماليَّةِ

وذلك استصحاباً لمقولة الإعراب من مكانين، ولظاهرة الإتباع اللفظي في العربية. وأنا إلى هذا الوجه أَمْيل وبه أقول.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

مصادر ومراجع البحث

١ – إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر – شهاب الدين الدمياطي – دار الكتب العلمية – ط١ – ١٩٩٨ – لبنان.

٢ – الاشتقاق – عبد الله أمين – القاهرة ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٦م.

٣– توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك – تح. عبد الرحمن سليمان – دار الفكر العربي– ط١– ٢٠٠٨ – مكتبة المحبة.

٤ – حاشية الصبان على شرح الأشموني – محمد بن علي الصبان – شبكة مشكاة الإسلامية. وقسم غير موافق للمطبوع.

٥– الحافظ الذهبي– سير أعلام النبلاء – تح. شعيب الأرناؤوط وآخرين– مؤسسة الرسالة – دمشق.

٦ – شرح شذور الذهب – الجوجري – تح. نواف الحارثي – نشر الجامعة الإسلامية – المدينة المنورة ط١ – ٢٠٠٤.

٧ – شرح المفصل– ابن يعيش – عالم الكتب ومكتبة المتنبي– ١٩٥٠ – القاهرة

٨ – شفاء الغليل – شهاب الدين الخفاجي – تح. عبد المنعم الخفاجي – القاهرة.

٩ – في أصول اللغة – مجمع اللغة العربية بالقاهرة تقديم أحمد مختار عمر – ط١ – ٢٠٠٣ – القاهرة.

١٠ – في اللغة والأدب – ساطع الحصري– دار العلم والملايين– ١٩٥٨– بيروت.

١١ – المزهر في علوم اللغة – السيوطي – تح. محمد أحمد جاد المولى وآخرين – دار الجيل ودار الفكر– ط١ – بيروت.

١٢– مقاييس اللغة – ابن فارس– تح. عبد السلام هارون – نشر مكتب الإعلام الإسلامي– ١٤٠٤هـ.

١٣ – النحو المصفى – محمد عيد – الناشر مكتبة الشباب – ١٩٨٧– القاهرة.

١٤ – النحو الوافي – عباس حسن – دار المعارف – ط٣.

الدوريات:

– مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة – ع ١٣– لعام ١٩٩٦.

دون كيخوته والموريسكيون

أ. د. عبد النبي اصطيف(*)

يكتب كارلوس ويزلي Carlos Wesley في التقديم لمقالته «متعة قراءة ***دون كيخوته***» التي نشرتها مجلة «***فيدليو***» عام ٢٠٠٣م، استعدادًا للاحتفال بمرور أربعة قرون على ظهور هذه الرائعة العالمية، إن مسحًا أجري عام ٢٠٠٢م، شمل عددًا كبيرًا من أبرز أدباء العالم، يمثلون جميع قاراته، من إفريقية إلى أسترالية وأوربة وآسيا وأمريكا، أظهر أنهم «اختاروا ***دون كيخوته*** بوصفها أفضل عمل قصصي عالمي»، بل إن بن أوكري Ben Okri الروائي النيجيري المولد والذي يكتب بالإنكليزية، قال مخاطبًا محدثه:

«إذا ما كان هناك رواية ينبغي أن تقرأها قبل موتك، فإنها رواية ***دون كيخوته***»(١).

وإذا ما تفحص المرء **طبيعة علاقة العرب بهذه الرواية**، وجوانب حضورهم فيها، فإنه لا محالة سيخرج بانطباع مفاده أنه لا يمكن استيعاب دلالاتها، التي لا تزال تؤرق الباحثين المعنيين بأدب ثربانتس من الإسبان وغيرهم، دون الإحاطة

(*) أستاذ في جامعة دمشق- كلية الآداب.

(١) انظر: **Carlos Wesley, "The Joy of Reading Don Quixote", Fidelio, Vo. XII, No. 3, Fall 2003.**

بجوانب الحضور العربي والإسلامي فيها[٢]. وربما كانت عظمة هذه الرواية تكمن في تسامي مؤلفها الإسباني الكاثوليكي على معاناته الشخصية من جانب، وتساميه، من جانب آخر، على موقف إسبانية الكاثوليكية من ماضيها الأندلسي، ومن مواطنيها المسلمين الذي دخلوا في الدين الحنيف في القرون التسعة التي أمضاها العرب في شبه القارة الأيبرية قبل أن يُطردوا منها، في حملة «**التطهير العرقي**» التي شرعها مرسوم الملك الإسباني عام ١٦٠٩، وتقديمه رؤية إنسانية بحق لقضية في غاية الحساسية بالنسبة لإسبانية في مُدَّة ظهور جزأي الرواية بين عامي ١٦٠٥ و١٦١٥[٣]، هي قضية تَنَكُّر إسبانية لصلتها الإسلامية، ولمواطنيها المسلمين،

(٢) سبق لصاحب هذه السطور أن ألقى محاضرة بعنوان «**الحضور العربي في دون كيخوته**» في «**مؤتمر الكيخوته**» الذي نظمته كلية الآداب والعلوم الإنسانية في **جامعة دمشق** بالتعاون مع **معهد ثربانتس والسفارة الإسبانية** بدمشق احتفالًا بمرور أربعة قرون على صدور الجزء الأول من رواية «**دون كيخوته**» في الخامس من كانون الأول عام ٢٠٠٥م، وبمشاركة عدد من الكتاب والأكاديميين المختصين من سورية وإسبانية.

(٣) يكتب البروفيسور ليونارد باتريك هارفي في مقدمة محاضرته٣ التي ألقاها عام ١٩٧٤م بمناسبة تسنمه **كرسي ثربانتس للغة الإسبانية في كلية الملك في جامعة لندن**:

«امتد نشر جزأي **دون كيخوته** على مدى الأزمة الأخيرة للمشكلة الموريسكية في إسبانية، ولذا فإنه ليس من المفاجئ أنه ينبغي أن يظهر في الرواية بعض الانعكاس لما كان جيشانًا: سياسيا، وسكانيًّا، وثقافيًّا كبيرًا. كان تاريخ المجتمعات الموريسكية تاريخًا موجزًا وبائسًا، مبتدئًا باسترداد غرناطة عام ١٤٩٢ ومنتهيًا عام ١٦١١ بطردهم من إسبانية». وانظر:

Leonard Patrick Harvey, M. A. D. Phil., Servantes Professor of Spanish,
The Moriscos and Don Quixote,
Inaugural Lecture in the Chair of Spanish delivered at the University of London, King's College, 11 November 1974, p. 4.

وإصرارها على أن تكون مملكة خاصة بالكاثوليكيين البيض من سكانها دون غيرهم، في حملة عنصرية لا مثيل لها في تاريخ أوربة الغربية.

فالرواية، فيما يزعم ثربانتس، كانت مكتوبة بالخط العربي الذي تبيّنه، مع أنه لا يستطيع قراءته. وهكذا نراه يكتب في الفصل التاسع من الجزء الأول من الرواية:

«كنت ذات يوم في قناة طليطلة وجاء فتى ليبيع دفاتر وأوراقًا قديمة لتاجر حرير. ولأنني أهوى القراءة وأقرأ حتى أوراق الشارع الممزّقة، أخذت مدفوعًا بميولي الطبيعية دفترًا من الدفاتر التي كان يبيعها الفتى، فرأيت أنه مكتوب بحروف عرفت أنّها عربية، ولأنني على معرفتي بها لا أعرف قراءتها، رحتُ أبحث لعلي أعثر على مسلم مستَعجم يقرؤها، ولم أجد صعوبة بالعثور على مثل هذا المترجم، إذ حتى لو بحثت عن واحد يعرف لغة أقدم منها لوجدته»[٤].

وثربانتس لايذكر، ولعله لا يعلم حق العلم، إذا ما كانت لغتها الأصلية هي العربية الأندلسية التي سادت شبه القارة الأيبرية ثمانية قرون، أو أنها لغة الخميادو، أو الإسبانية التي دونها الموريسكيون بالحروف العربية.

وهو ما تناقشه كارول ب. جونسون في مقالتها الممتازة، التي نشرتها في ***نشرة جمعية ثربانتس الأمريكية*** ***The Cervantes Society of America***، وعنوانها: «مؤلفو ما قبل النص الأشباح والمؤلفون المتخيلون: سيدي حامد بننجيلي، ودون كيخوته، وأعراف القص عن القص في الروايات الرومانسية

(٤) ميغيل د ثربانتس، **دون كيخوت دلامانتشا**، ترجمة رفعت عطفة، (دار ورد، دمشق، ٢٠٠٤)، ص (١٠١).

الفروسية»[٥]. ومؤلفها، الشبح الكامن وراء النص المترجَم، عربي، إنه **سيدي حامد بننجيلي**[٦] **Cide Hamet Benengeli المؤرخ العربي historiador arabigo**:

(٥) انظر: Caroll B. Jonson,

:"Phantom Pre-texts and Fictional Authors

Sidi Hamid Benengeli, Don Quijote and
the Metafictional Conventions
of Chivalric Romances",
Cervantes: The Cervantes Society of America,
(2007.1) Spring 2007, Pp. 179-99.

(٦) لصلاح الدين بوجاه اجتهاد في قراءة الاسم يورده في مقالته:

«ميغال دي سرفنتيس».. في أصول صاحب «دون كيخوت الأندلسي» المنشورة في:

شبكة الأمة برس العربية الأمريكية الإخبارية المتعددة اللغات

THE NATION PRESS ARAB AMERICAN NEWS NETWORK

الناشر – رئيس التحرير : عبدالناصر مجلي

وخلاصة ما انتهى إليه في هذا المقام هو أن:

(أ- «السيد» و«حامد» لا جدال فيهما.

(ب- بن إنجيلي هي التي تتطلب التأويل، ويمكن أن تعيدنا إلى «البان نجال»، فالموريسكيون معروفون في إسبانية بتفضيله، وسانتشو «ج II ص ٩١٩» يشير إلى هذا، فضلًا على أن سرفنتيس «ج II ص١١٠٦» يلقب أهل طليطلة بـ «برنجينجينايروس».

(ج- بن إنجيلي، يمكن أن تقوم على الإحالة على الإنجيل، وترمز إلى ثنائية «السيد حامد/ ابن الإنجيلي».. وقد تتضمن إحالة على تشبث سرفنتيس بالمسيحية، مثلما عرف عنه أوانَ الأسر في الجزائر).

أما اسم المؤلف- المترجِم لكتاب سيدي حامد أو «**سرفنتيس**» فهو، فيما يراه السيد صلاح الدين بوجاه، «**لقب إسباني تعود جذوره إلى اللاتينية «سرفوس**Servus»، **أي العبد؟ على حين بن إنجيلي** Ben-Engeli **تحيل على العربية الأندلسية، حيث أن إيجل** Iggel

«وحين سمعته يقول «دولثينيا دل توبوسو» ذُهِلت وصعقت لأنني تصورت بسرعة أن ذلك الدفتر يحتوي على قصّة دون كيخوت، وبهذا التصور عجّلت به كي يقرأ البداية، وحين فعل ذلك قالبًا العربية إلى قشتالية قال إن العنوان: «قصة دون كيخوت دِ لا مانتشا، كتبها سيدي **حامد بننجيلي**، المؤرّخ العربي»[٧].

وقد ترجمها إلى اللغة القشتالية[٨]، مسلم مستعجم أو موريسكي **morisco aljamiado**، ومثله كُثْرٌ في تلك الأيام، لثربانتس الذي ترجمها بدروه إلى الإسبانية.

وهذا المؤرخ العربي هو «**مانشي من مانشا**»، وهو ما يؤكده ثربانتس في مطلع الفصل الثاني والعشرين من الجزء الأول من الرواية[٩]، فهو ليس من بقايا الفاتحين العرب أو الأمازيغ، ولكنه ينتسب إلى مانشا، فهو إسباني اعتنق الإسلام واكتسب العربية بالضرورة، أو لنقل هو موريسكي. وكما تشير «كارول جونسون» فإن

أو Eggel **تعني الخادم أو العبد. فيكون سرفنتيس قد أحدث تجاذبًا ما بين الأصلين اللغويين، بتأكيد التمازج الرمزي بين أصوله الحضارية المزدوجة».**

و «أما كيخوت El quijot, quixiste **فضرب من الدروع التي تحمي فخذ المحارب، ولقد اختار سرفنتيس أن يختم اللفظة الإسبانية باللاحقة** ote **التي تشير إلى التهكم**"le ridicule"

وانظر نص مقالته في موقع **شبكة الأمة برس**، وهي شبكة إخبارية عربية أميركية شاملة مستقلة، مسجلة قانونيًّا وتجاريًّا في ولاية ميتشجان بالولايات المتحدة.

(٧) ميغيل د ثربانتس، **دون كيخوت دلامانتشا**، ترجمة رفعت عطفة، (دار ورد، دمشق، ٢٠٠٤)، ص (١٠٢). يترجم رفعت عطفة Benengeli بـ «بن علي» مخالفًا بذلك الإجماع على أنه **بننجيلي** نسبة إلى الباذنجان الذي شهر أهل طليطلة بتناوله.

(٨) انظر **المصدر السابق**، ص ١٠٢ و ٥٨٢.

(٩) انظر **المصدر السابق**، ص ٢١٤.

«**سيدي حامد بننجيلي**» ينبغي أن يكون معاصرًا لدون كيخوته أو تاليًا له حتى يقوم بسرد مغامراته، ومن ثَمَّ فإنه موريسكي morisco ينتمي إلى من بقي من المسلمين العرب والإسبان واليهود الذين تنصروا حفاظًا على أرواحهم ونسائهم وأموالهم، ولاسيما بعد ثورة جبال «البوجرّا» Alpujarra عام ١٥٦٧م، التي تلاها مرسوم فيليب الثاني الملكي الذي يحرِّم على الأندلسيين التخاطب بالعربية أو مزاولة أي شعائر أو عادات إسلامية، ليعقبه مرسوم آخر عام ١٥٦٩ يقضي بنفي أهل غرناطة إلى الشمال الإسباني، ومرسوم ثالث عام ١٥٧٠ يمنع استعمال العربية من جانب الأندلسيين بأية صورة كانت(١٠). والحقيقة أنه بحلول عام ١٦٠٠ كان جل هؤلاء قد انصرف عن اللغة العربية، واتخذ لغة الخيميادو أداةَ تعبير وتواصل في حياته اليومية، وهي لهجة من لهجات اللغة الإسبانية كتبوها بالحرف العربي.

(١٠) يكتب البروفيسور هارفي عن التحول في موقف التاج الإسباني من مسلمي إسبانية من التسامح، الذي ورثه الإسبان عن العرب، إلى ضرب من التطهير العرقي لكل مسلم بعد ثورة البوجرا:

«كان الاتجاه العام واضحًا وجليًّا لا ريب فيه: لقد تحركنا من التسامح العام عام ١٤٩٢ إلى قمع كل مظهر من مظاهر الإسلام والثقافة العربية في إسبانية بعدعام ١٥٧٠. كانت إسبانية قبل عام ١٤٩٢ أرض الديانات الثلاث: المسيحية واليهودية والإسلام. وشهد عام ١٤٩٢ استبعاد اليهودية. ومنذ عام ١٤٩٢ وحتى التحولات المفروضة بالقوة للعشرينيّات [من القرن السادس عشر] كان هناك ديانتان متسامحتان، وأخيرًا، وفجأة، إلى حدٍّ بعيد، ونتيجة للإجراءات الفعالة التي اتخذتها الحكومة المركزية لمعالجة الأخطار الاستراتيجية الحقيقية التي واجهتها من جانب الثورة الغرناطية بين عامي ١٥٦٨-١٥٧٠، غدت إسبانية أرضًا لا يسمح فيها إلا بديانة واحدة، وتم القيام بمجهودات فعالة لاجتثاث أي انشقاق ديني»، انظر:

Leonard Patrick Harvey,
The Moriscos and Don Quixote, p.5.

ومعنى هذا أن النص الأصلي لـ ***دون كيخوته*** الذي وضعه سيدي حامد بنجيلي والذي ترجمه الموريسكي إلى القشتالية من لغة الخيميادو، هو نص افتراضي، قام ثربانتس بترجمة نسختِه القشتالية إلى الإسبانية.

ولعل هذا المؤلف الشبح، أو المؤلف الافتراضي، مجرد قناع لثربانتس[١١] نفسه الذي ربما تعلم العربية أو بعضًا منها عندما أمضى نحوًا من خمس سنين أسيرًا في الجزائر[١٢]،

(١١) يخلص **الدكتور محمود صبح**، أستاذ الدراسات العربية والإسلامية في جامعة Complutese في مدريد، بعد مناقشة مطوّلة لرأي الدكتور **محمود علي مكي** في اسم سيدي حامد بنجيلي، وإحالته الاسم على الباذنجان، أو على «الأيل» إلى أن اللغز «يبدو في نهاية المطاف محلولًا. حامد بنجيلي، حرفيًّا، وكلمة مقابل كلمة، هو ميغيل دو ثربانتس نفسه». خاصة وأن Cervantes تعني «ابن الغزال». وانظر مقالته بالإسبانية في صحيفة **El PAIS، السبت ٣١، ديسمبر/ كانون الأول، ٢٠٠٥**.

(١٢) انظر تفصيلات أسره ومحاولاته الأربع للهرب والتي انتهت بالإخفاق في:

- **سرفانطيس: أمير الأدب الإسباني**

بقلم الأستاذين نجيب أبو ملهم وموسى عبود

نشر المندوبية السامية الإسبانية بالمغرب- نيابة الأمور الوطنية- مكتبة الترجمة الإسبانية- العربية (مطبعة المخزن، تطوان، ١٩٤٧)، ص ٥٦-٥٧، والفصل الثاني من الكتاب المعنون بـ «في الأسر»، ص ٥٩-١٠١.

وكذلك في كتاب:

Maria Antonia Garces,
Cervantes in Algiers: A Captive's Tale
(Vanderbilt University Press, Nashville, 2002);

والفصل الثالث المعنون بـ « أسر في الجزائر(١٥٧٥-١٥٨٠)»، من كتاب:

Donald P. McCrory,
No Ordinary Man: The Life and Times of Miguel de Cervantes
(Peter Owen, London, 2002), pp 73-94

ولذلك لا نستغرب استعماله كلمة «الله Ala» ينسبها إلى سيدي حامد بننجيلي في مطلع الفصل الثامن من الجزء الثاني من الرواية، يكررها ثلاث مرات:

"Bendito sea **Ala**", repite tres"(١٣)

«الحمد لله، كررها ثلاثًا»(١٤)

ومما يعزز هذا الميل إلى **افتراض معرفة ثربانتس للغة العربية، ما يورده على لسان بطل روايته دون كيخوته من شرح لكلمة "Albogues" الأبواق، عندما يسأله سانتشو بانثا عنها، وما يمضي فيه بعدها من ذكر للكلمات المقترضة من لغة الموريسكيين من جانب، ومن اللغة العربية من جانب آخر:**

«ما هي الأبواق؟- سأل سانتشو- فلا أنا سمعت اسمها ولا أنا شاهدتها في حياتي؟

-الأبواق- ردّ دون كيخوت- صفائح على شكل شمعدان من النحاس الأصفر التي باصطدامها بأخرى في الفراغ والتجويف تُحدث صوتًا، وهو إن لم يكن لطيفًا

(١٣) انظر النص الأصلي في النسخة الإسبانية من الرواية:

Miguel de Cervantes,
Don Quixote de la Manch,
Edicion, Notas E Introduccion Alberto Belcua, (Espasa Calpe, S. A. 2007), p.745.

(١٤) انظر النص العربي في:

ميغيل د ثربانتس، **دون كيخوت دلامانتشا**، ترجمة رفعت عطفة، (دار ورد، دمشق، ٢٠٠٤)، ص٦١٥، وهو ما تؤكده الترجمة الإنكليزية **"Praised be the mighty Allah"** التي صدرت عن دار النشر «**مطبعة جامعة أكسفورد**» المعروفة بمستواها البحثي الرفيع، وانظر على أي حال نص الترجمة الإنكليزية في:

Miguel De Cervantes,
Don Quixote de la Manch,
Translated by Charles Jarvis, Edited with an Introduction and Notes by E. C. Riley, (Oxford University Press, Oxford, 1992), p. 513.

ولا منسجمًا إلا أنه ليس مزعجًا ويتناسب تمامًا مع خشونة مزمار القربة والطبلة. وهذا الاسم موريسكي، كما هو حال جميع تلك الموجودة في لغتنا القشتالية وتبدأ بـ «**الـ**». ومن المناسب أن نعرف almohaza المحسّة، almorzar تناول طعام الغداء alhombra الحمرا alguacil الوزير alhucema الخزامى almacen المخزن alcancia القنصية وأخرى مثلها وهي أكثر قليلًا، وهناك فقط ثلاث في لغتنا تنتهي بـ «ي» وهي من أصل موريسكي وهي borcegui بورثيغي zaquizami السعف الشامي وmaravedi مرابطي وأمّا alheli الحلي وalfaqui الفقيه فمعروف أنهما عربيتان لأنهما تبدأان بـ «**الـ**» وتنتهيان بـ «**ي**»، قلت لك هذا عبورًا وخطر ذلك ببالي لأنك ذكرت كلمة البوق، وهذا ما يجب أن يساعدنا عليه كوني أنا شاعرًا إلى حدٍّ ما وكون المجاز المتوسط سنسون كارسكو شاعرًا بكلّ معنى الكلمة، ولا أقول شيئًا عن القس، لكنني أراهن على أن عنده لآلئ وأطواقًا من الشعر. أما المعلم نيكولاس فمما لا شك فيه أن عنده منها الكثير لأن معظم الحلاقين عازفو قيثارات وكاتبو أغان. أنا سأشكو الفراق وأنت ستمتدح في نفسك العاشق الثابت. والراعي كاراسكون سيتناول الصد، والقس قسوس ما حلا له، وهكذا ستسير الأمور كما لا يمكن أن يوجد ما يشتهى بعدها» (ص ١٠٨٦–١٠٨٧)[١٥].

أو لعل ثربانتس نفسه هو موريسكي، إسباني مسلم، تنصر حفاظًا على روحه،

(١٥) تشير جميع الأرقام الواردة بين قوسين إلى صفحات الترجمة العربية للرواية بترجمة رفعت عطفة المشار إليها في حواشٍ سابقة.

ووطنه، حتى لا يُقتلَع منه، كما حدث لغيره من المسلمين واليهود معًا، وثمة ما يشير في حياته إلى أن أسرته حديثة العهد بالنصرانية(١٦)، و ربما كانت موريسكيته، وهذا مجرد اجتهاد، وراء تصويره المتعاطف لِريكوتيه Ricote الموريسكي الذي طُرِد من وطنه، وعاد إليه متخفيًا بصفة حاج، باحثًا عن الكنز الذي دفنه، وعن ابنته وزوجته اللتين فقدهما بعد ارتحاله من إسبانية إلى فرنسا، ثم إلى الجزائر وألمانيا حيث انتهى به المطاف، والتي انطلق منها في رحلة عودته متخفيًا إلى بلده الأصلي إسبانية.

ولكن من هو الموريسكي:

يشير البروفسور ل. ب. هارفي، L. P. Harvey، وهو أستاذ شرف للإسبانية وأدبها في جامعة لندن، وحجة ثقة في تاريخ الموريسكيين وثقافتهم وأدبهم، في كتابه الرائع «***المسلمون في إسبانية: ١٥٠٠-١٦١٤***» الصادر عن **مطبعة جامعة شيكاغو** عام ٢٠٠٥، إلى **أن morisco صفة مشتقة من كلمة moro التي استعملها الإسبان للإشارة إلى سكان شمالي إفريقية أو المسلمين، وتعني كل ما له علاقة بهم، وهو استعمال قديم ومستمر حتى يومنا هذا ومنه عبارة الجلد الموريسكي Piel Morisco**.

غير أن ثمة معنىً ثانيًا أكثر تحديدًا، وأضيق في مجاله الدلالي، استعمل منذ منتصف القرن السادس عشر للإشارة إلى **المسلمين الذي استقروا في إسبانية بعد خروج المسلمين واليهود منها وعُمِّدوا بوصفهم متنصرين على المذهب الكاثوليكي السائد**

(١٦) انظر مقالة صلاح الدين بوجاه ،

«ميغال دي سرفنتيس».. في أصول صاحب «دون كيخوت» الأندلسي في:

شبكة الأمة برس العربية الأمريكية الإخبارية المتعددة اللغات

THE NATION PRESS ARAB AMERICAN NEWS NETWORK

الناشر – رئيس التحرير : عبدالناصر مجلي.

في إسبانية آنذاك، والذي حرصت عليه السلطتان الزمنية والدينية اللتان بذلتا ما بوسعهما لتطهير إسبانية من كل شائبة غير كاثوليكية.

وهذا التعريف مستمد من ***معجم المجمع الملكي الإسباني*** الذي يُعَرِّف الـ morisco بأنه «**يقال للمسلمين الذين بقوا في زمن إعادة إحياء إسبانية، وعُمِّدوا**». ويرى هارفي أن هذا التعريف يجب أن يشمل ثلاثة أجيال أو أربعة أجيال من المتحدرين من أصول هؤلاء المسلمين الذين تنصروا على غير إرادة منهم، وأنّه يُبرز بحق موقف الأكثرية الكاثوليكية الإسبانية تجاه هذه الأقلّية الدينية، التي يُنظر إليها على أنها حديثة العهد بالنصرانية، وأنها لذلك **أقل كاثوليكية من الأكثرية، ومن ثمَّ فإنها أدنى منزلة وأقل جدارة بالعيش في إسبانية**. ولذا فإن ملك إسبانية فيليب الثاني لم يتردد في أن يحرّم على هؤلاء الموريسكيين التخاطب بالعربية أو استعمالها بأية صورة من الصور، وهذا الأمر اضطرهم إلى استعمال لغة الخيميادو أو «الأعجمية» وهي لهجة من لهجات اللغة الإسبانية الدّارجة، وكتابتها بالحرف العربي(١٧).

مهما كان الأمر، فلننظر بداية إلى تصوير ثربانتس للموريسكي ريكوتيه عندما يلتقي مع عدد من الحجاج الألمان، سانتشو بانثا في الفصل الرابع والخمسين من الجزء الثاني من الرواية، ويهجم عليه محيطًا بخصره قائلًا له بصوت عال **ولهجة قشتالية سليمة**:

(١٧) انظر: ص (٢-٣) من القسم المعنون بـ «أهمية الأسماء: مسلم، موريسكي، متحّول جديد عن دينه»، ص ٢-٦، من كتابه:

L.P. Harvey,
Muslims in Spain: **1500 to 1614**
(The University of Chicago Press Chicago & London, 2005), pp. 2-6.

«يـاإلهي! مـاذا أرى؟ هـل مـن المعقـول أن أحضـن بـين ذراعـيّ صـديقي الغـالي وجاري العزيز سانتشو بانثا؟ نعم إنه هو فلا أنا نائم ولا سكران الآن.

دهـش سانتشـو بانثـا مـن سـماعه ذكـر اسـمه ورؤيتـه لنفسـه معانَقًـا مـن الحـاج الأجنبي، وبقي ينظر إليه باهتمام بالغ، لا ينبس بكلمة واحدة، ولم يستطع تَعَرُّفَه، وحين رأى الحاجّ ذهوله قال له:

ـ كيف؟ هـل مـن المعقـول ألّا تعـرف يـا أخـي سانتشـو بانثـا، جـارك الموريسكيّ ريكوتِ، حانوتيّ ضـيعتك؟

وعندئذ راح سانتشو ينظر إليـه بـاهتمام أكـبر، وراح يتصـوره حتـى عرفـه أخـيرًا تمامًا، فعانقه بذراعيه دون أن ينزل عن حماره وقال له:

ـ أيّ شـيطان سـيعرفك يا ريكوتِ وأنت في ثياب المهرج هـذه؟ قـل لي مـن عمـل منك إفرنجيًّا وكيـف تجـرؤ عـلى العـودة إلى إسـبانية، التـي لـو أمسـكوا بـك فيهـا لوقعت فيما لا تحمد عقباه؟

ـ إذا كنت أنت لم تستطع أن تكتشفني، يا سانتشو – رَدَّ الحاجّ– فأنـا واثـق مـن أن أحدًا لن يستطيع أن يعرفني في هذه الثياب، ولنخرج من الطريق إلى غابـة الحـور هذه التي يبدو أن رفاقي يريدون أن يأكلوا ويرتاحوا فيها وهناك سـتأكل معهـم، فهم قوم مسالمون وبذلك سيكون لدي الوقت كي أحكي لـك مـا جـرى لي بعـد خروجـي مـن قريتنـا احترامًـا **للأمـر الملكـي الـذي يهـدد بؤسـاء أمتـي بكثـير مـن القسوة، حسب ما سمعت**»[١٨] (ص٩٨٢-٩٨٣).

(١٨) جميع التوكيدات المطبوعة بحـرف أسـود، والتـي تتخلـل النصـوص المقبوسـة مـن الروايـة، تعود لصاحب هذه السطور.

وبعد أن أخذ الجميع نصيبهم من الطعام والشراب والراحة أخلدوا إلى النوم، فانتحى «ريكوته وسانتشو» – اللذان بقيا يقظين لأنهما أكلا أكثر وشربا أقل – جانبًا، وجلسا إلى جذع شجرة زان تاركين الحجاج الآخرين غارقين في نومهم العذب، وقال له ريكوته «**بلغة قشتالية خالصة لايشوبها شيء من اللغة الموريسكية**» الكلمات التالية:

«تعرف جيدًا ياصديقي وجاري العزيز أن **المرسوم الذي أمر صاحب الجلالة بنشره المُعادي لِأمّتي قد نشر الذعر والرعب بيننا**. كان على الأقل في حالتي جيّدًا، فقد تصوّرت قبل الموعد الذي منح لنا للخروج من إسبانية، العقاب الواقع عليّ وعلى أولادي، لذا قررت بنوع من الحكمة (كمن يعلم أنهم مع الزمن سينتزعون منه بيته الذي يعيش فيه ويحتاط بامتلاك آخر ينتقل إليه) أقول قررت أن أخرج أنا دون أسرتي من قريتي وأبحث عن الحياة في مكان آخر أكثر راحة، ودون عجلة كما خرج البقيّة، لأنني رأيت كما رأى جميع شيوخنا أن تلك المراسيم لم تكن مجرد تهديدات، كما كان يقول بعضهم، بل قوانين يجب أن تنفذ في وقتها المحدد. وعزز هذه الحقيقة عندي معرفتي بمحاولات أبناء ملتي البائسة والحمقاء، حتى إنني أعتقد أن **إلهامًا إلهيًّا** جعل الملك يصدر قراره الحازم، ليس لأننا **كنا جميعًا مخطئين، فقد كان بيننا من كانوا نصارى حقيقيين وثابتين، لكنّهم كانوا من القلّة بحيث لم يكن باستطاعتهم أن يعارضوا من لم يكونوا كذلك، ولا يستحسن تربية الأفعى في الحضن والعدوّ في البيت**. أخيرًا **عوقبنا عقابًا عادلًا بالنفي**، الناعم والرقيق بالنسبة لبعضهم، لكنّه بالنسبة إلينا أفظع ما يمكن أن يصدر بهذا الخصوص، فنحن **حيث نكون نبكي إسبانية، في النهاية ولدنا فيها وهي وطننا الطبيعي**، وما من مكان نلقى فيه الترحاب الذي

أراده لنا شقاؤنا، ففي بلاد البربر وجميع أنحاء إفريقية حيث كنّا نعتقد أننا سنلقى الترحاب والرعاية، هناك يهينوننا ويُسيئون معاملتنا أكثر من أي مكان آخر. لم نعرف خيرَنا حتى فقدناه، وأعظم رغبة عندنا هي أن **نستطيع العودة إلى إسبانية**، ومعظم أولئك (وهم كُثْر) الذين **يعرفون اللغة مثلي** يعودون إليها ويتركون نساءهم وأولادهم هناك دون حماية؛ إلى هذا الحد وصل حبهم لها. وأنا الآن أعرف وأعيش تجربة ما يقال عادة: حلو حب الوطن. خرجت كما أقول، من قريتي؛ دخلت إلى فرنسا، وعلى الرغم من الترحاب الجيّد الذي استقبلونا به هناك، إلا أنني أردت أن أرى كل شيء. عبرت إلى إيطاليا، ووصلت إلى ألمانيا، ووجدت أن من الممكن العيش هناك بحرية أكبر، لأن سكانها لا يتوقفون عند الكثير من التفاصيل: كل واحد يعيش كما يشاء، لأنّ غالبيتهم يعيشون مرتاحي الضمير» (ص ٩٨٥-٩٨٦).

«والآن أنوي يا سانتشو أن أخرج الكنز الذين تركته مطمورًا وأستطيع فعل ذلك لأنه خارج البلدة؛ أخرجه وأكتب إلى زوجتي وأولادي الذين أعلم أنهم في الجزائر، وأضع خطة للكيفية التي أستطيع أن آتي بهم إلى فرنسا لأحملهم من هناك إلى ألمانيا، حيث سننتظر ما سيفعل الله بنا. بالنتيجة أعرف، ياسانتشو، أن **ابنتي لاريكوتا وزوجتي فرانسيسكا نصرانيتان كاثوليكيتان، وأنا مع أنني لم أبلغ هذا الحد، إلا أنني نصراني أكثر مما أنا مسلم، وأدعو الله دائمًا أن يفتح عينيّ على الفهم ويوفقني في معرفته كما يوفقني في خدمته**. وما يدهشني هو أنني لا أعرف لماذا ذهبت زوجتي وابنتي إلى بلاد البربر ولم تذهبا إلى فرنسا، حيث تستطيعان **أن تعيشا كنصرانيتين**» (ص ٩٨٦)، وبعدها يحاول ريكوتيه أن يغري سانتشو بانثا

بمساعدته على استعادة ما خبأه في مطمورته واعدًا إياه بمئتي اسكودو، غير أن هذا الأخير يرى في ذلك خيانة لملكه ومساعدة لعدوِّه فيرفض عرض ريكوتيه، ولكنه يتركه لحاله:

«قلت لك، ياريكوت، إنني لا أريد، وارْضَ بأنني لن أكشف عنك، وتابع طريقك بأمان الله، واتركني أتابع طريقي، فأنا أعرف **أن الحلال يذهب والحرام يذهب هو وأهله**» (ص ٩٨٨).

ويسأله ريكوتيه: هل كنتَ في القرية عندما غادرتها ابنته وزوجته وابن حماه(*)؟ فيجيبه:

«نعم كنت– رد سانتشو– وأعرف أن ابنتك خرجت في غاية الجمال وأن جميع من كانوا في القرية خرجوا ليروها، والجميع كانوا يقولون إنها أجمل مخلوق في العالم. كانت تبكي وتعانق جميع صديقاتها ومعارفها وكل من استطاع رؤيتها، وكانت تطلب من الجميع الدعاء لها أمام الله وسيدتنا أم الرب. كل ذلك بكثير من التأثر والعواطف حتى إنها أبكتني، وأنا لستُ بكّاءً في العادة، وصدقًا رغب الكثيرون في إخفائها والخروج وراءها وأخذها من الطريق، لكن الخوف من عصيان أمر الملك أوقفهم. وأكثر من بدا متأثّرًا ومتحمّسًا كان دون بدرو غريغوريو الفتى الثري الذي تعرفه ويقولون بأنه يحبّها كثيرًا، ولم يظهر في القرية بعد رحيلها أبدًا، وقد فكّرنا أنه لحق بها ليختطفها، لكن حتى الآن لم يعرف عنه شيء.

(*) (حَمٌ) من الأسماء الخمسة، يُجر بالياء حين يضاف إلى غير ياء المتكلم: ابن حَمِيْهِ على أن من العرب من يُلْزمها الألف دوماً كأنها اسمٌ مقصور فيقول: جاء حَماهُ، رأيت حَماهُ، سلّمت على حَماهُ [المجلة].

–دائمًا راودني شكّ بأن هذا الفارس كان مُوَلَّـهًا بابنتي، لكنّني كنت دائمًا أثق بابنتي ريكوتا، ولم يثقل علي قط أنه كان يحبها جيدًا، فقد سمعتُ أن **الموريسيكيات لا يدخلن أبدًا أو نادرًا ما يدخلن في علاقات غرامية بالنصرانيين القدماء، وابنتي كانت تميل، حسَب ما أعتقد، إلى أن تكون نصرانية أكثر من أن تكون عاشقة، إلّا أنها لن تحفل بلجاجة هذا الفتى**» (ص ٩٨٨–٩٨٩).

وبعد أن عرفنا ما دار بين سانتشو بانثا وريكوتيه من حديث عن مغادرة ابنته وزوجته وابن لقريته، لِنلتفِتْ إلى ما حدث لها بعد ذلك، ولْنعرِضْ لقصتها المثيرة عندما ظهرت أمام نائب الملك بعد مطاردة القوادس لمركبها وأسرها مع مجموعة من القراصنة الأتراك.

يتحدث ثربانتس في الفصل الثالث والستين المعنون بـ «عن الشر الذي لحق بسانتشو بانثا من زيارته للسفن والمغامرة الجديدة للموريسكية الجميلة» (ص ١٠٥٨–١٠٦٧)، عن زيارة كل من دون كيخوته وسانتشو بانثا للقوادس بصحبة مضيفهما دون أنطونيو مورِنو، وعن شهود الجميع عملية مطاردة يقوم بها ثلاثة قوادس لمركب جزائري للقراصنة انتهت بقتل جنديين إسبانيين بطلقين ناريين من بندقيتي تركيَّين سكرانَين. وكيف أن قائد القوادس قرر إذ ذاك شنق كل من في المركب، فسأل من يكون رئيس المركب، فرد عليه أحد الأسرى بالقشتالية (تبين فيما بعد أنه مرتد إسباني):

«– هذا الفتى الذي ترونه هنا هو رئيسنا، يا سيد.

وأشار إلى واحد من أجمل وأرشق الفتيان الذين يمكن للخيال البشري أن يتصوّرهم، وعمره كما يبدو لا يصل العشرين، سأله القائد:

– قل لي، أيها الكلب المتهوّر، ما الذي دفعك لقتل جنديّي وأنت ترى استحالة هربك؟ أهذا هو الاحترام الذي يراعى لسفن القيادة؟ ألا تعلم أن التهوّر ليس شجاعة؟ والأمل الضعيف يجب أن يجعل الرجال جسورين لا متهوّرين» (ص ١٠٦١ – ١٠٦٢).

وإذ نظر نائب الملك إلى الفتى الوسيم، ورآه بذلك الجمال وتلك الرشاقة والتواضع، فقد راودته فكرة إنقاذه من الموت الذي ينتظره وهكذا فإنه سأله:

«–قل لي، أيّها الفتى **هل أنت تركيّ أم مغربيّ أم مرتدّ؟**

فردّ عليه الفتى **بلغة أيضًا قشتالية:**

– **لست تركيّ الجنسية ولا مغربيًّا ولا مرتدًّا.**

– ما أنت إذن؟ – ردّ نائب الملك.

– **امرأة نصرانية** – ردّ الفتى.

– امرأة نصرانية وبهذه الملابس وهذه الحالة؟ هذا شيء يثير العجب أكثر مما يمكن أن يصدّق.

– أوقفوا – قال الفتى – أيّها السادة، تنفيذ الموت، فلن تخسروا كثيرًا في تأجيل الانتقام ريثما أحكي لكم قصّة حياتي.» (ص ١٠٦٢ – ١٠٦٣).

وهكذا يمضي الفتى الوسيم ظاهرًا/ المرأة الحسناء فعلًا/ في سرد قصة حياتها:

«أنا من تلك الأمة البائسة، أكثر مما هي حكيمة، التي انهمر فوقها في هذه الأيام بحرٌ من الفواجع. وُلِدت من **أبوين موريسكيين**، وفي مجرى شقائهما حملني عمّاي إلى بلاد البربر، دون أن يجديَني نفعًا، **قولي بأنني نصرانية، كما أنا بالفعل،**

ولست من المتظاهرات والمزيّفات، بل من **الحقيقيات والكاثوليكيات**. لم يفِدْني قول الحقيقة مع من كان على عاتقهم أمر نَفْيِنا البائس، ولا عمّاي أرادا أن يصدّقاني بل اعتبراني كاذبة ومخادعة كي أبقى في البلد الذي وُلِدت فيه، وهكذا حملاني معهما بالقوّة أكثر مما بالرغبة. كانت لي **أم نصرانية وأب نصراني وحصيف لا أكثر ولا أقل، رضعت العقيدة الكاثوليكية مع الحليب، وتربّيت على العادات الحسنة ولم أظهر أيّ علامة بأنّني موريسكية لا في العادات ولا في اللغة قط**. وفي ظلّ هذه الفضائل (التي أعتقد أنني أملكها) ترعرع جمالي، هذا إذا كان لي جمال. وعلى الرغم من حذري وحبسي الذي كان طويلًا، فإنه لا يبدو أنه كان طويلًا جدًّا إلى الحدّ الذي لم يتح فرصة أن يراني فتى فارسًا – كذا– يدعى غاسبار غريغوريو، الابن البكر لفارس، قريتُه بجانب قريتنا. كيف رآني؟ وكيف تحادثنا وكيف هام بي وكيف استمالني؟ هذا شيء تطول روايته، خاصة أنني في وقت **أخاف فيه أن يدخل الحبل القاسي الذي يهددني بين اللسان والحَنْجرة**. ولهذا سأقتصر على القول كيف أراد دون غريغوريو أن يرافقني إلى منفاي. اختلط بالموريسكيين الذين خرجوا مع قرى أخرى، لأنّه كان **يعرف اللغة جيّدًا** وأقام خلال رحلته صداقة مع عمّين لي حملاني معهما، لأنّ والدي الحكيم والحَذِر ما إن سمع بقرار نفينا الأوّل حتى خرج من القرية وراح يبحث عن قرية في إحدى الممالك الغربية تستقبلنا، وقد ترك كثيرًا من اللآلئ والأحجار الكريمة وبعض المال من الكروثادو والوالدولونات الذهبية مخبّأة ومطمورة لا أحد يعرف بها غيري. أمرني بألّا ألمس الكنز الذي تركه ولا بشكل من الأشكال إذا ما نفونا قبل عودته، وهكذا فعلتُ، وعبرنا أنا وعمّاي وبعض الأقارب

إلى بلاد البربر، والمكان الذي نزلنا فيه هو الجزائر، وكان كما لو أنّنا نزلنا في الجحيم ذاته. علم الملك بجمالي كما علم بثرائي، وكان هذا لمصلحتي نسبيًّا، فاستدعاني للمثول أمامه وسألني من أيّ منطقة من إسبانية أنا، وما المال والمجوهرات التي أحضرتها معي. أعلمته بالمكان الذي طمرنا فيه المال والمجوهرات، وأنّه من السهل استعادتها إنْ عدت بنفسي للبحث عنها. قلت له كلّ ذلك وأنا خائفة من أن يعميه طمعه وليس جمالي. وبينما هو معي في هذا الحديث جاءه من يخبره بأنه جاء معي واحد من أجمل وأرشق الفتيان الذين يمكن تصوّرهم، ففهمت فورًا أنهم يتكلمون عن غاسبار غريغوريو الذي يخلّف جماله معظم ما يمكن أن يقدّر من جمال.

ارتبكتُ، وأنا أفهم الخطر الذي يتهدّد دون غريغوريو، **لأنّهم عند أولئك البربر يقدّرون الفتى أو الصبي** الجميل **أكثر من المرأة مهما كانت جميلة**. فأمر الملك بإحضاره والمثول بين يديه ليراه وسألني ما إذا كان صحيحًا ما قالوه له عن ذلك الفتى، وعندئذ قلت له وكأنّ السماء ألهمتني نعم كان كذلك، لكنّني أحيطه علمًا بأنه ليس فتى بل فتاة مثلي وإنني أتوسّل إليه أن يتركني أذهب لأجعله يرتدي ملابسه الطبيعية كي يتبدّى في أكمل جماله، وأقل خفره في حضرته. سمح لي بالذهاب، في ساعة مباركة وسعادة، وبأننا سنتكلم في اليوم التالي عن الطريقة التي يمكنني العودة بها إلى إسبانية لإخراج الكنز المطمور. تحدّثت مع غاسبار، وحكيت له عن الخطر الذي يتهدده إذا ما أظهر أنّه رجل. ألبسته ملابس مسلمة وأحضرته في ذلك المساء ذاته أمام الملك الذي ما إن رآه حتى ذهل وأشار بالاحتفاظ بها لتقديمها هديّة للباب العالي؛ وتفاديًا من الخطر الذي يمكن أن يحدق به في الحريم وخوفًا من نفسه أمر بوضعها في بيت بعض

الوجيهات المسلمات ليخبّئنها ويخدمنها، إلى حيث حملوه بسرعة، وهو ما أسفنا له كثيرًا أنا وهو. لا أستطيع أن أنكر أنّني أحبّه، ولنترك الأمر لمن ينفصلون ويُحِبُّ بعضهم بعضًا.

وضع الملك بعد ذلك خطّة لعودتي إلى إسبانية على هذا المركب برفقة تركيين، هما اللذان قتلا **الجنديّين**، وجاء معي أيضًا هذا المرتدّ الإسباني – مشيرة إلى أوّل من تكلّم – والذي أعرف جيّدًا **أنّه نصراني متستر وهو يأتي برغبة للبقاء في إسبانية** أكثر من العودة إلى بلاد البربر، أما بقيّة مجموعة البحارة فهم مغاربة وأتراك وليس من فائدة منهم غير التجذيف. التركيان وقحان وطمّاعان، لم يحافظا على الأمر الذي جئنا به والقاضي أن يقذفا بنا إلى البرّ أنا وهذا المرتد في أوّل منطقة نصل إليها في إسبانية بزي النصارى الذي تزوّدنا به، فقد أرادا أن يمشطا هذا الشّاطئ أولًا ويسرقا ما يستطيعانه، خائفين من أنّهما إذا ما ألقيا بنا أوّلًا يمكن أن نُكشف، لو حدث لنا طارئ ما، أنّ المركب في البحر، وأنّه إذا ما كان هناك قوادِس على هذا الشاطئ يمكن أن يأسروهما. اكتشفنا في الليل هذا الشاطئ، واكتشفتنا هذه القوادس الأربعة دون أن نعلم، وحدث معنا ما رأيتم. بالنتيجة بقي دون غريغوريو في زي امرأة بين النساء، وفي خطر بالهلاك جليّ وأنا أرى نفسي مقيّدة اليدين منتظرة، أو بالأحرى خائفة من أن أفقد حياتي التي صارت تتعبني. هذه هي – أيّها السّادة – قصتي المحزنة، والحقيقيّة بقدر ما هي شقيّة. ما أرجوه منكم هو أن تتركوني **أموت كنصرانية، فأنا لم أرتكب أي خطأ من الأخطاء التي ارتكبها أبناء أمّتي**».

(ص ١٠٦٣– ١٠٦٥).

ويتابع ثربانتس سرد بقيّة القصّة المؤثرة فيضيف:

«ثم سكتت وقد طفرت عيناها بالدموع الرقيقة وهو ما رافقها به كثيرون ممن كانوا حاضرين هناك. اقترب نائب الملك الرقيق والمشفق وفك الرباطين اللذين كانا يوثقان يدي الموريسكية الجميلتين بيديه ذاتها، دون أن ينبس بكلمة واحدة.

وبينما كانت **الموريسكية النصرانية** تروي حكايتها المهاجرة كان حاج عجوز، دخل القادِس مع نائب الملك يغرز عينيه فيها، وما كادت تنهي الموريسكية حديثها حتى ارتمى على قدميها، وعانقهما بكلمات يقطعها ألف انتحاب وزفرة وقال لها:

–آه، يا آنا فليكس، يا ابنتي الشقيّة! أنا أبوكِ ريكوتِ عدتُ أبحث عنك لأنني **لا أستطيع** العيش دونك، فأنت روحي.

وعند سماع كلماته فتح سانتشو عينيه ورفع رأسه (الذي كان خفضه مفكرًا في مأساة مشواره) **ونظر** إلى الحاج فعرف أنه ريكوت، نفسه الذي وقع عليه يوم خرج من حكومته، **وأكّد أن تلك ابنته** التي ما إن فك وثاقها حتى عانقت والدها خالطة دموعها بدموعه، وقال للقائد ونائب الملك:

–هذه، أيها السادة، ابنتي، شقيّة في الصروف أكثر مما في الاسم: اسمها آنا فليكس، وكنيتها ريكوت، مشهورة بجمالها كما بثرائها. وقد خرجتُ من وطني أبحث عن ممالك غريبة تؤوينا وتستقبلنا وعثرت عليها في ألمانيا، وعدت في زيّ الحجّاج هذا بحثًا عن ابنتي ولأخرج ثروة كبيرة خبّأتها. لم أعثر على ابنتي، وعثرت على الكنز، وهو معي والآن وبمصادفة غريبة رأيتموها، عثرت على الكنز الذي يغنيني أكثر، ألا وهو ابنتي العزيزة، وإذا كان ذنبنا القليل ودموعها ودموعي بالتكامل مع عدالتكم يمكن أن تفتح لنا باب الرحمة فاستخدموها معنا فنحن لم

نفكّر قط بإهانتكم، **ولم نتفق قط ولا بشكل من الأشكال مع مقاصد أهلنا الذين نفوا بعدل**» (ص ١٠٦٥ – ١٠٦٦).

وهكذا تنجو آنا فليكس الموريسكية من الموت، وينجو أبوها معها، ويقيمان في بيت دون أنطونيو مورِنو، بانتظار ما سيفعله القوم لإخراج حبيبها غاسبار غريغوريو من الخطر المحدق به في الجزائر.

ومما يلاحظه المرء في سرد ما جرى لكل من ريكوتيه Ricote وابنته آنا فِليكس، أن **المرافعات التي يضمِّنها ثربانتس روايته دفاعًا عن عدالة قضية الموريسكيين وضرورة السماح لهم بالبقاء في إسبانية لأنها وطنهم وهم نصارى بحق رضعوا المذهب الكاثوليكي مع حليب أمهاتهم، تأتي على ألسنة الموريسكيين أنفسهم، وأنها تُقدَّم في جوٍّ يبعث على التعاطف معهم**. ومما يلاحظ كذلك في هذه المرافعات إلحاح الرجل وابنته على جملة من الأمور في مرافعة كل منهما (بداية أمام سانتشو بانثا من جانب ريكوتيه، وبعدها من جانب آنا فليكس ابنته وأبيها أمام نائب الملك والقائد وغيرهم من الشخصيات الإسبانية المعنية بتطهير إسبانية من الموريسكيين) بغرض تبرئة نفسيهما من كل ما لفقته السلطتان الدينية والزمنية من مسوغات لطرد الموريسكيين من وطنهم إسبانية، وتأكيد جدارتهما بالعيش فيها بوصفهما **مواطنين صالحَيْن كاثوليكيَّي المذهب قشتاليَّي اللغة، إسبانِيَّي العادات، بعيديْن كل البعد عن حماقات أبناء مِلَّتهما، في إشارة ضمنية إلى ثورات الموريسكيين على الملك الإسباني في القرن السادس عشر**.

وأول هذه الأمور **تمكنهما من اللهجة القشتالية السليمة، وحديثهما بلغة قشتالية خالصة لا يشوبها من اللغة الموريسكية أية شائبة**.

وثانيها أن **الابنة والزوجة نصرانيتان كاثوليكيتان**، وأن **ريكوتيه نفسه، وعلى حد قوله، نصراني** أكثر منه مسلمًا، في حين أن ابنته تؤكد أنها تحدرت من **أم نصرانية وأب نصراني حصيف مع أنهما موريسكيان**، وأن عمّيها حملاها على مغادرة إسبانية حملًا لأنهما لم يصدقاها ومضيا بها إلى بلاد البربر رغمًا عنها مع أنها من **النصرانيات الكاثوليكيات الحقيقيات وغير المزيفات**، فقد **رضعت العقيدة الكاثوليكية مع حليب أمها، وتربت على العادات الحسنة لهذه العقيدة، ولم تظهر أيًّا من علامات الموريسكية لا في العادات ولا في اللغة، وأكثر من هذا فإنها تود أن تموت نصرانية**، خاصة لأنها لم ترتكب أي خطأ من أخطاء أمتها.

وثالثها وصفُ ريكوتيه لقرار الملك بنفي الموريسكيين بأنه **إلهام إلهي ينطوي على حكمة كبيرة**، إذ لا يستحسن تربية الأفعى في الحضن، ولا العدو في البيت، ومن ثَمَّ فإن ما نزل بملته **عقاب عادل**، وما فعله بعض أفرادها هو محاولات بائسة وحمقاء، وهو لا يتفق مع مقاصد أهله الذين نفوا **بقرار عادل**، بل إنه **يتبرأ منها**.

ورابعها أنه مع أن الأمر الملكي قد هدد بؤساء أمته بكثير من القسوة، فإن الكثيرين من أمثاله ممن يتقنون اللغة القشتالية يغامرون، بل **يخاطرون بحياتهم في سبيل العودة إلى إسبانية التي يحبونها أيما حب، وأنهم يعيشون وهم يبكون وطنهم الطبيعي إسبانية، وأن أعظم رغبة هي أن يتمكنوا من العودة إلى إسبانية**.

ولا يكتفي ثربانتس بتضمين مرافعتي كلٍّ من ريكوتيه وابنته آنا فليكس كلَّ ما تقدّم، بل إنه يقدّمها في **إطار درامي وموقف إنساني يبعث مشاهده على التعاطف العميق مع الفتاة ومعاناتها**، وفي حين تجري المرافعة الأولى لريكوتيه أمام جاره بعد أكلٍ كثير وشربٍ أقل، **ومصٍّ لعظم الخنزير المقدد وشرب للخمر**، تُقدَّم المرافعة

الثانية أمام نائب الملك وقائد القوادس وبحضور سانتشو بانثا الذي **تعزز شهادته من صِدْقِيَّتها**، وتأتي مُكمِّلة لمرافعة ابنته التي أخذت بألباب القوم، وأغرقت عيونهم بالدموع، حتى إن نائب الملك عمد إلى فك الرباطين اللذين كانا يوثقان يديها، دون أن ينبس بكلمة واحدة بسبب تأثره بما سمعه منها، خاصة لأنها قدمت مرافعتها في لحظات مروِّعة من ترقب الموت شنقًا، وكانت هذه المرافعة تنضح بالصدق حتى إنها دفعت بالقائد إلى التخلي عن قسمه بشنقها، وتركها تعيش سنوات عمرها التي حددتها السماء، وأكثر من هذا فقد انتهى الأمر بها وبأبيها إلى اشتراك الجميع في وضع خطة محكمة يستنقذون بها حبيبها غريغوريو من الجزائر، وباستضافة دون أنطونيو مورِنو لريكوتيه وابنته بتوصية من نائب الملك، فـ«الحلم والشفقة اللذان أثارهما في قلبه جمال آنا فليكس كانا عظيمين» (ص ١٠٦٧).

وبعد عودة غريغوريو سليمًا معافى من الجزائر بالخطة المحكمة التي وضعها القوم لاستنقاذه:

«بحث نائب الملك مع دون أنطونيو الطريقة التي يبقون بها على آنا فليكس وأبيها في إسبانية، وقد رأيا أنه ليس هناك من مانع من **بقاء ابنة نصرانية إلى ذلك الحد وأب يبدو حسن** النية. وقدّم دون أنطونيو نفسه لبحث الموضوع في البلاط الذي عليه أن يذهب إليه لأمور أخرى، حيث ألمح إلى أنه بالهدايا والعطايا تحل أمور كثيرة معقدة» (ص ١٠٧٦).

وهنا يتدخل ريكوتيه ليقدم، **بوصفه الضحية، شهادة غير مجروحة في جلاده، مفصحًا عن تمسكه بالعدالة بصرف النظر عما عاناه وأسرته من تطبيقها القاسي عليهم، وفي ذلك ما فيه من إظهار للولاء للتاج الإسباني والوطن:**

«–لا– قال ريكوت الذي حضر هذا الحوار – يجب ألّا نأمل شيئًا من العطايا والهدايا لأنه ما من توسلات أو وعود أو هدايا أو تأسُّفات تجدي نفعًا مع دون برناردينو دبلاسكو العظيم، كونت سالاثار الذي كلّفه الملك بطردنا، فهو مع جمعه بين الرحمة والعدالة يرى أن جسم أمّتنا موبوء وفاسد ويفضّل استعمال الكيِّ الحارق بدل المرهم المسكّن، ولهذا أخذ على كاهله ثقل هذه المهمّة العظيمة بالحكمة والنباهة، بالجدّ والتخويف، دون أن تتمكن حِيلُنا وخِدَعُنا وطلباتُنا وتدلّسُنا من أن تُزيغَ عن التّنين عينيه اليقظتين دائمًا كيلا يفلت منه أيٌّ من أهلنا الذي يبقى مثل جذر خفيّ، ينتش ويعطي ثماره السامّة مع الزمن في إسبانية التي أصبحت نظيفة خالصة من الخوف الذي وضعتها فيه جموعنا. حلٌّ بطولي هو الحل الذي اتخذه فيليب الثالث العظيم وحكمة لا مثيل لها تكليفه دون برناردينو د بلاسكو هذا بها!

– سأقوم بالإجراءات الممكنة واحدًا فواحدًا هناك ولتفعل السماء ما فيه الخير – قال دون أنطونيو– سيذهب معي دون غريغوريو ليواسي والديه على الحزن الذي هما فيه على غيابه، وآنا فليكس ستبقى مع زوجتي في البيت، أو في دير، وأعرف أن السيد نائب الملك سيسر ببقاء ريكوت الطيب في بيته ريثما نرى كيف سأتدبر الأمور» (ص ١٠٧٦–١٠٧٧).

بقي على المرء أن يتساءل من أين جاء اسم **ريكوتيه** ولماذا اختاره ثربانتس للموريسكي؟ الجواب على ذلك يكمن في الوقائع التاريخية لمعاناة الموريسكيين

أنفسهم، وبالتحديد في آخر صفحة من صفحات مأساتهم المروِّعة التي لاتزال حديث العالم حتى يومنا هذا(١٩).

صحيح أن ريكوتيه Ricote في الرواية هو موريسكي كان جارًا لسانتشو بانثا، وحانوتي ضيعته، ولكن علينا أن نتذكر أنه عندما طُرد الموريسكيون من إسبانية بالقوة بين عامي ١٦٠٩ و ١٦١٣ كان ميغيل دي ثربانتس يكتب الجزء الثاني من روايته، وكان من الصعب عليه وعلى معاصريه استبعاد مسألة الموريسكيين من ساحة وعيهم. وهكذا أعاد ريكوتيه إلى إسبانية بصفة حاج ألماني، ليسترد ماله، ويلمَّ شمل أسرته بالذهاب إلى الجزائر والعودة بزوجته وابنته المسيحيتين منها، ومَنَحَه، مثلما منح ابنته آن فِليكس، فرصةَ المرافعة عن حقهما في العيش في إسبانية، وطنهما الأصلي، وهو ما كان لهما في نهاية المطاف.

---

(١٩) صدر الكثير عن الموريسكيين ومعاناتهم في مختلف اللغات، ويمكن أن يشير المرء منها إلى:

Anwar G. Chejne,
Islam and the West: The Moriscos- A Cultural and Social History
(State University New York Press, New York, 1983).

عادل سعيد بشتاوي،

الأمة الأندلسية الشهيدة (تاريخ ١٠٠ عام من المواجهة والاضطهاد بعد سقوط غرناطة)

(المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٠)؛

John Docker,
1492: The Poetics Diaspora
(Continuum, London, 2001);
Henry Charles Lea,
The Moriscos of Spain; Their Conversion and Expulsion
(General Books, 2009).
Mathew Carr,
Blood and Faith: The Purging of Muslim Spain 1492-1614
(Hurst,& Company, London, 2009).

وعلينا أن نتذكر أيضًا أن **ريكوتيه** هو واد Vale de Ricote يقع في منطقة جبلية في الجنوب الشرقي من شبه الجزيرة احتضن آخر مجموعة من الموريسكيين الذين صمدوا حتى كانون الأول من عام ١٦١٣، وطردوا بعدها خارج إسبانية وتم تطهير الوادي منهم على حد أوامر الملك(٢٠).

وخلاصة ما يريد ثربانتس قوله في قضية الموريسكيين، أو بالأحرى تمريره لقارئ روايته في ذلك القرن الرهيب، أن إسبانية التي أصرت على أن تجعل من دولتها دولة خالصة للإسبان النصارى الكاثوليك، أسرفت أيما إسراف في عنصريتها عندما لم تكتف **بالتمييز العنصري Racial Discrimination** بل أضافت إليه التمييز الديني **Religious Discrimination**، وأكثر من هذا فإنها مضت في عنصريتها إلى حد التمييز بين المسيحي الكاثوليكي، وغيره من المسيحيين من أتباع الكنائس الأخرى. وأسوأ من كل ما تقدم أنها أقامت **محاكم تفتيش**(٢١) تحاكم الناسَ على ضمائرهم وما في قلوبهم، فوصل بها الأمر أن **تحرم مواطنيها الموريسكيين الذين تنصروا وعُمِّدوا في الكنيسة الإسبانية الكاثوليكية، من حق الإقامة في وطنهم، بحجة حداثة نصرانيتهم، ورِقَّة كاثوليكيتهم، مع أنهم أظهروا من الولاء للملك ولإسبانية ما يكفي ليجعلهم على قدم المساواة مع غيرهم من مواطني إسبانية التي**

(٢٠) انظر: L.P. Harvey,

Muslims in Spain: **1500 to 1614**

(The University of Chicago Press Chicago & London, 2005), p.330

(٢١) انظر: Joseph Perez,

The Spanish Inquisition, Translated by Janet Lloyd,
Yale University Press, New Haven and London, 2002 (or 2004)

بَنَتْها حركة الاسترداد، وكانوا يتقنون اللغة القشتالية، غير أنهم لِهُجنةٍ استقرت فيهم، بفعل الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، التي امتدت تسعة قرون، لم يعودوا في نظر هذه الحركة يصلحون ليكونوا مواطنين في الإمبراطورية الإسبانية النقية، وتلك لعمري أسوأ عنصرية شهدتها الإنسانية.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

مَصَادِرُ وَمَرَاجِعُ البَحْثِ

- أبو ملهم، نجيب، وموسى عبود،

سرفانطيس: أمير الأدب الإسباني

نشر المندوبية السامية الإسبانية بالمغرب- نيابة الأمور الوطنية- مكتبة الترجمة الإسبانية- العربية، (مطبعة المخزن، تطوان، ١٩٤٧).

- بشتاوي، عادل سعيد

الأمة الأندلسية الشهيدة (تاريخ ١٠٠ عام من المواجهة والاضطهاد بعد سقوط غرناطة)

(المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٠).

- بوجاه، صلاح الدين

«ميغال دي سرفنتيس».. في أصول صاحب «دون كيخوت» الأندلسي في:

شبكة الأمة برس العربية الأمريكية الإخبارية المتعددة اللغات

THE NATION PRESS ARAB AMERICAN NEWS NETWORK

الناشر – رئيس التحرير : عبد الناصر مجلي

- ثربانتس، ميغيل د، **دون كيخوت دلامانتشا**، ترجمة رفعت عطفة، (دار ورد، دمشق، ٢٠٠٤).

- Carr, Mathew,
Blood and Faith: The Purging of Muslim Spain 1492-1614
(Hurst,& Company, London, 2009).

- Cervantes, Miguel de,
Don Quixote de la Manch,
Edicion, Notas E Introduccion Alberto Belcua, (Espasa Calpe, S. A. 2007).

- Cervantes, Miguel de,
Don Quixote de la Manch,
Translated by Charles Jarvis, Edited with an Introduction and Notes by E. C. Riley,
(Oxford University Press, Oxford, 1992).

- Chejne, Anwar G.,
Islam and the West: The Moriscos- A Cultural and Social History
(State University New York Press, New York, 1983).

- Docker, John,
1492: The Poetics Diaspora
(Continuum, London, 2001).

- Garces. Maria Antonia,
Cervantes in Algiers: A Captive's Tale
(Vanderbilt University Press, Nashville, 2002).

- Harvey, Leonard Patrick, M. A. D. Phil., Servantes Professor of Spanish,
- The Moriscos and Don Quixote,
Inaugural Lecture in the Chair of Spanish,
Delivered at the University of London, King's College, 11 November 1974.
- Muslims in Spain: 1500 to 1614
(The University of Chicago Press Chicago & London, 2005).

- Jonson, Caroll B,
"Phantom Pre-texts and Fictional Authors:
Sidi Hamid Benengeli, Don Quijote and the Metafictional Conventions of Chivalric Romances",
Cervantes: The Cervantes Society of America,
(2007.1) Spring 2007, Pp. 179-99**.**

- Lea, Henry Charles,
The Moriscos of Spain; Their Conversion and Expulsion
(General Books, 2009).

- McCrory, Donald P,
No Ordinary Man: The Life and Times of Miguel de Cervantes
(Peter Owen, London, 2002).

- Joseph Perez,
The Spanish Inquisition, Translated by Janet Lloyd
(Yale University Press, New Haven and London, 2004).

- Wesley, Carlos,
"The Joy of Reading Don Quixote",
Fidelio, Vo. XII, No. 3, Fall 2003.

دلالة اللون في شعر أبي تمام الحربي
(قصيدته البائية في وقعة «عمورية» نموذجًا)

د. زينت ريحاني(*)

المقدّمة:

يظهر أبو تمام في تلوين صوره الشعرية بارعًا فنّانًا، فخياله الخصب يلوّن المناظر والمشاهد ببراعة فائقة، فلذلك يستحقّ أن يسمّى«شاعر الألوان». ولم يكن اللون في شعره أداة لتلوين المناظر والمشاهد فحسب، بل هو عنصر من عناصر الفن يَفتنُّ فيه الشاعر ببراعته؛ ليمنح شعره روعة وجمالًا فنيًّا، وروحًا وحركة ونشاطًا، معبّرًا به عن الواقع.

لقد تعوّد الشاعر متابعة الأساليب العقلية في شعره عمومًا؛ فلذلك يمزج الألوان بالحجة والاستدلال المنطقي أحيانًا، فبذلك يبعث النشاط العقلي والفكري في الذهن، ويحرّك الألباب للوصول إلى أعماق القضية، واستيعاب العلاقات الموجودة بين عناصرها.

والشاعر أحيانًا يشخّص الصور ملونةً في قصيدته في وقعة عمورية؛ ليقرّبها إلى ذهن المتلقي محسوسة، فيجعله يشارك القضية ويرافقها، وكأنّه يشاهد ما وقع على

(*) دكتوراه في الأدب العباسي.

ساحة المعركة بأمّ عينه ماثلًا أمامه، وبذلك يصنع جسرًا بين تجاربه كشاهد عيانٍ وبين إحساس المتلقي، مع أنّ بينهما شأوًا بعيدًا مكانيًّا وزمنيًّا. فإذا قرأتَ القصيدة الآن تُرافقُ الشاعر في إحساسه تلقائيًّا، ويصل هذا الشعور إلى قمته عندما يصف الشاعر النيران التي أضرمتها جيوش المسلمين في قلعة عمّورية، فالشاعر يبتدع في وصفه للهيب النار، حيث يتخذه مادّة لرسم صوَره البديعة الدالّة على قدرة المسلمين العسكرية في تعجيز العدو. وفي هذه القضية تلعب الألوان دورًا هامًّا لتقوية انفعالات المتلقّين، وإيصال منطق الشاعر إلى أذهانهم، فريشة خيال الشاعر تتّخذ الألوان المتداخلة مادَّةً في رسم شُعَل النار، وأضوائها المنتشرة في الساحة، والدخان المتصاعد منها في الفضاء؛ ليرسم بها لوحة فنية ملونة ملهمة من مسرحية واقعية وهي الحرب.

اللون وأهميته في حياة الإنسان وفي الشعر:

نشأة الألوان متوغّلة في القدم فلا يُدرَك مداها، فمنذ خلق الله العالم، خُلقت الألوان، فربما عرف الإنسان اللون من بداية خلقته مستمدًّا من بيئته الطبيعية، فنظر إلى السماء والبحر فعرف اللون الأزرق، وخضرةُ أوراق الأشجار والأعشاب والطبيعة من حوله عرّفته اللون الأخضر، ومع طلوع الشمس كشف اللون الأحمر المستمدّ من الشفق، وفطن باللون الأصفر بعد أن مدّت الشمس أنوارها الذهبية على بساط الأرض، وعرف الأسود من ظلام الليل، وكشف غيرها من الألوان بطرق شتى.

ولا يمكن تصور العالم بلا لون، فالوجود بلا لون يصير متعبًا باردًا خاليًا من التنوع والروح؛ لأنّ الألوان تمنح الحياة تنوعًا وجمالًا، وتبعث في الإنسان الشعور بالنشاط

والحيوية، وخلق الله الطبيعة بألوانها المختلفة على أساس حكمته المتعالية، ووفقًا لطبيعة الإنسان وحاجاتها الروحية. فمثلًا جعل السماء تبدو للناظرين باللون الأزرق، وهذا اللون مريحٌ للعيون، ومهدّئ للأعصاب، ورمز للأبدية والتعمق، فيؤثّر في تنظيم دقّات النبض وخَفْض ضغط الدم، فبذلك عندما ينظر الإنسان إليه تصل روحه إلى الراحة والطمأنينة[1]. وجعل الخالق الأشجار خضراء؛ لأن الخضرة لون تجتلي به العين، وترتاح به النفس، والآيات القرآنية تشير إلى وفرة هذا اللون في الجنة، لأنّه لون ينقل إلى الإنسان الشعور بالراحة والهناءة، فأهل الجنة يلبسون ثيابًا خُضرًا، فتقول الآية الكريمة: ﴿ويلبسونَ ثيابًا **خُضرًا** من سُندُسٍ وإستبرق﴾ [الكهف / ٣١]، و﴿مُتَّكئين على رَفْرَفٍ **خُضر**﴾ [الرحمن / ٧٦]. فأما اللون الأصفر من وجهة نظر القرآن الكريم فيسر ناظريه، ويمنحهم النشاط والشعور بالفرح، فتؤكّد الآية القرآنية المعنى نفسه، حيث تقول: ﴿إنّها بقرة **صفراءُ** فاقعٌ لونُها **تسرُّ** الناظرينَ﴾ [البقرة/ ٦٩].

فكما أنّ للألوان في الطبيعة دورًا هامًّا، وتترك أثرًا حاسمًا في روح الإنسان، فتَصَوُّرها بالشعر أيضًا يبعث النشاط والحركة والحيوية في نفس المتلقي وذهنه، أو بالعكس أحيانًا تزيده الكآبةَ والمرارة، وغيرها من الأحاسيس السلبية وَفْقًا لِفيزياء بعض الألوان.

وديوان أبي تمام مفعم بالصور الملونة، يبرز بها براعته وفنه، فالشاعر يلوّن صوره الشعرية بريشة خياله الخصب؛ ليخلق لوحات فنية ملونة رائعة. فإضافة إلى أثر

(١) رنك، شناسي، د.محمد بيستوني، انتشارات بيام نوجوان، إيران، قم، ط٢، ١٣٨٥هـ، ص٦٨. انظر: اللون و دلالته في الشعر العربي السوري، هدى الصحناوي، أطروحة الدكتوراه، بإشراف أسعد علي، جامعة دمشق، ١٩٩٢م، ص ٤٢.

الألوان في روعة شعره وجماله الفني، فهو يوصل بها أفكاره إلى مخاطبيه ملموسة واضحة، وبها يُوصِّل أحاسيسه بشعور المتلقي، ويعمّق مشاعره، ويمنحه قدرة لتجسيم المشاهد، وتقريب الصور إلى ذهنه، فيسبّب تقوية أحاسيسه وانفعالاته. ففي تعبير آخر، للألوان دلالات معينة في شعر أبي تمام يبحث بها عن معان محدّدة، منها متجلية، ومنها مخفية مستورة تُدرك ضمن عملية التلقي.

لمحة إلى حياة الشاعر أبي تمام الطائي وشعره:

حبيب بن أوس الطائي شاعر فذّ وعبقري من عباقرة الشعر والأدب والحكمة، وُلد بالشام بقرية يقال لها «جاسم»[٢] من أعمال «حوران»، ونشأ بمصر. ثمة آراء كثيرة واختلافات عديدة حول تحديد سنة ميلاده ووفاته[٣]، وحسَب ما تقوله المصادر عن قول ولده تمّام: إنّه وُلد سنة ١٨٨هـ وتوفي سنة٢٣١[٤]. فربّما يرجع الاختلاف في سنة ميلاده إلى أنّه لم يكن من بيت ثريّ، ولم يكن أبوه من ذوي الجاه والسطوة؛ لأنّ أسر الطبقات السفلى في الأغلب لم يهتمّوا بضبط سنة ميلاد أولادهم؛ فلذلك لم تعيَّن سنة ولادته بالتحديد[٥].

طلع نجم الشاعر في عهد المعتصم العباسي، حيث استطاع أن يدخل بلاطه،

(٢) وفيات الأعيان، ابن خلكان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ٢٠٠٩م/ ١٤٣٠هـ، ١/ ١٩٩.

(٣) انظر: وفيات الأعيان، ١/ ١٩٩. أعيان الشيعة، السيد محسن الأمين، تحقيق: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ٤/ ٣٩٠.

(٤) انظر: الأعلام في كتاب معجم البلدان ، ياقوت الحموي، إعداد وتحقيق: عبد الحسين الشبستري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، [د. ت]، ص ١٦٩.

(٥) أبو تمام الطائي، د. هاشم صالح مناع، دار الفكر العربي، بيروت، ط ١، ١٩٩٤م ، ص٧.

ويمدحه بقصائده الخالدة، وبعد ذلك جاب البلاد؛ ليمدح ذوي السلطان، فمدح حسن بن وهب كاتب ابن الزيات وزير المعتصم، فهو ولّاه بريد الموصل[٦] حيث وافته منيّته[٧]. ومحسن الأمين العاملي في كتابه أعيان الشيعة يقدّم أشعارًا لأبي تمام تؤكّد تشيعه[٨].

وأبو تمام شاعر مجيد من أبرع شعراء عصره ومخترع المعاني الرفيعة والصور البديعة في شعره، و يقول عنه ابن خلكان: «كان أوحد عصره في ديباجة لفظه وصناعة شعره وحسن أسلوبه»[٩]. ففضّله كثير «من الرؤساء والسادة والكبراء والشعراء، ومن لا يشقّ الطاعنون عليه غباره»[١٠]. وتعصّب له كثير من الباحثين والكتَّاب والشعراء، وشرحوا كثيرًا من جيد شعره، وأما الذين عادَوْه فأفرطوا في استشهادهم بالرديء من شعره، وتكبير نقاط ضعفه[١١].

مهما يكن من أمر، فإنَّ شعره يمتاز بقوة المعاني، والتكلف، والبعد عن السهولة، يقول فيه أبو الفرج الأصفهاني: هو «شاعرٌ مطبوع، لطيف الفطنة، دقيق المعاني، غوّاص على ما يستصعب منها، ويعسر متناوله على غيره»[١٢].

(٦) الأعلام في كتاب معجم البلدان، ص١٦٩. أخبار البحتري، لأبي بكر محمد بن يحيى الصولي، تحقيق: صالح الأشتر، دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م، ص٦٦.

(٧) الجامع في تاريخ الأدب العربي، حنّا الفاخوري، دار الجيل، بيروت،[د. ت]، ص ٧٣٠.

(٨) انظر: أعيان الشيعة، ٤/ ٣٩٤.

(٩) وفيات الأعيان، ١/ ١٩٧.

(١٠) الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، شرحه عبد الله علي مهنا، دار الفكر، بيروت، ط٣، [د.ت]، ١٦/ ٤١٥.

(١١) الأغاني ١٦/ ٤١٥ وما بعدها.

(١٢) الأغاني ١٦/ ٤١٤.

قصيدة أبي تمام عن وقعة عمورية:

قصيدة أبي تمام في وصف مشاهد حرب «عمّورية» تُعدّ من قصائده الخالدة ومن عيون شعره، بل من جيد ما قيل في الشعر الحربي العربي، وهو يظهر فيها مصورًا لوحات فنية تموج فيها الألوان والأضواء، وتتجلّى مقدرته الفنية عندما يمزج خياله الخصب بين تلك الألوان، فيخلق صورًا ملونةً تقوم على الرسم والزخرف والتنميق من جهة، وعلى الفكر والفلسفة وحقائق الحياة من جهة أخرى، إذ هو شاعر المعاني الرفيعة، وحكيم يسبر أغوار الحياة بشعره، وفنه، وخياله.

عبّر كثيرٌ من الباحثين عن آرائهم حول هذه القصيدة، فمنهم شوقي ضيف، فهو يعبّر عن إعجابه بمقدرة الشاعر على مزج ألوان التصنيع العقلية وألوان التصنيع الحسية، فهو يمزج بين الألوان الثقافية القاتمة والألوان الفنية الزاهية بقدرته وفنه، وبهذا يتوصل إلى أصناف جديدة من الألوان الفنية في قصيدته في وقعة عمورية(١٣). ومصطفى الشكعة الذي قدم بحوثًا في الشعر العباسي، يقول: إنّ قصيدة أبي تمام في فتح عمورية تمكنت من فتح آفاق جديدة في الشعر العربي، وهي درّ ثمين من درر أبي تمام الكثيرة التي قدّمها إلى التراث العربي في حياته القصيرة(١٤).

لمحة تاريخية إلى وقعة «عمورية»:

عمورية بلد من بلاد الروم القديمة، ومن مدنها العامرة، حيث فيها القلاع والحصون الحصينة، والبنايات المستحكمة التي فتحها المسلمون في أيام المعتصم

(١٣) الفن ومذاهبه في الشعر العربي، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، [د. ت]، ص ٢٥٦.

(١٤) الشعر والشعراء في العصر العباسي، د. مصطفى الشكعة، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٥، ١٩٨٠م، ص٦٧٣.

العباسي سنة ٢٢٣هـ، ويعدّ هذا الفتح من أعظم فتوحات المسلمين في تاريخ حروبهم مع الروم[١٥]. وسبب غزو المسلمين عموريةَ يرجع إلى أنّ تيوفيل بن ميخائيل إمبراطور الروم هجم على بلاد المسلمين ومنها زبطرة[١٦]وقتل من بها، وسبى النساء، ومثّل بالأسرى، وسمل عيونهم، وقطع أنوفهم، وارتكب جرائم فادحة بحق المسلمين[١٧]، وعظم الأمر حينما استغاثت امرأة مسلمة وهي أسيرة في أيدي جيوش تيوفيل، وبلغ خبرها إلى الخليفة، فجمع عسكره، وهيّأ جيشه ومعداته العسكرية، ثم نادى بالرحيل، فسار نحو بلاد الروم وغزاها، وهجم على مدنها المهمة في الطريق منها أنقرة[١٨]، حتى وصل عمورية، فدمّر حصونها الشامخة الحصينة، ومبانيها المستحكمة. ومن أثر بسالة المسلمين وصمودهم هزم جيش الروم، بعد أن قُتل كثير منهم، و سُبيَ الآخرون، وهرب البعض الآخر، وأخذ المسلمون الأموال الطائلة والغنائم الكثيرة من عمورية، ما لم يأخذوا مثلها من قبل، فحملوا ما أمكن حمله، وأحرقوا الأبراج والبنايات والآلات الحربية؛ لئلا تقوى بها الروم مرة ثانية[١٩].

(١٥) معجم البلدان، ياقوت الحموي، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، [د. ت] ٤/ ١٧٨. شذرات الذهب، ابن العماد، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ـ محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ٣/ ١٠٤.

(١٦) مدينة من مدن الروم، بين ملطية وسميساط ،انظر: معجم البلدان،٣/ ١٤٦.

(١٧) تاريخ الطبري، محمد بن جرير الطبري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨م، ٩/ ١٩٢.

(١٨) معجم البلدان، ١/ ٣٢٢.

(١٩) تاريخ الطبري، ٩/ ١٩٣ وما بعدها.

القصيدة وتحليلها:

يستهلّ الشاعر القصيدة بالموازنة بين السيف والقلم، فأوّل بيت من القصيدة بل الكلمة الأولى منها تسفر عن موضوعها وهو الحرب؛ فالشاعر بمقارنته هذه يؤكّد دور السيف في حسم النزاع، والتفريق بين الحق والباطل، ويرى أنّ السيف بحدِّه المرهف البتّار يقرر حسم القتال، ويعيّن نتائج الحرب؛ فلذلك تَرجَح كفّة ميزانه على كفّة ميزان القلم الذي يُكتب به الكذب أحيانًا، إشارة إلى أكاذيب المنجمين الذين تكهّنوا بفتح بلاد الروم في فصل نُضْج التين والعنب[٢٠]، فيتهكّم الشاعر بخرافات هؤلاء المنجمين بمقارنته هذه.

ولأنّ الشاعر نفسه من ذوي المعرفة ومن أصحاب القلم والكتابة، فقصده من القلم هنا ليس القلم على الإطلاق، بل القلم الذي تُكتب به الأكاذيب والخرافات، ويصير أداة بأيدي المنحرفين يستعملونها لمصلحتهم.

يحاول الشاعر اجتذاب الأذواق والآذان من مستهلّ القصيدة، فيهتمّ بالموسيقا، فيوظف الجناس بين كلمتي «الحدّ» و«الحدّ»، ليعطي البيت تناغم الموسيقا، وتعدد النغم، كما أنه يعتمد على التّصريع بين كلمتي «الكتب» و«اللّعب»؛ ليبرز براعته في تنسيق موسيقا القصيدة، وتنوع أنغامها، فالتحرك الصوتي النابع من حرفي «الدال» و«الباء» ـ والأخير هو الروي ـ يساعد الشاعر على أن يضفيَ على البيت الحركة والنشاط والجمال الصوتيّ البديع؛ لأنّ «حرف الباء قوي شديد مجهور يتّفق وطبيعة التجربة الشعرية التي تتحدث عن السلاح والمعارك

(٢٠) هامش ديوان أبي تمام، تحقيق: محمد عبده عزام، دار المعارف، مصر، ط٣، [د. ت]، ١/ ٦٩.

والحروب، إلى جانب قوة الموسيقا وفخامتها التي تناسب قعقعة السلاح ودقّ الطبول»[٢١].

واعتماد الشاعر على البحر البسيط ــ وهو بحر يمتاز بالغنائية ــ يزيد موسيقا القصيدة روعة وعمقًا، ومع أنّ هذا البحر يناسب حالات الشجن، فقد يُستعمل في التعبير عن القسوة، التي تتصف بها مشاهد الحرب[٢٢]، فيقول الشاعر:

السيفُ أصدقُ أنباءً من الكُتُبِ في حَدّه الحَدُّ بينَ الجِدِّ واللعبِ[٢٣]

ثمّ يجري التضاد بين اللون الأبيض المستمدّ من إشراق حدود السيوف المصقولة ولمعانها، وبين اللون الأسود المستمدّ من خطوط الكتب، ومن امتزاج اللونين؛ يُخلَق مناخٌ رماديّ في ناحية اللاوعي من الذهن يدلّ على الشك والارتياب، والذهن يتوصل إلى اللون الرمادي من تركيب بياض حدود السيوف وسواد خطوط الكتب وامتزاجها، أو من اختلاط خطوط الكتب السوداء وبياض صفحتها، فيتبادر هذا اللون الجديد إلى الذهن بصورة غير محسوسة في منطقة اللاوعي. فالتضاد القائم بين الأبيض الدّال على الصفاء واليقين، وبين الأسود الذي يدلّ على الشك والريب يمثّل صراعًا يختم بغلبة الأبيض على الأسود، أي غلبة اليقين المتمثل في السيف على الشك المتمثل في القلم.

فالشاعر في البيت التالي يستعمل الكثير من المحسنات البديعية؛ لتنشيط القوى

(٢١) أبو تمام الطائي، د. هاشم صالح مناع، ص٧١.

(٢٢) دراسات في النصّ الشعري، العصر العباسي، د. عبده بدوي، دار قباء، [د- ت]، ص٢٣.

(٢٣) القصيدة في الديوان ١/ ٤٠.

الذهنية. والجناسُ الموجود بين «الصفائح» و«الصحائف» يعطي البيت الرونق الموسيقيّ، والتنوع في أنغامها، كما أنّ الشاعر ببراعته يرصف الألفاظ المترادفة والمتضادة جنبًا إلى جنب؛ لينشّط قوة إدراك المتلقي، ويعمّق شعوره. فالألوان المتضادة «الأبيض≠ الأسود»، والألفاظ المترادفة «الشك = الريب»، تثير الشعور لإدراك التنوع في الألفاظ والمعاني.

إضافة إلى هذه المحسنات البديعية، تحتلّ الاستعارة حيِّزًا مهمًّا في البيت، حيث يشبه الشاعر السيف والكتاب بالموجود الحيّ، ويخلق لهما المتن أيّ الظهر، وبذلك يشخّصهما ويبثّ فيهما الحيوية، هادفًا إلى تقوية المشاعر، وتعميقها، فيقول:

بيضُ الصَّفائح لا سُودُ الصَحائفِ في متونهنَّ جِلاءُ الشك و الريَبِ[٢٤]

ثم يستمرّ القول في المقابلة بين السيف والقلم؛ ليؤكّد اليقين الحاصل من حدود السيوف في ساحات القتال. فمخيّلة الشاعر تشبِّه الرمح مع سنانه وعموده بالشهاب المذنّب، فيعتقد أن الشهاب المذنّب الحقيقي الذي يجب أن يخافه الروم، هو الرماح، لا الشهب السماوية التي خوّف بها المنجمون الناس، فاليقين الحقيقي لا يحصل إلا في ساحة المعركة وعند احتكاك الرماح المشبهة بالشهاب. ومن امتزاج بياض الجذوة الناتجة من احتكاك الرماح بسواد الليل، يتصاعد لون ولمعان يتجلّى في اللون الأشهب، أي الأبيض الممزوج بالأسود، فيستمرّ ذلك الفضاء الرمادي الذي تشكّل في الذهن من قبل.

(٢٤) الصفائح: ج الصفيحة: السيف العريض، لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط ١، ٢٠٠٠م، ٨/ ٢٤٧. الصحائف: ج الصحيفة: الكتاب، المصدر نفسه ص٢٠٤. الجِلاء: الكشف، المصدر نفسه، ٣/ ١٨٨. الريَب: ج الريبة: الشك، المصدر نفسه، ٦/ ٢٧٣.

فلفظ «الشهب» يدلّ على معنيين: الأول: هو اللون الأشهب، والثاني: الشهاب السماوي، وبين المعنيين علاقة، وهي أنَّ الشهب السماوية عندما تظهر في السماء ليلًا يمتزج بياضها أي لمعانها بسواد الليل، فيبدو للناظر باللون الأشهب. فالشاعر يستمرّ بموازنته وسخريته من عقائد المنجمين الخرافية، والطّعن عليهم، فيقول:

والعِلمُ في شُهُبِ الأرماحِ لامعةً بينَ الخميسين لا في السَبعةِ الشُهُبِ[٢٥]

وفي الأزمان القديمة كان بعض المنجمين يتكهّنون بانتهاء العالم عقب ظهور شهاب مُذَنَّب، وبهذا الأمر يبثّون الخوف والرعب في قلوب الناس، فتنتشر الأكاذيب والخرافات حوله، فالشاعر يشير إلى أنّ المنجّمين العرب خوّفوا الناس من وقوع أمر فادح عظيم، بعد ظهور شهاب مذنّب نسميه اليوم بالنّجم «هالي»[٢٦].

ومخيّلة الشاعر تلوّن هذا الحدث المتوقع الهائل الذي لمّا يحدث بالفعل، باللون الأسود الحالك؛ لتعميق الصورة وهي التهويل، فاللون الأسود يعبّر عن مشاعر الرعب. فبالاستعارة التهكّمية يسخر الشاعر من المنجّمين وعقائدهم الخرافية؛ لأنّهم جعلوا حَدَثًا طبيعيًّا وسيلة للخدعة، فبدّلوا النور ظلمة، واتخذوا علم التنجيم وسيلة لإلقاء الرعب في قلوب الناس.

الشاعر يلوّن الحادثة المتوقعة التي لا حقيقة لها في خارج الذهن، باللون

(٢٥) الخميسين: الجيش، لأنه خمس فِرق، المقدمة والقلب والميمنة والميسرة والساقة، لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط ١، ٢٠٠٠م، ٥/ ١٥٧. سبعة الشهب هي: زحل والمشتري، والمريخ، والشمس، والزهرة، وعطارد، والقمر، هامش الديوان، ١/ ٤٢.

(٢٦) وهو نجم مذنّب يظهر كلّ ٧٦ سنة في سمائنا، انظر: تاريخ الأدب العربي، عمر فرّوخ، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، ٢/ ٢٥٩.

الأسود. فتجري علاقة بين اللون ومعارف الشاعر الفلسفية، فيسودّ العدم في عوالمه الذهنية، فتجري مناسبة بين العدم والسواد، وهي أنّ الأسود لون ليس له وجودٌ مستقِلٌّ فيزيائيًّا، فهذا اللون تختفي وراءه قضيةُ العدم(٢٧). فتظهر ثنائية ضديّة تتمثّل في الصراع بين النور والظلمة، أي بين الوجود والعدم، فيقول:

وخوّفوا الناسَ من دهياءَ مظلمةٍ إذا بدا الكوكبُ الغربيُّ ذو الذنَبِ(٢٨)

يشيد الشاعر بفتح عمّوريّة، ويسميه «فتح الفتوح»، ويكرّر كلمتي «الفتح والفتوح»؛ ليطمئنّ من إيصال الفكرة إلى الأذهان. ويعتقد متواضعًا أنّ الكلام أعمّ من الشعر والخطب لا يليق بتصوير هذا الفتح العظيم؛ لأنّه أجلّ من أن يحيط به الشعراء بشعرهم والخطباء بنثرهم؛ ولأنّه فتح سماوي فيه تجديد لحياة الأرض. فقوة مخيلة الشاعر تصنع جسرًا بين الأرض والسماء، حيث يتسع رحاب الفتح إلى السماء، فلا تمحو آثارَه عن الأرض تمامًا؛ لأنّه يسبّب تجديد حياة الأرض، فبالاستعارة يقوى الحكم الذي أصدره الشاعر، حيث يشبّه الأرض بإنسان لبس أثوابه الجديدة للمشاركة في حفلة الانتصار، فيقول:

فتح الفتوحِ تعالى أنْ يُحيطَ به نظمٌ من الشعرِ أو نثرٌ من الخُطَبِ
فتحٌ تفتّحُ أبوابُ السَماءِ له وتبرز الأرضُ في أثوابها القُشُبِ(٢٩)

ثم يستمرّ القول في نتائج الحرب وما أصيب بعمورية، من الكرب والدمار

(٢٧) اللون ومقامات النفس، عبيد الشحادة، مطبعة دار عكرمة، دمشق، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص٢٤-٢٨ .

(٢٨) الدهياء: الأمر المنكر العظيم، شدائد الدهر، لسان العرب، ٥/ ٣٢٢.

(٢٩) قَشُب الثوب: جدّ ونظُفَ، لسان العرب، ١٢/ ١٠٧.

والخراب. والشاعر – لتعميق الصورة – يرجع إلى الوراء، ويركّز على عنصر الزمان، ويصوّر القلعة في أيامها المضيئة التي انقضت، حيث كانت شامخة آمنة متينة، وملجأ أهلها في ملمّات الدهر وأحداثه، والآن ما بقيت منها إلا خربة، إذ حلّت بها كوارث الدهر وفجائعه، فاضطُرّ أهلها أن يغادروها.

ومخيّلة الشاعر تُشخّص الخطوب، حيث تشبهها بإنسان عابث لاهٍ لا يبالي ما يصنع، وهذا الإنسان لبس ثوبًا أسود. فالصورة الاستعارية تُلبس كسوة سوداء على الكروب والمعاناة التي تحملتها القلعة؛ لتزيد شدّةَ الصورةِ وفاعليتَها، وليُدرَك عمق المأساة.

يحاول الشاعر أن يجد قرابة أخرى بين الماضي والحاضر، فيتّصل ما حلّ بأنقرة في الماضي القريب، بمأساة عمورية في يومها الحالي، ويكرّر إنكاره معتقدات المنجمين الخرافية، فيضفي صفة النحس على الفأل أو خرافات المنجمين تهكّمًا؛ لأنّ الفأل ضدّ الطيرة، ويجوز استعماله للخير والشر، واستعمله الشاعر للشر. فتتجلّى الثنائية الضديّة بين الماضي الغابر والزمن الحالي الذي يفيد الاستمرار، فالشاعر يقصر الماضي، ويطيل الحاضر؛ ليؤكّد سعة رحاب المأساة التي حلّت بعمورية بأيدي الأبطال المسلمين وسرعتها، حيث يقول:

أَتَتْهُمُ الكُربَةُ السّوداءُ سادرةً ... مِنها وكانَ اسمُها فرّاجةَ الكُرَبِ

جرى لها الفألُ بَرْحًا يومَ أنقِرَةٍ ... إذ غودرتْ وحشة الساحاتِ والرَّحَبِ[٣٠]

(٣٠) السادر: الذي لا يهتمّ لشيء، ولا يبالي ما صنع، لسان العرب، ٧/ ١٥٢. الرَحَب: ما اتسع من الأرض، لسان العرب، ٦/ ١٢٠، برحًا برَحَ، يبرَح، من البارح، وهو ضدّ السانح، السانح ما ولّاك مياسره والبارح ما ولّاك ميامنه، الديوان، ١/ ٥٠.

ويستمرّ القول في وصف أرجاء القلعة بعد انهيارها بأيدي الأبطال المسلمين، فيتجول خيال الشاعر في أجوائها وزواياها بدقة فائقة، فلا يجد فيها إلا جثث القتلى المتناثرة في كلّ مكان، فيرسم لوحة فنيّة مخيفة مرتكزًا على جثث الفرسان المضرجة بدمائهم الحارّة، وكأنهم قُتِلوا قُبيل لحظات، وحمرة هذا الدم السائل المتحرّك تلفت الانتباه، خاصة عندما تمتزج بلون الشعر الأشقر، ويرتكز الشاعر على شَعر هؤلاء الأبطال الروميين وهم ملطّخون بدمائهم، فتصوّرُ الشَعر الأشقر وهو مصَبّغ بالدم يخلق منظرًا هائلًا مهيبًا؛ لأنّ الشعر الأسود إذا تلطّخ بالدم، لا تتبين حمرة الدّم عليه، ولا تلفت الانتباه، فيمزج الشاعر حمرة الدم باللون الأشقر لا الأسود؛ ليبتدع لونًا بديعًا مهولًا، وهو القاني أي الحمرة الغامقة، فيقول الشاعر:

كم بين حيطانها من فارس بطلٍ قاني الذوائبِ من آني دم سربِ[٣١]

وكم الخبرية هنا وظيفتها إفادة التكثير، فالشاعر يخبر بها عن كثرة عدد الضحايا؛ ليزيد الصورة هولًا ورعبًا.

ويتابع الشاعر القول في وصف مشهد القتلى وهم مضرجون بدماء تسيل على وجوههم وشَعرهم، وكأنّ شَعرهم مخضّب بالحنّاء. والشاعر يؤكّد أنّ هذا الخضاب ليس بأمر من السنة والشريعة الإسلامية، بل بأمر السيف، إشارة إلى سُنَّة المجاهدين المسلمين في صدر الإسلام، وهي صبغ شعرهم بالحناء لئلا يظهر شيبهم[٣٢]، ويطمع

(٣١) قاني: شديد الحمرة، لسان العرب، ١٢/ ٢٠٨. الذوائب: جمع الذؤابة، وهي شعر مضفور، لسان العرب، ٦/ ١٣، آني: الحارّ: الديوان، ١/ ٥٢.

(٣٢) الديوان: ١/ ٥٢.

فيهم العدو بسبب كهولتهم، وكبر سنهم، فيركّز الشاعر على اللون؛ ليدفع التوهم: إنّ هذا اللون الذي يبدو للناظر كلون الحناء ليس من أثر الحناء، بل هو لون الدم الذي قطّرته حدود السيوف، ففي تعبيره هذا شيء من السخرية والتّهكّم.

فجاء البيت تعليلًا للبيت السابق، فكأنّ الشاعر يعلّل قتْل الأبطال الرومين، فيراهم أنفسهم مسببي قتلهم، فهم بسبب غيّهم وجرائمهم بحق الأبرياء، وبسبب أعمالهم البشعة صاروا مستحقين للقتل، إذ حرّكوا حفيظة الخليفة، وسبّبوا إشعال نيران الحرب بظلمهم وعبثهم، فيقول:

بسنةِ السيفِ والخطيِّ من دمه لا سنةِ الدينِ والإسلامِ مُختضِبِ[٣٣]

فكلمة «السنة» في المصراع الأول تكون بمعنى حدّ السيف وفي المصراع الثاني تكون بمعنى قوانين الدين وأحكامه، فبينهما جناس يؤدي دورًا مهمًّا في موسيقا البيت وتنوع نغمه، كما أنّها تعدّ محسّنة بديعية أخرى، وهو ردّ العجز على الصدر، فهذا النوع من البديع، وثيق الصلة بموسيقا الألفاظ، حيث يعتمد على ترديد الأصوات في الكلام؛ ليسترعي الآذان[٣٤]، ثم إنّ صوت جرس «السين» يزيد الموسيقا روعة وجمالًا صوتيًّا.

الشاعر يتخلّص من الموضوع الذي يكون فيه؛ ليتناول الغرض الرئيس من القصيدة وهو مدح الخليفة، فيخاطب الخليفة، وينسب الفتح إليه، كما ينسب إليه

(٣٣) الخطّي: الرماح المنسوبة إلى خطّ وهو مرفأ السفن بالبحرين، لسان العرب، ٥/ ١٠٢، مادّة «خطّ».

(٣٤) موسيقا الشعر، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٦، ١٩٨٨م، ص٤٤– ٤٧

إضرام النار التي أحرقت القلعة وأخشابها، على سبيل المجاز العقلي (علاقته السببية) لأنّ جيوش الخليفة قاموا بذاك الأمر.

فيصف الشاعر قوة الحريق الذي أضرمه جيش الخليفة في أرجاء القلعة ومبانيها الشامخة المستحكمة، ويؤكّد قوة شُعَل النار التي لم تترك رطبًا ولا يابسًا إلا وأحرقته، فيصوّر أحجار القلعة وأخشابها إنسانًا صار ذليلًا خائفًا من شدة الحريق، وسرعة اللهيب. فالصورة الاستعارية فيها الحركة والحيوية، حيث يبثّ الشاعر الحياة في الأشياء الجامدة، ويُشخّصها، وبذلك يقصد تعميق المشهد، فيقول:

لقد تركتَ أمير المؤمنينَ بها للنّار يومًا ذليلَ الصخرِ والخَشَبِ[٣٥]

يرسم الشاعر في البيت التالي مشهدًا مهيبًا، ومنظرًا ملونًا تموج فيه الألوان، فريشة خياله تلوّن خلفية هذه اللوحة الفنية باللون الأسود الحالك المستمدّ من ظلام الليل القاتم، ولكن فجأة يظهر لمعان نور في هذا المناخ المظلم، كأنّه طلع الفجر بأضوائه الفضية، وتبدو بعده حمرة الشفق، فهذه الصور بألوانها كلّها مستمدّة من لهيب النار في وسط الليل، فيقول: جعلتَ ليل عمورية بإحراقها كأنّه ضحىً، واللهيب المعترض في وسطها كأنّه فجر مُحمرُّ الأفق.

فشدة النيران ولهيبها في وسط القلعة جعلت ليلها المظلم المبهم مضيئًا كالصبح، ولهيبها الأحمر كأنّه حمرة الشفق في الضحى، فهذه الصورة ليست صورة خيالية فحسب، بل صورة حقيقية عما وقع في ساحة القتال يمزجها الشاعر بالخيال، فالشاعر بتشبيهاته الحسية الملموسة الممزوجة بالخيال يقرّب ذهن المتلقي إلى الواقع؛ لإدراك عمق المشهد عن طريق رسم فنيّ ملون.

(٣٥) إنها احترقت، فذلّ صخرها وخشبها للنار، الديوان: ١/ ٥٣

فيظهر التضادّ بين السواد المستمدّ من عتمة الليل، وبياض الفجر المستمدّ من لمعان النور الناتج عن اللهيب، وينتهي الصراع بانسحاب سواد الليل، وغلبة بياض الصبح على سبيل الاستعارة، فهذه الصور المتضادة من الألوان تنشّط الذهن لاستيعاب منطق الشاعر، وهو وصف كثافة النيران، وشدة لهيبها، فيقول:

غادرْتَ فيها بَهيمَ الليلِ وهْوَ ضحىً يشُلُّه وَسْطَها صُبحٌ من اللَهَبِ[٣٦]

ويستمرّ المشهد، ويتناول الشاعر الموضوع السابق وهو وصف شدة النيران التي أضرمها جيش المسلمين في ساحات قلعة عمورية ليلًا، وجعلت ليلها كصبح مُشرق يختلط إشراقها بحمرة الشفق، وكأنّ الصباح الناتج عن تلك النيران وإضاءة لهيبها جعل الليل يخلع رداءه الأسود، فالشاعر ببراعته وخياله الخصب يشبه الليل الداجي بإنسان ارتدى ثوبًا واسعًا فضفاضًا أسود، فالآن في بحبوحة الأحداث وبسبب الحرارة الناتجة من النار، اضطرّ أن يخلع الرداء، فالشاعر بهذه الصورة الحية يحاول تأكيد الصورة السابقة، وإثارة الدهشة بشدة النيران وقوتها، وتغلّبها على سواد الليل المنتشر، بحيث يظنّ الناظر النارَ شمسًا طلعت ليلاً في الظلام، فالصورة تجرّد الظلام عن الليل.

الصور التي رسمها الشاعر صور حقيقية، استعارية، حسية، بصرية، متناقضة، ويُستنتج منها أنّ الليل الدامس المظلم موجود بالفعل يدركه العقل والبصر، فالظلام الحالك والليل الداجي الواسع صور حقيقية، ولكن تشبيه الليل بالإنسان صورة استعارية، فهذا الإنسان يخلع ثوبه الأسود أي يطرد الليل ظلامه، ولكن ذلك الإنسانَ لا تمحو نفسُه صورتَه عن الذهن، بل تبقى في الظلّ أي في

(٣٦) شلّه: طرَده، لسان العرب، ٨/ ١٢٤.

ناحية اللاوعي، فالليل يبقى بالفعل، ولكن لا هوية له، والليل بلا سواد كأنه غير موجود، ويبدو هناك تناقض، وهو وجود الليل وعدم وجوده، وهذا التناقض يعطي البيت رونقًا يتفاعل بالقوى المدركة. فالشاعر يقصد أنّ هذا الليل المظلم الأسود كأنّه غير موجود من شدة اللهيب، وغلبة النيران، فيقول:

حتى كأنّ جلابيبَ الدُّجى رغبَتْ عن لونها أو كأنَّ الشمسَ لم تغِبِ[٣٧]

فخيال الشاعر يضخّم بعض الألوان، ويخفّف بعضها الآخر، فهو يعبّر عن منظر الحريق، ويرسم صورة غلبة النار على سواد الليل، ويصور الضوء المنتشر الناتج عن لهيب النار، والظلمة الكثيفة المخيمة على عمورية، فكلّ هذه العناصر والدخان المرتفع من الحريق في آن واحد يشكل فضاء متناقضًا ظاهريًّا ومختلطًا من الألوان، وصراعًا قائمًا بين العناصر المتضادة، فالظلام الحالك والدجى الواسع والدخان المتصاعد من النار يزيد عتمة الفضاء، إلّا أنّ ضوء النار بقوته لا يسمح للدجى بالظهور، وهذا الضوء يبشر بإشراق فجر كاذب شاحب اللون غير حقيقي، والشاعر يؤكّد شحوب لون الصبح؛ ليُدرَك أنّ النهار غير حقيقيّ، فكأنّ سواد الليل انسحب عن المعركة، وهو من أثر قوة أضواء النار المنتشرة.

فيحرص الشاعر تمام الحرص على أن يثير إعجاب المتلقي، ويحرّك ذهنه بتقديم صوره الملونة المتضادة التي تأتي باستمرار واحدة تلو الأخرى، حتى يتجسّد المشهد نصب عينيه، فيقول:

ضوءٌ من النارِ، والظلماءُ عاكفةٌ وظلمة من دخان في ضحى شَحِبِ[٣٨]

(٣٧) الجلباب: الثوب الواسع، لسان العرب، ٣/ ١٧٠.

(٣٨) الشحب والشَّاحِب: المتغيّر اللون، لسان العرب ٨/ ٣٠.

وفي البيت التالي يستنتج الشاعر من الصورة التي رسمها للحريق؛ ليؤكّد قوة النيران مرة ثانية، فيرسم لوحة فنية تبدو مكررة، حيث يصور فيها صورة النيران المشتعلة، ومشهد المدينة وأرجائها في ظلام الليل الحالك. فالدخان المنبعث منها إلى السماء أخفى واقع المدينة عن عيون الناظرين، وهذا الظلام الواسع من أثر الدخان يجعل الناظر يتخيل أنّ الشمس التي تخيلها سابقًا قد غابت الآن، فمن امتزاج الظلمة والنور تبدو صورة متضادة، بحيث ترى الشمس طالعة من أثر لهيب النار، ومن جهة أخرى فهي غائبة في الأفق بسبب كثافة الظلمة وامتزاجها بالدخان، «وقد جمع أبو تمام هذه الأضداد المتنافرة، وقرب المتناقضات، من أجل إثارة الدهشة والغلو والمبالغة»[٣٩].

فيتمَكَّن الشاعر بهذه الصور المتضادة من الاتساع في التعبير عن عالمه الداخلي. كما أنّ المتلقي يتمكَّن بها من امتلاك قوة للتسرب في عمق أحاسيس الشاعر الخفية، وزوايا شعوره المخبوءة، فالشاعر يهدف بهذه الصورة إلى إثارة دهشة المتلقي، وتقوية إدراكه مركّزًا على قوته البصرية؛ لتجسيم المشهد ملوّنًا، فيقول:

فالشمسُ طالعةٌ مِن ذا وقد أفلتْ والشمسُ واجبةٌ مِن ذا ولم تجِبِ[٤٠]

ثم يصف أوضاع القلعة المادية، وما أصابها بأيدي جيوش المسلمين من الخراب والدمار والاحتراق، ويقابل واقعها بربع مَيّة حبيبة ذي الرمة[٤١] حيث خلا

(٣٩) أبو تمام الطائي، حياته وشعره، ص٩٧.

(٤٠) وجبت الشمس: غابت، لسان العرب، ١٥/ ١٥٤.

(٤١) هي بنت فلان بن طلبة بن قيس بن عاصم التي تشبّب بها ذو الرمة في شعره، وذو الرمة شاعر من شعراء العصر الأموي، وكان أحد عشاق العرب. انظر ترجمته وشعره في: الشعر و الشعراء، ابن قتيبة، تحقيق د. عمر الطبّاع، دار الأرقم، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ص٣٨٥.

من أهله فصار موحشًا، فمع وحشته، يستأنس ذو الرمة به، ويشتاق إليه لانتسابه إلى الحبيبة. فيقول الشاعر: إنّ عمورية وما أصابها من الخراب والدمار في عيوني أبهى وأجمل من ربع مية عند ذي الرمة لو عُمّر بنزول حبيبته، ففي الصورة شيء من التهكّم والتشفي.

فيُوازن الشاعر بين شعوره بالفرح وشوق ذي الرمة إلى آثار حبيبته، فيجد بينهما اشتراكًا، وهو إظهار المسرة والفرح، ولكن شتان بين حُبّهما، فحبّ الأول حُبُّ مَن يتعلق قلبه بموطن حبيبته، فيجد سكينته في الطواف حول آثار حيّها، والحب الثاني حبّ الانتقام، والفرح بتدمير أوكار الكفار، فالشاعر يتلذّذ بمشاهدة مناظر عمورية الخربة ومرآها المحروق، وهذا شعور غريب يهدف به إلى تبريد غلّة صدره، وتشفي آلامه، فحالته حالة إنسان وصل إلى الهناءة والراحة، بعد تحمل الكثير من المعاناة والشقاء، وبعد أن انتقم من عدوه، ورأى خذلانه.

الشاعر يستعمل رمزًا أدبيًّا؛ لتقوية حكمه، فذو الرمة عنده رمز للحب الغرامي، وبهذا يعبّر عن وعيه بالتراث الشعري، فتجربة الشاعر تصنع جسرًا يصل الحاضر بالماضي، فيجري التفاعل بينهما، فيقول:

ما ربعُ ميّةَ معمورًا يُطيفُ به غيلانُ أبهى رُبى من ربعها الخَرِبِ[٤٢]

الشاعر يستمرّ وصفه لأحوال قلعة عمورية، ويعلن شوقه إلى مشاهدة مناظرها بعد خرابها، فيرسم صورة خارجةً من النص جانبيةً، وكأنها ظلّ، حيث يصوّر فتاة احمرّ خدّاها من شدّة الحياء والخجل، والحمرة تزيدها جمالًا، ويؤكّد

(٤٢) غيلان: هو ذو الرمة. انظر: الشعر والشعراء، ابن قتيبة، ص٣٨٥.

أنّ هذا الجمال ليس بأشهى إليه منظرًا من صورة المدينة، ومناظرها المهدّمة المعفّرة بالتراب.

وقوة خيال الشاعر ترسم صورتين متضادتين: صورة جميلة من الخدّ الطروب وصورة قبيحة من الخدّ المعفّر بالتراب، يقصد بها المدينة ومناظر خرابها، فالشاعر يشخّص المدينة، وينفخ الروح في أرجائها حتى تتمثّل له امرأة، تبدو كئيبة، حيث عفّرت خديها بالتراب، فذهب جمالها ورونقها. فبهذا يظهر التناقض في أحاسيس الشاعر، فهو على حبه الجمال يفضّل ضده، ويعلن حبّه للصورة القبيحة تشفيًّا. فالحمرة عنده مظهر للروح والحياة، ولون التراب رمز للكآبة والفشل، والصور الاستعارية المتضادّة توحي بالانتقام والتشفي، فالشاعر يستعمل عناصر متضادة من اللون؛ ليعبّر بها عن شعوره الداخليّ، فيقول:

ولا الخدود وقد أُدمينَ من خَجَلٍ أشهى إلى ناظري من خدّها الترِبِ[٤٣]

والشاعر يستمرّ في ذكر انتصار المسلمين، وهو لا يكتفي بذكر الوقائع كمؤرخ، بل يظهر كباحث يقوم بتحليل نتائج الحرب، فيذكر أسباب الفتح، وينسب الفتح إلى تدبير الخليفة، وثقته بنصر الله، ورغبته في وجهه، ورهبته من عذابه وسطوته. والبيت يتمتع بموسيقا متناغمة عذبة رائعة تنتج من استعمال المحسنات اللفظية كالجناس، ورد العجز على الصدر، فيقول:

(٤٣) الأديم: الجلد، وقيل: الجلد الأحمر، وقيل: الجلد المدبوغ، وقيل غير المدبوغ، وذلك إذا تمّ واحمرّ، لسان العرب١/ ٧٢. الناظر: البَصر، لسان العرب، ١٤/ ٢٩١ . التَرِب: المعفّر بالتراب، لسان العرب، ٢/ ٢١٨.

تـــدبير معتصـــمٍ بـــالله منـــتقمٍ لله مرتقـــبٍ في الله مُرتغـــبِ[٤٤]

يستمرّ الشاعر في التعبير عن فرحه من انتصارات المسلمين، ويرجع إلى الوراء، ويراجع خواطره، ويتذكّر قول قائد الروم حيث حاول رفع معنويات جنوده، فقال لهم: لا تخافوا هؤلاء الجنود، فإنّهم لا يجدون موضعًا يستريحون فيه، والماء ليس بقربهم، ولا مرتعًا لدوابّهم، فالخضرة تلازم المرتع بصورة غير محسوسة، فتستقرّ ناحية اللاوعي من الذهن تلقائية، فاللون الأخضر رمز للحيوية والعمران. فالشاعر بهذه القصة يسخر من أفكار العدوّ ويبطلها، ومرّة أخرى يؤكّد دور السيف في هزيمة العدوّ وخيبته، فيقول:

وقال ذو أمرهم: لا مرتعٌ صَدَدٌ للسارحين وليس الوِردُ مِن كَثَبِ

أمانياً سلبتْهم نُجح هاجِسِها ظُبَا السيوفِ وأطراف القنا السُلُبِ[٤٥]

يرى الشاعر الحياة في الحرب بالسيف والرمح، فيؤكدّ قوله السابق في فضل السيف، ويعتقد أنّه لا يمكن الرغد من العيش، والتمتع بالحياة الشريفة إلا تحت ظلال السيوف، ومن ينتصر في الحرب، يتمتع بالعيش الرغد الناعم. ويُكنّي بالبيض عن السيف لأنّه مصقولةٌ مبيضّة حدودُه، وبالسمر عن الرماح؛ لأنّ لونها أسمر أي يبدو بين الأبيض والأسود، فاللون هنا حقيقيّ. والشاعر يشبه السيف بالماء، وهو عنصر الحياة، ويشبه الرمح بالعشب أي بالحنطة هنا، وكما أنّ حياة

(٤٤) المرتقب: المنتظر والمترصّد ، لسان العرب ٦/ ١٩٩. المرتغب: الذي يرغب فيما يقربه إلى الله، الديوان: ١/ ٥٨.

(٤٥) السارح: اسم للراعي، الذي يرعى الإبل، لسان العرب٧/ ١٦٣ الكَثَب: القُرب، لسان العرب١٣/ ٢٥، السُلُب: الطويل، لسان العرب مادة «سلب».

الناس المادية تنتمي إلى الماء والخبز، فالشرف في الحياة لا يحصل إلا بالسيوف والرماح، وهناك مناسبة بين صفاء الماء وإشراق حدود السيوف، وبين لون الحنطة الأسمر ولون الرماح، فيقول:

إن الحِمامينِ من بيضٍ ومن سُمُرٍ دَلْوا الحياتَين من ماءٍ ومن عُشُبِ(٤٦)

والشاعر بعد ذكر سلسلة من تقاريره في وصف مشهد القتال، والإشادة بالممدوح، يتخلّص من المدح، ويصور كآبة ملك الروم النفسية بعد هزيمته، حيث سيطر عليه فزع وخوف شديد ألجمَ لسانه، وكفّه عن النطق. ثم يحاول الشاعر أن يسبر أغوار روح المهجو وباطنه؛ ليؤكّد شدّة خوفه، فيصوّره وجيب القلب من شدة الفزع، بحيث يُسمع صوت قلبه وخفقانه، فبالمبالغة وبهذه الصورة المتحركة يحاول ترسيخ المعنى المقصود وهو وصف شدّة خوف العدوّ.

الشاعر – لتعميق الصورة – يشبه السيف بإنسان ألجم على فرس غير ذلول ليروضه، فاللجام يحبس أنفاسه وصوته، فالاستعارة توحي بشدة الخوف والاضطرار، والتسليم أمام قوة هائلة. وهنا طباق بين «منطق» و «سكتة» وبين «سكتة» و«صخب» يعطي النص الشعري رونقًا، كما أنّه ينشط الذهن لإدراك المشهد، فيقول:

ولّى وقد ألجَمَ الخطّيُّ منطقَه بسكتةٍ تحتَها الأحشاءُ في صَخَبِ(٤٧)

ويرجع الشاعر إلى الإشادة بالممدوح ثانية، فيؤكّد حسنَ تبصره وفطنته، فهو

(٤٦) الحِمام: قضاء الموت وقَدَره، لسان العرب، ٤/ ٢٣٢، الحمامين: الموت بالسيف وبالرمح. البيض: ج الأبيض وهو السيف، لسان العرب، ٢/ ١٩٢.

(٤٧) الصخب: الصياح والجلبة؛ أي شدة الصوت واختلاطه، لسان العرب، ٨/ ٢٠٥.

لا يرى الارتياح من أذى الأعداء إلا بتحمّل متاعب الحرب، فيشبّه هذه المتاعب بجسر يوصل الإنسان إلى مقاصده.

ففي صورة استعارية يشبه الشاعر الدهر بإنسانة، فيختلق له رحمًا؛ لتجري صلة وقرابة بين ماضي الدهور وحاضرها، فيستعمل رمزًا تاريخيًّا قرآنيًّا، ويشبه معركة عمورية بمعركة بدر الكبرى، فيتّصل الماضي الغابر بالحال، بإجراء القرابة بين أيام الممدوح هذه، وأيام بدر التي انتصر فيها المسلمون على المشركين بجامع انتصار المسلمين في الكلّ، فتحضر هذه الآية الكريمة في الذهن: ﴿ولَقَدْ نَصركُمُ اللهُ بِبَدْرٍ﴾ [آل عمران/ ١٢٣]؛ ليصل إلى النتيجة التي يحاولها الشاعر، وهي أنّ الله تعالى نظر إلى الخليفة بالرحمة، فنَصره على الكفار، كما أنّه نصر النبي ﷺ والمسلمين ببدر، وبذلك يجعل الخليفة في هالة قدسية، فيقول:

بَصرتَ بالراحة الكبرى فَلَم ترها تُنالُ إلَّا على جسر من التَّعَبِ
إن كانَ بينَ صروفِ الدهرِ مِن رَحِمٍ مَوصولةٍ أو ذِمامٍ غير مُنقضِبِ(٤٨)
فَبَينَ أيامك اللائي نُصرتَ بها وَبينَ أيام بدرٍ أقربُ النَّسَبِ

وفي النّهاية يصوّر جيش الروم، حيث تركت الحرب آثارها الفظيعة فيهم، وجعلتهم أذلاء، مصفرّي الوجوه، معتلّي الأجسام، ومنكسري الأعصاب، فالشاعر يلوّن وجوه جيش الروم باللون الأصفر؛ ليدلّ على ضعفهم، وسقمهم الروحي والجسمي، كما أنّ للّون الأصفر عنده دلالة أخرى، وهي شحوب اللون من الخوف الشديد. ويكرّر الشاعر كلمة «صُفر» ومشتقاتها، ويبالغ في الموضوع، ويؤكدّه؛ ليتمكّن المعنى المقصود في الذهن، وهو إدراك شدّة ضعف العدو روحيًّا وجسميًّا.

(٤٨) منقضب: منقطع، القضب: القطع، لسان العرب، ١٢/ ١٢٧.

ثم يرفع شأن المسلمين، ويصور وجوههم المتألّقة، وهم فرحون بما آتاهم الله من النصر. ولأنّ اللون الأصفر من الألوان السارّة المفرّحة، ولئلا يوهم هذا المعنى بالنسبة إلى الروم، ولا يتبادرَ إشراقُ هذا اللون وتلألؤه إلى الذهن، يأتي الشاعر بصورة تقابل وجوه الروميين، وهي صورة المسلمين، ووجوههم المشرقة البهية. ثمّ يسبر الشاعر أغوار التاريخ، فيذكر في ذهنه حربًا وقعت بين المسلمين والروم بموضع قرب غوطة دمشق، وكان يسمّى بـ«صُفَّر»(٤٩)، كما أنّ «الصفراء» اسم لموضع بقرب «بدر»(٥٠)، فهذا يساعده على أن يربط بين العناصر الدالة على اللون والعناصر التاريخية. وإيقاعُ الناتج من صوت صفير حرف «الصاد» وجرسها، يعطي البيتَ روعة موسيقية، فيقول الشاعر:

أبقتْ بني الأصفر الممراض كاسْمِهِم صُفرَ الوجوه وجلّتْ أوجه العربِ(٥٠)

النتائج:

■ الشاعر في رسم لوحاته الفنية الملونة يعتمد على ألوان منها بارزة حسية يدركها الذهن من النّص مباشرة، ومنها مستورة غير حسية تتسرب في منطقة اللاوعي من الذهن بصورة تلقائية.

(٤٩) و (٥٠) انظر: لسان العرب، ٨/ ٢٥٢.

(٥٠) بنو الأصفر: الروم، لأن أباهم الأول كان أصفر اللون، لسان العرب، ٨/ ٢٥٢، الممراض: كثير المرض، بدَّل اللفظ على أن صفرتهم من المرض لا من الخلقة، وقال كاسمهم، وهو يريد اسم أبيهم على سبيل المجاز، فأهل الكتاب يزعمون أن الروم من ولد العيص بن إسحاق بن إبراهيم، الديوان ١/ ٧٣.

■ الألوان في مخيّلة الشاعر ترافقها الحركة، مناسبة موضوع الحرب والقتال، فالسواد الدالّ على ظلام الليل في ساحة المعركة، ينتشر فيمحو، يُضَخّم فيضعف. وفي النهاية ينسحب من ساحة القتال، وينفصل عن الليل، فيوشك انفصال هوية اللّيل منه، فهذا تشخيص معنوي يتناوله الشاعر في القصيدة يقصد به الحيوية.

■ يُجري الشاعر علاقة بين فيزياء اللون وفكرته الفلسفية، فمن هذه العلاقات العلاقة بين اللون الأسود الذي لا حقيقة له فيزيائيًّا وبين العدم، فلذلك يلوّن صورة الكوارث والفجائع المتوقعة التي لم تتحقق بالفعل باللون الأسود، فلون العدم عنده أسود، وهذا يوافق ما يؤكده علم الفيزياء، وهو أنّ لكلّ لون طولاً موجيًّا معينًا إلا اللون الأسود، فاللون الأسود هو عدم النور فحسب؛ فلذلك يستعمل الشاعر هذا اللون للدلالة على العَدم.

■ وقد يمزج الشاعر الألوان؛ ليبدع ألوانًا جديدة ذهنيةً ولا حسيةً فحسب، فهو يخلق لونًا رماديًّا من اختلاط الأبيض والأسود، ليدلّ على الشك، وهذا الفضاء الرمادي الناتج من امتزاج اللونين غير مدرك بالحواس الظاهرية، بل تدركه منطقة اللاوعي من الذهن في عملية التلقّي، وهذا اللون الرماديّ يغلب على جلّ القصيدة.

■ يحتلّ اللونان الأسود والأبيض مجالًا واسعًا في القصيدة ، فربما يرجع السبب إلى أنّ الشاعر يقصد تأكيد الصراع بين الحق والباطل والشك واليقين، فالأبيض رمز للحق، والأسود رمزٌ للباطل والقصيدة ساحة المعركة فيما بينهما.

مصادر ومراجع البحث

- **القرآن الكريم**
- **أخبار البحتري**، لأبي بكر محمد بن يحيى الصولي، تحقيق: صالح الأشتر، دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م، ص٦٦.
- **الأغاني**، أبو الفرج الأصفهاني، شرحه عبد الله علي مهنا، دار الفكر، بيروت، ط٣، [د.ت].
- **تاريخ الأمم والملوك**، محمد بن جرير الطبري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م.
- **ديوان أبي تمام**، تحقيق: محمد عبده عزام، دار المعارف، مصر، ط٣، [د. ت].
- **شذرات الذهب**، ابن العماد، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ـ محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- **الشعر و الشعراء**، ابن قتيبة، تحقيق د. عمر الطبّاع، دار الأرقم، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.
- **لسان العرب**، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط ١، ٢٠٠٠م.
- **معجم البلدان**، ياقوت الحموي، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، بيروت، [د. ت].
- **وفيات الأعيان**، ابن خلكان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ٢٠٠٩م/ ١٤٣٠هـ.
- **أبو تمام الطائي**، د. هاشم صالح مناع، دار الفكر العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٤م.
- **الأعلام في كتاب معجم البلدان**، ياقوت الحموي، إعداد وتحقيق: عبد الحسين الشبستري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، [د. ت]، ص ١٦٩.

- **أعيان الشيعة**، السيد محسن الأمين، تحقيق: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.
- **تاريخ الأدب العربي**، عمر فرّوخ، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
- **الجامع في تاريخ الأدب العربي**، حنّا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، [د. ت].
- **دراسات في النصّ الشعري «العصر العباسي»**، د. عبده بدوي، دار قباء، [د- ت].
- **الشعر والشعراء في العصر العباسي**، د. مصطفى الشكعة، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٥، ١٩٨٠م.
- **الفن ومذاهبه في الشعر العربي**، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، [د. ت].
- **اللون ودلالته في الشعر العربي السوري**، هدى الصحناوي، أطروحة الدكتوراه، بإشراف أسعد علي، جامعة دمشق، ١٩٩٢م.
- **اللون ومقامات النفس**، عبيد الشحادة، مطبعة دار عكرمة، دمشق، ط١، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.
- **موسيقا الشعر**، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٦، ١٩٨٨م.
- **رنك شناسي**، د.محمد بيستوني، انتشارات بيان جوان، تهران، ١٣٨٥هـ/ ١٩٨٠م. **(فارسي)**.

نظرات في قرارات مجمعية

د. محمد عبدو فلفل (*)

في البدء يحسن التعبيرُ عن استحسان أحكام المجمع في قراراته هذه، وذلك لمراعاتها في الأعم الأغلب ما يحسن مراعاته فيما هي فيه، مما يحمل على قبول جل ما جاء في هذه القرارات. على أن ذلك لا ينفي مخالفة بعضها، كما أنه لا ينفي أن حيثيات هذه القرارات أثارت في النفس ما يتراءى أنه من المناسب أن نُعْنَى به، وأن نأخذه بعين الاعتبار لدى ممارسة هذا النوع من النشاط اللغوي التشريعي، وفيما يلي إيجاز القول في ذلك.

ضرورة النص على الجهة المخطِّئة:

يتكرر في هذه القرارات عبارة (ويخطِّئ بعضهم كذا) وذلك دونما نص على هذا البعض، ومن المناسب النصُّ عليه، وذلك لتقدير مدى الاهتمام بهذا المخطئ، ذلك أن الحديث عن اللغة من قبيل الحديث عن الشأن العام الذي كثيرًا ما يجد المختصُّ وغيره فرصة لإبداء الرأي فيما هو مؤهَّل للقول فيه أو غيرُ مؤهل، بل

(*) عضو الهيئة التدريسية في كلية الآداب الثانية بحماة.

يُمكِّن المرءَ أن يذهب إلى أبعد من ذلك، فيقول: من غير الكافي فيما نحن فيه أن يكون المرء ملمًّا بالقواعد النحوية والصرفية فقط، فما نحن فيه يتطلب إضافةً إلى ذلك الإلمامَ بما يعرف بفلسفة اللغة في قيامها بوظائفها المختلفة، أي بآلية عملها في التعبير عن مختلف الأغراض، في مختلف السياقات المتنوعة والمتجددة، وهذا يوجب على العامل في التشريع اللغوي أن يكون ملمًّا بعلوم العربية عامة، وبمعطيات الدرس اللساني الحديث الذي تمكِّن مناهجُه المتجددة من النظر بموضوعية إلى المسألة اللغوية من زوايا مختلفة، لا يغني بالضرورة بعضها عن بعض. أقول ذلك لما لاحظته من أن بعض ما استشكلتْه هذه القراراتُ قد لا يكون مشكلاً لو نُظر إليه في ضوء الأصول العامة الناظمة له ولنظائره في آلية عمل اللغة، وأرجو أن يكون فيما سيأتي من هذه الورقة ما يدلِّل على صحة هذه المزاعم.

توسعات دلالية طبيعية

من المسلَّم به أن دلالات الألفاظ أكثر مظاهر اللغة عرضة للتغير، وأقلها قابلية للضبط والتقنين والتحكم بها، فهذه حقيقة يجب ألا يغفل عنها المشرع اللغوي. ومن المسلَّم به أيضًا أن سبل ومظاهر وأسباب تغير دلالات الألفاظ، على تعددها، يمكن حصر أهمها وأبلغها أثرًا في التغير اللغوي بتخصيص العام وتعميم الخاص، واستعمال الكلمة في حقل دلالي مغاير للحقل الذي وضعت فيه أساسًا، وهو نقلٌ مبنيٌّ على ما يعرف بالمجاز المرسَل على اختلاف تجلياته ومسوغاته. وأزعم أن تمثل هذه المقولات والعمل بها، مما يجعلنا أكثر موضوعية في معالجة ما نعالج، ومما يُظْهِر غير قليل من التغيرات الدلالية وما يترتب عليها من التغيرات النحوية على أنه مظهر طبيعي من مظاهر التغير اللغوي، الذي يحسن ألا نشغل أنفسنا بتشريعه

وبيان مسوغات قبوله، وذلك لا يمنع من اتخاذ ما كان من هذا القبيل ميدانًا للدرس اللغوي التاريخي المعنيِّ بالكشف عن مرتكزات التغير اللغوي ومظاهره.

ومما تنطبق عليه هذه المزاعم فيما نحن فيه استعمال الفعل (تبنَّى) في مثل قولنا (تبنَّى فلان الفكرة أو المشروع) والفعل (ابتزَّ) في مثل قولنا «ابتز فلانٌ فلانًا» واستعمال (بكرة) بمعنى (غدًا)، فما في هذه الاستعمالات سلوكٌ لغوي طبيعي لا يحتاج إلى تشريع يقنِّن وجوده، ولو ألزمنا أنفسنا تقنين كل جزئية من جزئيات هذا الباب لألزمناها ما لا يلزم بحكم الواقع والطبيعة، فاستعمال (بكرة) بمعنى (غدًا) يحكمه أصل عام من أصول تغير دلالة الألفاظ، وهو إطلاق الجزء على الكل، فهذا الاستعمال الحديث لا يعدو أن أطلق هذا الكلمة الدالة على جزء من اليوم التالي، وهو غدوته على اليوم التالي كله، فقد نصُّوا كما في حيثيات القرار على أن البُكرة من الغد، أي من اليوم التالي لليوم الذي نحن فيه، مما يشي بأن هذا الاستعمال الحديث يمثل تغيُّرًا طبيعيًّا لا يستدعي تشريعًا أو تقنينًا، فهو من قبيل إطلاق الجزء – وهو غدوة اليوم التالي– على ذلك اليوم كله.

وكذا حال قولنا (تبنى فلانٌ الفكرة أو المشروع) فلا يعدو الأمر هنا أن يكون توسيعًا لدلالة خاصة، فالأصل في التبنِّي أن يجعل الإنسان طفلاً ما بمنزلة ابنه الحقيقي من حيث إيلاؤه الرعاية والاهتمام، والحقوق والواجبات، وذلك بصرف النظر عن الدافع. والاستعمالُ الحديث لا يعدو أن وسَّع هذه الدلالة، فلم تعد مقصورة على الدلالة على حقٍّ، أو واجبِ الرعاية والاهتمام بما هو بمنزلة الابن الحقيقي ممن تبنينا، من البشر، بل شملت كلَّ فكرة أو مشروع نرى فيهما ما يدعونا

إلى إيلائه رعايتنا واهتمامنا وما يترتب على ذلك، بقَطْع النظر عن الداعي أو الدافع إلى ذلك.

وكذا حال استعمال الفعل (ابتزَّ فلان فلانًا) أي انتزع منه شيئًا ما، بصرف النظر عن كون هذا الشيء المنتزع ماديًّا أو معنويًّا، وبصرف النظر عن طريقة هذا السلب أو الانتزاع التي قد تكون بالترهيب حينًا وبالترغيب حينًا آخر، فذلك سلوك لغوي طبيعي مشروع لا يستدعي التقنين أو التشريع، لأنه لا يعدو أن يكون تغيُّرًا دلاليًّا طفيفًا محكومًا بقانون توسيع دلالة الفعل على النحو الذي اتضح. فبعد أن كان الفعل (ابتزَّ) يدل على سلبِ أو انتزاع الشيء المادي بالتهديد أو التخويف خاصة، صار في الاستعمال المعاصر يدل على سلب الإنسان للشيء أو انتزاعه له من غيره، سواء أكان هذا المنتزَع ماديًّا أو معنويًّا، وسواء أكان الانتزاع بالترهيب أم بالترغيب، وما كان هذا شأنه لا يحتاج إلى تقنين خاص به، وإلا ألزمنا أنفسنا ما لا يلزم، وهو ما يلاحظ في قرارات أخرى من هذه القرارات على ما سيتضح في الفقرة التالية.

لزوم ما لا يلزم

ومن هذا القبيل تعدية الفعل (بعُد) بـ (عن) و (من) فهي تعدية لا تحتاج إلى قرار، لأن شرعيتها مكتسبة من الاستعمال القرآني لها أولاً، ومن مناسبة معنى كل من هذين الحرفين في تعدية هذا الفعل، فالمعنى الأساسي لـ (عن) هو المجاوزة، ولا شك أن بُعْدَ الشيء عن الشيء ضربٌ من مجاوزة أحدهما للآخر، أو ضربٌ من التحول عنه، ومن معاني (مِن) الأساسية الدلالة على ابتداء غاية الحدث،

وتعدية البعد بـ (مِن) تعني تحديد الغاية التي يبدأ منها الابتعاد، وذلك لتحديد مجال ومآل المبْتَعِد بالنسبة للمبتعَد عنه، وفي كل الأحوال نقول إن جهل بعضنا أحيانًا بحكم هذه التعدية، لا يستدعى قرارًا معجميًّا، وإلا طالبنا المجامع اللغوية بما لا تقوى عليه، لأن ما يجهله المختصون وغيرهم من أمر التعدية واللزوم ليس بالقليل، وذلك لأن هذه القضية مآلها إلى السماع، ويُكْتَفَى في ذلك بتنبيه المخطئ فيما أخطأ إلا إذا أخذ هذا الخطأ سمة الظاهرة، ففي هذه الحالة يكون للمؤسسة المعنية الحق في التدخل.

واللافت فيما نحن فيه إقرار صحة كلمة (الأولوية) بمعنى الأحقية أو الأفضلية، أو ما في معناهما، فهذه الكلمة صياغةٌ طبيعية قياسية لمصدر صناعي من (الأَولى) بمعنى الأحقِّ أو الأفضلِ، وذلك بقلب ألفه واوًا لأن المنسوب إليه مقصورٌ، وألفه رابعة، فهل يحتاج ما جاء على الأصل والقاعدة إلى أن نقرَّه بقرار مجمعي؟ لا شك أن شرعيته متمثلة بأصوليته واستعماله، بل وربما اكتسبت الحالة اللغوية حضورها من فُشُوِّها في الاستعمال، لا من موافقتها للأصول والأحكام المرعية.

وهذا واضح بجلاء في كلمة (البداية) فهذه الكلمة الفاشية في الاستعمال منذ القرن الثامن للهجرة حتى أيامنا هذه لا تحتاج إلى قرار يجيز استعمالها وإضافتها إلى المعجم العربي، فهي من المستقر في الاستعمال والداخل حقًّا في المعجم العربي الواقعي العملي، سواء أذكرتْها المعجمات أم لم تذكرها، وذلك لأن العربية لا تحظى بدرس تاريخي متجدِّدٍ، يرصد رصدًا وصفيًّا ما فرضه معجم العربية الاستعمالي من الألفاظ المستجدة بالشكل والدلالة أو بالدلالة فقط، فكلمة (البداية) على درجة من الاستقرار والتفشي في الاستعمال لا يشعر معها جلُّ المختصين بَلْهَ غيرهم أنها من

المُـخْـتَـلَف في جوازه أو صحته، وما هذه حالُهُ لا يحتاج إلى قرار يمنحه المشـروعية، بل المناسب وصف حاله الاستعمالي وتسجيل دخوله في معجـم العربيـة الاسـتعمالي، ثـم المصَنَّـف، فاسـتقرار حضـوره في اسـتعمال الخاصـة والعامـة، منـذ قـرون يجعـل حكمنا المعياري اليوم بقبوله من قبيل تحصيل الحاصل.

ولعله من المناسب التذكير في هذا السّياق بأنْ ليس لأحكام اللغـويين والنحـويين ما يمكن أن يتخيله البعض مـن الأثـر في حيـاة العربيـة، فهـذه الأحكـام تمثـل ثالـث أو رابع خطوط الدفاع عن العربية، وأول هـذه الخطـوط بحسـب أهميتهـا هـو كونهـا لغـة القرآن الكريم، وثانيها ما تتمتع به مدوَّنتها اللغوية مـن مخـزون معـرفي حضـاري غنـيٍّ ومتنوع وممتدٍّ قرابة خمسة عشـر قرنًا، وثالثها أو رابعها رصـيدها البشـري، وما حظيت به من اهتمام الدارسين عـلى مـر العصـور. ومـن أبـرز معـالم ذلـك مـا استخلصـه أئمـة العربية للغتهم من قواعد أو أحكام، أقولُ ذلك لأفول لغات عالمية لا تقل عن العربية نضجًا واكتمالاً، لا لشـيء سوى أنها لم تحظ بما حُبِيَتْ به العربيـة مـن مقوِّمـات البقـاء. ولا شك أن الأساس في ذلك، بل في المقدمة منـه العامـل الـديني، وأقـول ذلـك أيضًـا لأن القاعدة لا تقوى دائمـًا على محاربة الخارج عنها، مما قـد يفـرض نفسـه في اسـتعمال العامة والخاصة بقَطْع النظر عن السبب، وفي تاريخ العربية القديم والحديث ما يشـهد بصحة هذه المزاعم، وخير مثال على ذلك ما شاع من جمعهم لـ (مـدير) عـلى (مـدراء) وهو جمع مخلٌّ بالبدَهي من أصول العربية، ومع ذلك فشا في الاستعمال فشوًّا لا يمكِّن عينَ الموضوعية والواقعية أن تتنكر له، حتى إننا عندما نـترك أنفسـنا عـلى سـجيتها قـد تُبادِر إلى استعمال هذا الجمع، ولو كنا ممن عُنُوا بـه وصفًـا وتحليلاً وتفسـيرًا، وهـو مـا يفسـر ويوضِّـح عمليًّا سلطان الاستعمال اللغوي على ممارس اللغة، مما يسوِّغ لنـا، إن لم

يَفرضْ علينا، الإقرارَ بهذا الاستعمال الفاشي لا اعترافًا بصحته، ولا دعوة إلى القياس عليه، بل بِداعي الواقعية في معالجته وصفًا وتصنيفًا وتفسيرًا، فاعترافنا بحالة مَرَضية مزمنة، ودقة تشخيصنا وتفسيرنا لها لا يعنيان بالتأكيد أن المريض معافى، وأننا ندعو إلى أن يكون له نظائر. ما أردتُ قوله ضرورةُ أخذ الواقع الاستعمالي بعين الاعتبار في معالجة المسألة اللغوية، وذلك في ضوء حقيقة ترتكز عليها ممارستنا للغة، وهي أنها تقليد عفوي ومحاكاة لا شعورية، وهو ما يعرف بقياس المتكلم، فمن الضروري أن ننظر من هذه الحقيقة إلى الكثير مما يستوقفنا من الانحرافات اللغوية، مما قد يُظْهرها انحرافات غيرَ حقيقية، وهو ما ستحاول الفقرة التالية توضيحه والتدليل عليه.

الحدث الكلامي محاكاة وتقليد

الحدث الكلامي عملية ذهنية عفوية ينجزها المتكلم المنتمي إلى جماعة لغوية ما عند ممارسة اللغة، فنحن نحاكي فيما نرتجله من التراكيب الكلامَ العربي كما يتصوره كلٌّ منا، فالإنسان يتعلم، أو يكتسب بعض حقائق لغته الأم، ثم تؤدي ملكته اللغوية سائر الدور بموجب ما يسمى بقياس المتكلم، أو القياس اللغوي، فتطبيقنا قواعد اللغة بمختلف مستوياتها هو في جوهره قياسٌ عفوي محضٌ نادرًا ما يكون للتفكير الواعي بما تمليه القاعدة دور فيه، لأنه قياس قائمٌ على ملاحظتنا العفوية لأوجه الشبه بين ما تختزنه ذواكرنا من نماذج لغوية وبين ما نرتجله من الكلام، وأوجهُ الشبه هذه قد تكون معنوية وقد تكون لفظية، وقد تكون حقيقية وقد تكون متوهمة، ولكنها بالضرورة تجعلنا نتفهَّم المستجدات اللغوية، أو نتقبلها وإن بدت في الظاهر مخالفة

للأصل، كأن نجد فعلين بمعنى واحد، ولكنَّ أحدهما لازم وصاحبه متعدٍّ، فمن الطبيعي أن يَحْمِلَ المتكلمُ، ولاسيما غير المختص أحد هذين الفعلين على الآخر في هذا الجانب المحكوم بالسماع أصلاً، كأن يقال (وصلْنا المكانَ) بتعدية (وصل) بنفسه مع أنه متعدٍّ بـ (إلى)(*) ولكن المتكلم حمله في ذلك على فعل لازم يدل على معناه، وهو (بلغْنا المكان) ونسمع أحيانًا قولهم (فلان لم يستطع من أن يفعل كذا) مع أن (استطاع) متعد بنفسه، ولكنَّ مَنْ عدَّاه بـ (من) حمله على نظيره في الدلالة، وهو الفعل (تمكَّن) فكما يقال (فلان لم يتمكن من أن يفعل كذا) قيل (فلان لم يستطع من أن يفعل كذا). ومن هذا القبيل ما عرضَتْ له قرارات المجمع من قولهم (برهن النظرية) بتعدية (برهن) بنفسه مع أنه متعد بـ (على) فالأمر لا يعدو أن يكون قياسًا لهذا الفعل على نظيره في الدلالة، وهو الفعل (أثبت) لأن البرهنة على النظرية إثباتٌ لصحتها، لذا قيل: برهن النظرية كما يقال أثبتها، أو أثبت صحتها، وأرجو ألا يفهم من هذا الكلام أننا ندعو إلى قياسية إعطاء الفعلين المشتركين في الدلالة حكمًا واحدًا من حيث التعدية واللزوم، فما أريده ضرورة أن نتفهم ما كان من هذا القبيل مادام نادرًا في الاستعمال، وضرورة تقبله وعدم التنكر له إن كَثُر وفشا في الاستعمال كما هو ملاحظ في هذه الحقبة من تعدية (وصل) بمعنى (بلغ) بنفسه مع أنه متعد بـ (إلى) كما لاحظنا. فالذي يحكم ممارستنا للغة قياسُ المتكلم العفوي الذي لا حظَّ فيه في الأعم الأغلب للتفكير الواعي في الأصل أو القاعدة.

وفي ضوء هذه الحقيقة يجب أن ننظر إلى الكثير مما يبدو لنا انحرافًا لغويًّا، وذلك

(*) جاء في الوسيط: وَصَلَ المكانَ وإليه وصولاً ووُصْلةً وصِلَةً: بلغَهُ وانتهى إليه.

فيما تتوقف معرفته على السماع كقضية اللزوم والتعدي، وجموع التكسير، لذلك يستحسن المرء تصحيح القرارات لجمعهم (أبْله) على (بلهاء) وجمع (بائس) على (بؤساء) لأن كلًّا من هذين الجمعين قاسه من قال به على ما يشبهه من أكثر من وجه، فالراجح أن الذي جمع (بائس) على (بؤساء) قاسه على ما يشترك وإياه في المعنى الصرفي، وفي الحقل الدلالي العام، وفي السياق الاستعمالي من نحو (فقراء وضعفاء) فـ (فقير وضعيف وبائس) كلمات تشترك في الحقل الدلالي المعجمي العام كما تشترك في المعنى الصرفي الواحد، وهو معنى الصفة المشبهة، ومن المألوف استعمالها متتاليات في سياق تركيبي واحد، وذلك على سبيل الإحاطة والتوكيد، كأن يقال (تعاطفْ مع الفقراء والضعفاء والبؤساء) وإذا كان الأمر كذلك يغدو من الطبيعي أيضًا أن نقبل جمع (بائس) على (بؤساء). وما يعزز ذلك أيضًا أن العربية تجمع أحياناً (فاعلاً) الدالَّ على الصفة المتمكنة من الموصوف بها على (فعلاء)ومن هذا القبيل (عالم وعلماء، وشاعر وشعراء، وفاضل وفضلاء، وجاهل وجهلاء، وفاحش وفحشاء) وشبيه بجمع (بائس) على (بؤساء) جمع (أبله) على (بُلَهاء) حملاً على نظيره في المعنى الصرفي الخاص، وهو الصفة المشبهة، وشبيهه في الحقل الدلالي المعجمي العام، وهو (بلداء) جمع (بليد).

سادة وأسياد في جمع (سيِّد)

وفي ضوء ما تقدم من أثر لقياس المتكلم في حمل النظير على النظير في ممارسة اللغة يبدو من المناسب أن نقبل جمع (سيِّد) على (أسياد) (*) مستأنسين لذلك

(*) جمع (فَيعِل) صفةً على أفعال سماعي.

بجمع اللغة بعضَ ما كان من باب (فَيْعِل) على (أفْعال) كحيِّز وأحياز، وميِّت وأموات، وكيِّس وأكياس، وبيِّن وأبيان، ومستأنسين لذلك أيضًا باستعمال أعلام من اللغة والأدب للجمع (أسياد) كابن حزم الأندلسي، والسخاوي، وابن عربي، وابن طولون، وأحمد شوقي. ولا حجة فيما قيل في معرض عدم إجازة هذا الجمع من أن (أسيادًا) جمعٌ لـ (سيِّد) وهو الذئب، فمن المألوف في اللغة أن يكون جمع التكسير الواحد جمعًا لأسماء مختلفةِ الأوزانِ والمعاني، فالأكياس مثلاً جمعٌ لكَيِّس ولكِيْسٍ أيضًا، والآلاف جمعٌ للألف، وللإلف، والجِياد جمعٌ للجيِّد، وللجواد بمعنى الكريم وبمعنى الفرس. وقرارات المجمع كما لا حظنا أجازت جمع (بائس) وهو المحتاج الضعيف على (بؤساء) مع علمها أنه جمعٌ أيضًا للنقيض تقريبًا وهو (بئيس) أي الشجاع القوي. ولا حجة أيضًا فيما يمكن أن يقال من أن اللغة وفَّرَت الجمع (سادة) فأغنتنا عن غيره، لأن ما نحن فيه لا تحكمه هذه النظرة النفعية الضيقة، فالحشو ظاهرة مألوفة في اللغات البشرية عامة بقطْع النظر عن أسبابه ومظاهره ومستوياته اللغوية، يضاف إلى ذلك أن معطيات الموقف التداولي أو التخاطبي الذي يكتنف النشاط اللغوي لا يندر أن تُنْسى فيه الكلمة، فيستعاضَ عنها بمرادفتها. ثم لماذا نقبل ونتفهم أن تتعدد جموع تكسير الاسم الواحد عند العرب، فتربو على العشرة أحياناً، ونرفض أن نضيف جمعًا ثانيًا لما ليس له إلا جمع واحد كـ (سيِّد) ثم ماذا نفعل بما لم تجمعه المعجمات جمع تكسير في هذا الباب كـ: (قيِّم) و (سيِّئ) و (طيِّب)؟ أنقتصر في ذلك على جمعه جمع سلامة؟ أم نقيسه على نظائره؟ وإذا أردنا أن نقيسه على نظائره فعلى أيٍّ منها نقيسه؟ ذلك أن جموع هذه النظائر يختلف بعضها عن بعض بنية وعددًا، فهيِّنٌ جُمِعَ على أهْيناء،

وليِّن على ألْيناء، وأما جيِّد فجمع على جِياد وجَيائد، وأما كيِّس فجمع على أكياس، وكَيَسة وكَيْسى، وأمَّا بيِّن فجمع على أبْيِناء وبُيَناء، وأبْيان ! مما يعني أنه لا ضابط للعرب في تكسيرهم لما كان على (فَيْعِل). فأيُّ غضاضة والحالة هذه في أن نقيس جمعَ ما قد نجهل جمعه في موقف ما، أو ما ليس له جمع على ما نعرف من جموع هذا الباب، فنقول في جمع (سيِّد) أسياد؟ أليس في ذلك تيسير يتمثل بتقليل الحالات السماعية التي يحدُّ التزامها من حيوية اللغة وانطلاقها في معترك الاستعمال؟ علمًا أن هذا التيسير لا يسبب أي خطر على العربية مادام المستجدُّ فيها من الألفاظ موافقًا لأبنيتها الصرفية، ومنسجمًا مع النسيج الصوتي المستساغ في الذائقة اللغوية العربية. فمن المسلَّم به أن مكمن الخطورة على حياة اللغة إنما يكون في تغيُّر نظامها النحوي التركيبيّ، لا في دخول متنها كلمات جديدة. يضاف إلى ما تقدم كله أن إجازة المجمع لجمع (سيِّد) على (أسياد) تظهر قراراته منسجمة مع نفسها، ذلك أنه أجاز من قبل جمع (أبله) على (بلهاء) وجمع (بائس) على (بؤساء) مع أن معوقات ومقومات إجازة هذين الجمعين لا تختلف كما يبدو من الحيثيات المقدمة عن نظائرها في جمع (سيِّد) على (أسياد).

مُتَفرِّقات

يضاف إلى ما تقدم أن قرارات مجمع دمشق واقتراحاته أثارت في النفس الأمور التالية:

١ – من التزيُّد الاسترسال في الاستشهاد بعدة شواهد وأمثلة لدلالة الباء على السببية في حيثيات القرار (١٧) فذلك من المعروف المسلم به، فلا حاجة للاستدلال عليه في حوار العلماء المختصين.

٢- يُعَزِّزُ في الاقتراح رقم (٦) إجازةَ الاشتقاق من (المتراس) بميمه المزيدة أصلٌ عام في اللغة، عرض له المعنيون قدماء ومحدثين، مفاده مراعاة حرمة الحرف الزائد في الاشتقاق وتنزيله بمنزلة الحرف الأصلي إذا كان في ذلك إضافة دلالية، وعلى ذلك حمل بعضهم من القديم تمسكن وتمندل وتمسلم وتمدرع، كما حُمِلَ عليه من الحديث تمحور من المحور وتمركز من المركز، ومعجن من المعجون، والفرق بين تترَّسَ وتمترسَ أن الأول يعني اتخاذ الترس تقية من الخطر الداهم، أما تمترس فالمقصود به جعل أي شيء، ولو كان معنويًّا مما يُحْتَمَى به، أو يُنافَحُ به عمَّا ندافع عنه، وقد يكون هذا المدافَع أو المنافَح به معنويًّا من قبيل المبدأ أو الرأي أو الفكرة.

٣- يبدو من المناسب في القرار رقم (٣٣) في تعريب (برشور) أن نكتفي بكلمة (تعريف) أو (نشرة) ولا حاجة، خلافًا لقرار المجمع، إلى الجمع بين الكلمتين (نشرة تعريفية)، وذلك لأن دلالة إحدى الكلمتين متضَمَّنة في صاحبتها على نحو يُسَوِّغ الاستغناء بإحداهما عن الأخرى، فالتعريف يعنى بإجمال تحديد الشيء وبيانَ آفاقه وأمدائه، وهذا هو المراد من البرشور الذي يعرِّف بالمؤتمر أو الندوة، والنشرة يُفْهَم منها بالضرورة هذا المعنى، ولا شك أن مقامات استعمال هاتين الكلمتين فيما نحن فيه كفيلة بتحديد المراد بهما. يضاف إلى ذلك أن المصطلح البسيط مُقدَّم على المصطلح المركب، إذا ما كان أحدهما يغني الآخر، وهو ما نراه في هذه المسألة.

٤- يبدو من المناسب الموافقة على قبول كلمة الأرشيف والاشتقاق منها معربة خلافًا لقرار المجمع رقم (٢٤)، وفي ذلك استيعابٌ للاستعمال كما أن فيه انسجامًا مع قرار المجمع القاهري، ذلك أن الاختلاف بين المجمعين فيما نحن فيه لا يحل المشكلة

عند ممارِس اللغة، يُضاف إلى ذلك أن قبول مجمع دمشق تعريب الأرشفة ينسجم مع قبوله تعريب الأتمتة، فحال المسألتين مشتركة، ولا تختلفان فيما أزعم إلا في أنَّ الحاجة الدلالية إلى الأتمتة أشدُّ مما هي عليه في الأرشفة. يضاف إلى ذلك أيضًا رشاقة المادة المشتقة من الأرشفة، بل إن الكلمة الأصل – وهي (الأرشيف) – يكفي في تعريبها كسر همزتها لتصبح منضوية تحت بنية مألوفة مشهورة في العربية، تمثِّلها كلماتٌ من قبيل (إقليد، إقليم، إكليل، إكسير، إحليل، إبريز، إزميل، إرشيف). أما التمسك بعدم إقرار اللفظ الأعجمي إذا كان في العربية ما يعبر عن معناه ففيه تنكر لحقيقة لغوية، عرَضَ لها المعنيون بفقه العربية، وهي أن الاقتراض من اللغات الأجنبية سببٌ من أسباب الترادف في هذه اللغة، ففي مزهر السيوطي فصلٌ للمعرَّب الذي له اسم في لغة العرب، عرض فيه لمعرَّبات، في العربية ما يغني عنها، كالطاجن الذي تسميه العربية المِقْلى، والرصاص الذي تسميه الصرفان، والهاوُون الذي تسميه المِنْحاز أو المِهراس، إلى غير هذه الأمثلة التي تدل على أن العربية في مسيرتها التاريخية رادفت بين العربي والدخيل، ولم يكن في ذلك خطر عليها، وذلك لأن الخطر على اللغة يكمن في تغير بنيتها النحوية لا فيما يدخلها من الألفاظ الأعجمية، وأرجو ألا يفهم من ذلك أننا ندعو إلى فتح باب العربية مشرعاً أمام الألفاظ الأعجمية، فما أردته هو ضرورة أخذ الواقع الذي يحدِّدُ علاقة اللغة بغيرها بعين الاعتبار فيما نحن فيه، فإذا شاع استعمال كلمة معربة كالأرشفة فلا جدوى من التنكر لها بدعوى أن في العربية ما يدل على معناها، أو يغني عنها، فالحشو كما أشرنا ظاهرة مألوفة في لغات البشر عامة، إضافة إلى أن الاقتراض من اللغات الأخرى سبب من أسباب وجود ظاهرة الترادف في اللغة العربية.

وبعد فهذه نظرات في قراراتِ واقتراحاتِ مجمع دمشق اللغوية، وهي اجتهادات، رائدها الحق كما تراءى لصاحبها، وباعثها العمل بمقولة أن المستشار مؤتمن، ومن المؤكد أنه ليس من شأن هذه النظرات التقليل من أهمية الجهود المبذولة فيما توصَّل إليه المجمع الموقَّر من القرارات والاقتراحات.

التعريفُ والنقد

إعراب «لا سيما» وفوائد أخرى
تأليف الشيخ حسين بن محمد البالي الغزي
المتوفى سنة (١٢٧١هـ)
تحقيق الدكتور صبيح التميمي

عرض: د. إبراهيم عطية(*)

تعريف بالمؤلف(١):

هو الشيخ حسين بن محمد بن مصطفى البالي كنيةً، الغَزِّيّ مولدًا، الحلبيّ موطنًا. وُلد سنة (١٢٣٥هـ) في مدينة غزة، ودرس فيها العلومَ الأولى، ثم سافر إلى مصر والتحق بالجامع الأزهر، فدرس العلوم الشرعية والعربية، ولمّا أدرك غايتَه في نيل العِلم عاد إلى مدينته «غزة».

(*) باحث في علم اللغة من العراق.

(١) يُنظر في مصادر ترجمته: أعلام النبلاء في تاريخ حلب الشهباء لمحمد راغب الطّباخ ٧: ٢٨١، والأعلام للزركلي ٢: ٢٥٧، ومعجم المؤلفين لكحّالة ٤: ٥٨، والموسوعة الفلسطينية ٢: ٢٤٤، ونهر الذهب في تاريخ حلب ١: ٤٦٩، ومقدمة التحقيق المنشورة في مجلة آفاق الثقافة والتراث، العدد ٣٦ ص ١٣٥.

وبعد عودته إلى غزة رحل إلى «طرابلس» سنة (١٢٦٠هـ)، ثم انتقل إلى «حلب» سنة (١٢٦٤هـ) واستقر فيها حتى وفاته.

وفي حلب تصدَّر تدريس العلوم الشرعية والعربية في جامع «السكاكيني»، ثم في المدرسة «السيافية»، التي بناها له أهل الخير.

وهو والد المؤرِّخ الشهير كامل الغَزِّي (ت ١٣٥١هـ)، صاحب كتاب «نهر الذَّهَب في تاريخ حلب».

ومن أشهر تلاميذ الشيخ البالي: الشيخ أحمد الكواكبي، والشيخ أحمد الزويتني، والشيخ طاهر الطيار الكيالي، والشيخ عبد الرؤوف الطيّار الكيّالي، والشيخ محمد الخياط.

ترك الشيخ حسين البالي مؤلَّفات عدة منها:

١- بعض كراريس في شرح سُلَّم المنطق.

٢- ديوان شعر.

٣- رسالة في التوحيد.

٤- رسالة في المجاز.

٥- الكشف الوافي على متن الكافي في العروض والقوافي.

٦- منظومة «منحة الرحمن في فضائل رمضان».

٧- عطايا المَنّان، وهو شرح لمنظومة «منحة الرحمن».

٨- **رسالة في إعراب «لا سيما» وفوائد أخرى**. وهي الرسالة التي أعرض تعريفًا بها في هذه الصفحات.

وصف الرسالة ومنهج المؤلِّف والمحقِّق:

نُشرت الرسالة بعد تحقيقها في العدد (٣٦) من مجلة آفاق الثقافة والتراث لعام ٢٠٠٢، في الصفحات (١٣٣ - ١٨٩).

ويقع النص المحقَّق في (٤٦) صفحة من صفحات المجلة، يُضاف إلى ذلك (٨) صفحات للعنوان ومقدمة التحقيق، و(٣) صفحات لمصادر التحقيق ومراجعه.

وقد ذكر المؤلِّف في مقدمة الرسالة دواعيَ تأليفها ومحتواها فقال: «قد سألني مَن لا تسعني مخالفته أن أضع له في إعراب لاسيما رسالةً لطيفة، وأُذيّلها بفوائد جليلة. فأجبته إلى ذلك وجعلتها ثلاث فوائد:

الفائدة الأولى: في إعراب «لاسيما» وما يتعلَّق بها.

الفائدة الثانية: في إعراب «لا أبا لزيد».

الفائدة الثالثة: في مسائل متفرّقة»[٢].

فالمادة العلمية للرسالة تتوزَّع ، كما هو واضح، على ثلاثة أقسام:

يضمّ القسم الأول حديثَ المؤلِّف عن «لاسيما» وما يتعلَّق بها من تصريف وإعراب وآراء، وقد أدرج المؤلِّف حديثه تحت عدد من المطالب، ذَكر فيها تثنية «سي» وتصريفه، وأنه واوي العين كـ «مِثْل» وزنًا ومعنًى، والفرق بين «لاسيما» وأدوات الاستثناء، وأجزاء «لاسيما» وإعرابها وإعراب ما بعدها، ومذهب الجمهور فيها، ومذهب من تفرَّد عنهم كالأخفش وأبي علي الفارسي، واستعمالها بمعنى خصوصًا، وما يعتريها من تخفيف وحذف بعض أجزائها، إضافة إلى أوجه الشَّبَه والاختلاف بين النداء وأسلوب الاختصاص.

(٢) مجلة آفاق الثقافة، العدد ٣٦ ص١٤١.

وفي القسم الثاني تحدَّث المؤلِّف عن إعراب «لا أبا لزيدٍ» وما يُشبهها، فذكر مذاهب النحويين وآراءَهم فيها، مع المناقشة والاعتراض والترجيح، إذ عَرض ثلاثة مذاهب فيها، ورجَّح مذهب سيبويه والجمهور، كما سيظهر.

وفي القسم الثالث عرض المؤلِّف مسائل متفرِّقة، أراد التنبيه عليها، وهي: الأعداد المركبة من أحدَ عشر إلى تسعةَ عشر، وعِلّة بنائها، و«كم» الاستفهامية والخبرية، وما بينهما من اتفاق وافتراق، وضوابط استعمالهما، وإعرابهما مع ما يتعلَّق بهما، وحروف الإيجاب (نَعَم وبَلَى وأجَلْ ...) وأوجه استعمالها وإعرابها، والإشارة بـ«ذلك» للمثنى، إضافة إلى عرض بعض الأبيات الشعرية التي تتضمن ألغازًا نحوية، مع تفسيرها.

وتغلب على منهج المؤلِّف سمةُ الإحاطة والشمول، التي شاعت عند العلماء المتأخرين، وتقوم على جمع كل المعلومات والآراء والاجتهادات والأقوال التي تتصل بالموضوع المدروس، ثم عرضها منسوبة إلى أصحابها مع المناقشة والتصويب والاعتراض والترجيح وفق الأدلة والشواهد.

ففي حديثه عن بناء «لاسيما» مثلاً ذكر أن «السي» واوي العين مستدلاً بأمثلة الاشتقاق نحو: استويا وتساوَيا وهو مُستوٍ ومُتساوٍ. فذكر أن أصله «سِوْيٌ» كـ«مِثْل» وزنًا ومعنًى، ثم تحدَّث عن تثنيته، وما دخله من إعلال، مع عرض بعض الكلمات التي فيها إعلال مُشابِه مثل «سيد ومَيِّت وطَيّ ولَيّ». وفي أثناء ذلك عرض آراء النحويين بدءًا بسيبويه والخليل، مرورًا بابن مالك والرضي الأستراباذي والمرادي وابن هشام، وانتهاءً بالدَّماميني (ت ٨٣٨ هـ) وخالد الأزهري (ت ٩٠٥هـ) والسيوطي (ت ٩١١ هـ) وغيرهم.

وقد أتبع كلَّ رأي بالمناقشة والتوجيه، معتمدًا على أقوال النحاة وآرائهم، وما يحتاجه من أدلة وشواهد.

وهذا المنهج أصبح شائعًا عند المؤلِّفين المتأخِّرين من النحاة وغيرهم، كما في خزانة الأدب لعبد القادر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ).

ويتَّسم منهج المؤلِّف أيضًا بالاستطراد، وهذا الاستطراد نوعان: منه ما يبقى ضمن الدراسة اللغوية كالحديث عن آراء النحويين في بناء (سيد وميِّت) وما حصل فيه من إعلال، ومنه ما يخرج عن الموضوع المدروس كالحديث عن امرئ القيس ونسبه ولقبه ومنزلته الشعرية وما حصل بينه وبين العذارى في يوم دارة جُلجُل الذي أشار إليه في معلقته بقوله:

ألا رُبَّ يَومٍ لَكَ مِنهُنَّ صالِحٍ ولاسيما يَومٍ بدارةِ جُلجُلِ

وقد أشار المحقِّق الفاضل إلى أنه اعتمد في تحقيق الرسالة على ثلاث نسخ مخطوطة، ونشر صورة الصفحة الأولى والأخيرة منها وهي:

١- نسخة الظاهرية التي اعتمدها أصلاً.

٢- نسخة معهد التراث بحلب.

٣- نسخة المكتبة الأحمدية بحلب، وهذه الأخيرة توجد نسخة مطابقة لها تمامًا في مجمع اللغة العربية بدمشق تحت الرقم ١٩٤.

وبذل المحقِّق جهدًا طيِّبًا في ضبط النص وتوثيق المعلومات وتخريج الشواهد والتعريف بالأعلام الواردة أسماؤُهم في الرسالة.

القيمة العلمية للرسالة:

تمثِّل الرسالةُ بحثًا مهمًّا في مجال الدراسات النحوية وتاريخها، لاحتوائها على معلومات صرفية وإعرابية، وما تضمَّنته من آراء النحويين القدماء والمتأخرين، يُضاف إلى ذلك ما تميَّز به أسلوب المؤلف من براعة وعمق في إيراد الأدلة ومناقشة الآراء والحكم عليها.

فالقيمة العلمية للرسالة يُمكن تلخيصها فيما يلي:

١- تعريف القارئ بمنهج التأليف السائد عند المتأخرين من النحاة وغيرهم من علماء العربية، الذي يقوم على الاستقصاء والشمول والإحاطة بكافة المعلومات التي تتصل بالموضوع المدروس.

٢- التعريف بطريقة بعض المؤلِّفين التي يفترضون فيها وجود اعتراض على مسألة أو معلومة، ثم يردُّون على ذلك الاعتراض المفترَض بالأدلة والشواهد، وغايتهم من وراء ذلك استكمال المناقشة والإحاطة بجوانب المسألة المدروسة.

٣- تأكيد أنَّ العصور المتأخرة ليست عصور انحطاط علميّ، كما يُصوِّرها كثير من المؤرِّخين وغيرهم، بل هي عصور ازدهر فيها العلم، وعُرف فيها ما يُسمَّى التأليف الموسوعي.

٤- ملاحظة التطور الكبير في كتابة المقدِّمات، إذ كانت مقدِّمات الكتب في العصور السابقة لا تدلّ في الغالب على مضمون الكتاب، بل كانت أشبه ببحث تمهيدي، يتضمن معلومات وآراء نقدية وغير ذلك، بحيث يُمكن اعتباره جزءًا من المؤلَّف.

٥- تزويد القارئ بمعلومات نحوية وصرفية استلَّها المؤلِّف من بطون

الكتب، ووضعها في رسالة واحدة. وهذه المعلومات لا يتيسر للقارئ أن يصل إليها في مصادرها بسهولة.

٦- تزويد القارئ بالحجج المنطقية والدُّربة على المناقشة والتعمّق الفكري في المسائل العلمية.

ما يحتاج إليه عامة المثقَّفين من معلومات الرسالة:

تتضمن الرسالة معلومات نحوية مهمّة، يحتاج إليها المختصون في النحو. أما عامة المثقَّفين فلا تهمُّهم الآراء والخلافات والمذاهب النحوية، بل يهمّهم أن يُحصِّلوا ما تتضمنه الرسالة من قواعد استقرَّ عليها النحو المعاصر، وتحصيل هذه الفائدة من الرسالة مباشرة لا يتيسر لعامة المثقَّفين، لغلبة الأسلوب المنطقي على الرسالة، وكثرة الآراء والمذاهب التي عرضها المؤلِّف وناقشها.

لهذا وجدت من تمام الفائدة أن أعرض ما تضمّه الرسالة من معلومات نحوية يحتاج إليها عامة المثقَّفين والطلاب، ومن أراد التوسُّع أو التخصُّص فلا بدَّ له من العودة إلى الرسالة.

أولاً- يمكن تلخيص أبرز ما جاء في الرسالة بما يلي:

١- «السي»: اسم بمعنى مِثْل، و«لاسيما» معناها: لا مِثْل. فمعنى «أحبُّ العلماءَ ولاسيما زيد»: أحبُّ العلماء ولامثلَ زيدٍ.

ويجوز في الاسم الواقع بعد «لاسيما» الرفع والجرّ والنصب. وفي جميع الحالات تُعرب «ولاسيما» على هذا النحو:

الواو: حالية. ولا: نافية للجنس تعمل عمل إنّ. وسي: اسمها منصوب. وخبر «لا» محذوف تقديره: موجود.

أما «ما» والاسم الواقع بعدها فيُعربان على النحو:

أ- في حالة الرفع:

ما: اسم موصول في محل جرٍّ، مضافٌ إليه. وزيدٌ: خبر لمبتدأ محذوف. والتقدير: أحبُّ العلماءَ ولا مِثلَ الذي هو زيدٌ.

ويجوز إعراب «ما» نكرةً موصوفة مبنية على السكون في محل جرٍّ، مضافًا إليه. وزيدٌ: خبر لمبتدأ محذوف أيضًا. والتقدير: أحبُّ العلماءَ ولا مثلَ شخصٍ هو زيدٌ. وجملة «هو زيد» في محل جرٍّ، صفةٌ لـ«ما».

ب- في حالة الجرّ:

ما: زائدة. وزيدٍ: مضاف إليه مجرور. والتقدير: أحبُّ العلماءَ ولا مِثلَ زيدٍ.

ت- في حالة النصب:

ما: نكرة تامة مبنية على السكون في محل جرٍّ، مضافٌ إليه. وزيدًا: اسم منصوب على الاختصاص، أي مفعول به لفعل محذوف تقديره: أعني أو أخصُّ. والتقدير: أحبُّ العلماءَ ولا مِثلَ شخصٍ أعني زيدًا.

ويجوز إعراب «ما» زائدة كافة عن الإضافة. وزيدًا: تمييز منصوب. وهذا الوجه ضعيف عند الجمهور، ولا يأخذون به إلا إذا كان ما بعد «لاسيما» نكرة.

وقد استشهد المؤلِّف مرارًا ببيت مشهور لامرئ القيس في معلقته وهو قوله:

ألا رُبَّ يَومٍ لَكَ مِنهُنَّ صالِحٍ ولاسيما يَومٍ بِدارةِ جُلجُلِ

وفي هذا البيت أجاز النحويُّون في «يوم» الرفع والنصب والجرّ، وفق التوجيهات الوارد قبل قليل.

٢- تُستعمل «لاسيما» بمعنى: خصوصًا، فيُحذَف ما بعدها، ويُؤتى بحالٍ مفردة أو جملة أو شبه جملة، وتكون «لاسيما» حينئذٍ منصوبة المحل على أنها مفعول مطلق. نحو:

أحبُّ زيدًا ولاسيما راكبًا، أو ولاسيما على الفرس، أو ولاسيما وهو راكبٌ، أو ولاسيما إنْ رَكِب.

فـ«لاسيما» كلّها: في محل نصب مفعول مطلق لفعل محذوف. والتقدير: أخصُّ زيدًا بمحبّتي خصوصًا.

و«راكبًا» و«على الفرس» و«وهو راكب» و«إنْ رَكِب»: حال من مفعول ذلك الفعل المقدَّر.

وتُعرَب أجزاء «ولاسيما» على النحو:

الواو: اعتراضية. و«لا»: نافية للجنس تعمل عمل إنَّ. وسي: اسم «لا». وخبر «لا» محذوف. و«ما»: كافة لا عمل لها، أو نكرة تامة في محلّ جرٍّ، مضاف إليه.

٣- أسلوب الاختصاص هو: أن يُؤتَى باسم منصوب يُفَسر به المقصود من ضمير المتكلِّم الذي يسبقه، كما في الحديث الشريف: «إنّا - معاشر الأنبياءِ - لا نُورَثُ» ويُعرب على النحو:

إنّا: حرف مشبه بالفعل. ونا: ضمير متّصل في محلّ نصب اسمه. وجملة «لا نُورَثُ»: في محلّ رفعٍ، خبرُ إنّ.

معاشر: اسم منصوب على الاختصاص، أو مفعول به لفعل محذوف تقديره أخصُّ أو أعني. والأنبياءِ: مضاف إليه مجرور. وجملة الاختصاص: اعتراضية لا محلَّ لها من الإعراب.

وقد يجيء الاسم المنصوب على الاختصاص لتفسير ضمير المخاطَب كما في: «بِكَ – اللهَ – نرجو الفضلَ».

ويُمكن أن يجيءَ الاختصاص بصيغة النداء كما في: اللهُمَّ اغفِرْ لنا أيّتُها العِصابةُ.

فـ«أيّتُها العصابةُ»: محلها النصب على الاختصاص. أما أجزاؤُها فتُعرَب كما تُعرب في أسلوب النداء على النحو:

أيّتُها: منادى مبنيّ على الضم في محل نصب. وها: للتنبيه أغنت عن الإضافة. والعصابةُ: بدل من «أيّةُ» مرفوع.

٤– الأعداد المركّبة هي من «أحدَ عشر» إلى «تسعةَ عشر» كما في قوله تعالى: ﴿إِنِّيْ رأيتُ أحَدَ عَشَرَ كَوكَبًا﴾ [يوسف: ٤]. وتُعرَب على النحو:

أحدَ عشر: جزءان مبنيان على الفتح في محل نصبٍ، مفعولٌ به.

كوكبًا: تمييز منصوب.

وقال تعالى: ﴿عَلَيْها تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [المدثر: ٣٠]. فـ«تسعةَ عشر»: جزءان مبنيان على الفتح في محلّ رفع، مبتدأٌ مؤخَّر.

ويُستثنى من الإعراب السابق «اثنا عشر» و«اثنتا عشرةَ» فيُعرب الجزء الأول إعراب المثنى، ويُعرب الثاني على أنه جزء متمِّم لا محلّ له من الإعراب، كما في قوله تعالى: ﴿فَانفَجَرَتْ مِنهُ اثنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [البقرة: ٦٠]. فـ«اثنتا»: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الألف لأنه ملحق بالمثنى. وعشرةَ: جزء متمِّم مبنيّ على الفتح لا محلّ له من الإعراب.

أما «إحدى عشرةَ» و«ثماني عشرةَ» فالجزء الأول مبني على السكون. والثاني مبني على الفتح.

٥- «كمْ» نوعان: استفهامية يُستفهَم بها عن العدد كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُم فِيْ الأرضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾ [المؤمنون: ١١٢]، وخبرية يُراد بها الإخبار عن الكثرة كما في قوله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الدخان: ٢٥].

وقد فصَّل النحويون والمؤلِّف في إعرابهما تفصيلاً مُطوَّلاً يُمكن تلخيصه، بعد استقراء الأمثلة والشواهد، في قاعدة واحدة هي أن:

«كَمْ» الاستفهامية يجيء تمييزها منصوبًا، وتُعرَب بحسب الكلمة التي تحلُّ محلَّها في الجواب عليها.

و«كم» الخبرية يجيء تمييزها مجرورًا على أنه مضاف إليه، وتُعرَب أمثلتها بحسب ما تُحمَل عليه من أمثلة «كم» الاستفهامية. مع التذكير بجواز حذف تمييز «كم» بنوعيها إذا دلَّ عليه السياق.

يُقال مثلاً: كم كتابًا عندَكَ؟ فالجواب: عندي خمسةٌ. فـ«خمسةٌ» هي الكلمة التي حلَّت محلَّ «كم» في الجواب، وإعرابها مبتدأ، لذلك يُقال في إعراب «كم» هنا: استفهامية مبنية على السكون في محلّ رفع مبتدأ. وصورة «كم» الخبرية المطابقة لهذا الاستعمال أن يُقال: كم كتابٍ عندكَ! ويكون لها الإعراب ذاته، أي: خبرية مبنية على السكون في محلّ رفع مبتدأ.

والجدول التالي يوضح صوَرَ الاستعمال والجواب والإعراب لكليهما:

كم الاستفهامية	الجواب عليها	«كم» الخبرية المطابقة لها	الإعـــراب
كم عددُ الضيوفِ؟	عددهم خمسةٌ	كم(*) عدد الضيوف!	في محل رفع خبر
كم كتابًا قرأتَ؟	قرأتُ سبعةً	كم كتابٍ قرأتَ!	في محل نصب مفعول به
كم جَلسةً جَلَستَ؟	جلستُ جلسةً	كم جلسةٍ جلَستَ!	في محل نصب مفعول مطلق
كم ساعةً نمتَ؟	نمتُ ساعتينِ	كم ساعةٍ نِمتَ!	في محل نصب على الظرفية الزمانية
كم رجلاً جاء؟	خمسةٌ جاؤوا(٣)	كم رجلٍ جاء!	في محل رفع مبتدأ

هذه جملة الفوائد التي تضمنتها الرسالة مما يحتاج إليه عامة المثقفين. وقد آثرت أن أعرضها في هذه الصفحات لأن تحصيلها من الرسالة لا يتيسر بسهولة. وبها ينتهي الحديث المخصَّص للتعريف برسالة «لاسيما» وفوائد أخرى للشيخ حسين البالي.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

(*) كذا وردت ! [المجلة]

(٣) لا يُقال في الجواب المفترض: جاء خمسةٌ، لأن «كم» لا تجيء فاعلاً.

«المعاصرون» للأستاذ محمد كرد علي (ت ١٩٥٣م) والمدرسة الريحانية

بقلم د. مازن المبارك(*)

أصدر مجمع اللغة العربية الطبعة الأولى لكتاب «المعاصرون» محقّقة سنة ١٩٨٠م أي بعد وفاة المؤلِّف بسبع وعشرين سنة، وصدرت الطبعة الثانية عن دار صادر سنة ١٩٩٣م، ثم أصدر المجمع طبعة جديدة مراجعة سنة ٢٠١١م.

وهكذا تكون الطبعة الثالثة ظهرت بعد وفاة المؤلف بثمان وخمسين سنة؛ فلا يخدعنَّك ما كتب على غلافها المحلَّى بقول الناشرين: «عُني بنشره وتحقيقه محمد كرد علي»!! لأن الأستاذ كرد علي مات كما رأينا قبل أكثر من نصف قرن، وترك كتابَه أوراقًا مبعثرة ومسوّدات غير منسقة، لم يُعِدَّه ولم يتركْه جاهزًا للنشر، كما ذكر رئيس المجمع الدكتور حسني سبح حين حدثنا عن نشر المجمع للكتاب في مقدمته!!

وإذا لم يكشف لك هذه الحقيقة حسابُ السنوات بين سنة وفاة المؤلف وسنة إصدار الكتاب، فإن أبلغ من ذلك في الدلالة على الحقيقة وعلى الواقع أن المقدمة التي كتبها للكتاب رئيس المجمع الدكتور حسني سبح جاء فيها أن نجل المؤلف قدّم

(*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

للمجمع بعد الاحتفال بمرور مئة عام على ميلاد الأستاذ كرد علي «ظرفًا أصابه بأَخَرَة في مخلَّفات والده، كتب عليه بخطِّه «المعاصرون» وهو يشتمل على أوراق شتى تبيّن أنها أصول كتابٍ لم يفرغ الأستاذ من تنقيحه...» ويصف تلك الأوراق فيقول: «إن بعضها نشر في بعض الصحف والمجلات فاقتطعه منها، ومنها ما طبع بالآلة الكاتبة، إلَّا أنّ أكثرها كان مسوّدات بخطّه، وكان قد أعاد النظر في بعضها فألحق بها ما ألحق، وأصلح منها ما أصلح بقلم الرصاص تارة، وبالحبر تارة. ولما كان الظفر بمثل هذا الكتاب – وإن كان جُلّه مسودات لم تنقَّح – غُنْمًا للمعنيين بتاريخ النهضة العربية وأعلامها، حرصنا على إخراجه للناس، ورغبنا إلى بعض الأساتذة أن ينظر في هذه الأصول ويعدّ الكتاب للطبع. ولكنّه ردّه إلينا بعد أشهر من تكليفه معتذرًا بأن أعماله الكثيرة حالت بينه وبين إعداد الكتاب على النحو الذي ينبغي له» أي إن الأستاذ الذي كلّفه المجمع أدرك حقيقة المسؤولية التي يجب عليه القيام بها إذا قبل التكليف وأنه أدرك ما ينبغي أن يتفرّغ له من عمل في مراجعة الكتاب وإعداده للنشر، لذلك اعتذر، فكلّف المجمع رجلًا آخر قام بالعمل وراجع الكتاب وأصدر الطبعة الأولى.

ثم لمّا عزم المجمع على إصدار طبعة جديدة كلف مراجعًا آخر قام بالعمل، وجاء على غلاف الكتاب الصادر عام ٢٠١١ أنه عني بنشره وتحقيقه محمد كرد علي، فكيف يكون ذلك والأستاذ كرد علي مات منذ ثمان وخمسين سنة وترك كتابه بين أيدي المجمعيين – كما وصف رئيس المجمع– أوراقًا مسودة على النحو الذي مرّ ذكره؟! لم ينشره ولم يحققه بل لم ينته من النظر فيه وما زال أكثره مسودات!! أفيقال عن ذلك كله إنه نشر وإنه تحقيق؟! وهل يجوز أن يُحمل ما في الكتاب كلّه على المؤلف الذي مضى إلى ربّه؟!

لقد وقعت في الكتاب أغلاط ضقت عن حصرها، وغلبني أمرها، فتركتها ولكنّي وقفت عند واحدة منها لم تسمح النفس بإهمالها أو السكوت عنها، فأردت المبادرة إلى تصحيحها وإعلانها، وهي حاشية ظالمة تطمس حقيقة، وتُكرِّرُها في طبعات الكتاب المحقّقة والمراجعة، ولكن ليس من المؤلف كما جاء على غلاف الكتاب، وإنما من المحقّقين والمراجعين!

جاء في ترجمة الشيخ محمد المبارك التي أوردها الأستاذ كرد علي قوله عن شيخه المبارك إنه «أنشأ مدرسة ابتدائية في قرية الريحانية...»[١] وعلّق المحقّق على ذلك بقوله في الحاشية[٢]: «الأصل: في مدرسة الريحانية، وهو سَبْتُ قلم. والريحانية في ظاهر دمشق من الناحية الجنوبية قرب القدم» وترك المراجع هذه الحاشية على حالها في الطبعة الجديدة، وذلك يعني أن الأستاذ كرد علي سها قلمه! وكان يجب أن يقول «في قرية الريحانية» كما أثبت المحقق لا «في مدرسة الريحانية» كما قال كرد علي في أصل كتابه، وهذا وهم من المحقّق وما قاله المؤلف هو الصحيح.

فالشيخ المبارك أنشأ مدرسة ابتدائية في المدرسة الريحانية لا في قرية الريحانية كما توهّم المحقِّق فصحّح واضعًا الخطأ في محل الصحيح والغلط بدل الصواب!

– والريحانية مدرسة قديمة أنشأها جمال الدين ريحان بن عبد الله، خادم نور الدين زنكي، وعرف بالطواشي، وتولّى قلعة دمشق وتوفي سنة ٦٩٥هـ وتقع المدرسة الريحانية بجوار المدرسة النورية – التي بناها نور الدين زنكي – من الجانب الغربي، وأوقفها بانيها على المتفقّهة على مذهب الإمام أبي حنيفة، ووقف لها أوقافًا كثيرة.

(١) «المعاصرون»، ط٢٠١١، ص٣٢٧.

(٢) الحاشية (٢) في ص٣٢٧ من كتاب «المعاصرون».

قال النعيمي في كتابه «الدارس في تاريخ المدارس»: «المدرسة الريحانية، جوار المدرسة النورية لغرب، منشئها خواجا ريحان الطواشي خادم نور الدين الشهيد محمود بن زنكي في سنة خمس وستين وخمسمئة، وقف عليها أوقافًا معلومة...»(٣).

وقال الشيخ عبد القادر بدران في كتابه «منادمة الأطلال ومسامرة الخيال»: «وقد تقلّبت عليها – أي على الريحانية – الأيام إلى أن استقرّت في زمننا هذا مكتبًا للأطفال»(٤)، والشيخ بدران توفي سنة ١٣٤٦هـ و١٩٢٧م.

– وقد ذكر الأستاذ كرد علي في كتابه «غوطة دمشق» بعض ما وُقف على المدرسة الريحانية من بساتين غوطة دمشق(٥).

– وجاء في كتاب «تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع الهجري» في ترجمة الشيخ محمد المبارك المتوفى سنة ١٣٣٠هـ و١٩١٢م أنه «أنشأ مدرسة ابتدائية في مدرسة الريحانية، انتهجت الطريقة القديمة في التعليم دون أن تعارض العلوم المدنية، وتخرّج على يده كثير من الأدباء والبلغاء»(٦).

(٣) الدارس للنعيمي ص٥٢٢، وفيه حديث مطوّل عنها وعمّن وليها من المدرّسين.

(٤) «منادمة الأطلال ومسامرة الخيال» للشيخ عبد القادر بدران، ط١ في مطبعة روضة الشام سنة ١٣٣١هـ، وط٢، منشورات المكتب الإسلامي، دمشق ١٣٧٩هـ و١٩٦٠م، ص١٧٢.

(٥) كتاب «غوطة دمشق» لمحمد كرد علي، ص١٨٨، ط٣، سنة ١٤٣٢هـ و٢٠١١م.

(٦) «تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري» لمطيع الحافظ ونزار أباظة ١/ ٢٧٦، ط١٤٠٦هـ و ١٩٨٦م.

– وكثيرًا ما حدّثنا الأستاذ علي الطنطاوي عن المدرسة الريحانية، وذكر لنا مَن عرفه من خرّيجيها، وقد ذكرها في كتاب «ذكريات» فقال: «وكان عندنا مدارس أوليّة، أشهرها مدرسة الحبّال، في أدنى القيمرية، وكانت قديمًا للشيخ محمد المبارك، والد شيخنا عبد القادر، وكان ممّن تعلّم فيها أستاذنا محمد كرد علي، والمدرسة الريحانية، والمدرسة السباهية»(٧).

– وقال الطنطاوي عمّا نحن بصدد الحديث عنه من أوهام المحقّقين والمراجعين: «والمدرسة الريحانية التي ورد ذكرها في كتاب أستاذنا كرد علي رحمه الله «المعاصرون» فندب المجمع أحد الناس للإشراف على طبعه وتصحيحه، فوضع في ذيل الصفحة حاشية تقول إن ذلك سبق قلم من كرد علي، وإنها قرية الريحانية التي هي في جنوبي دمشق قرب القدم.

وهذا الرجل الذي وكَّلوه بتصحيح الكتاب كان يرفع الصواب الذي أثبته كرد علي ويضع الخطأ الذي توهّمه هو. والمدرسة الريحانية قديمة أزيلت لما افتتح الشارع الكبير الموصل إلى دار أسعد باشا العظم، وقد عرفتها وأنا صغير. (الطنطاوي ولد سنة ١٣٢٧هـ – ١٩٠٨م توفي سنة ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م).

وكان القيّم عليها الرجل العجيب صاحب النوادر الشيخ عبد الجليل الدرّة، الخطيب الطلق اللسان، الحاضر الدمعة متى شاء، الذي يبكي في خطبته، ويستبكي الناس عندما يريد.

(٧) الذكريات للطنطاوي ٥/ ٢٥٩ ط دار المنارة للنشر، السعودية، جدة. وقد تكرّر ذكر «الريحانية» في كتاب الذكريات في ١/ ١٨٦ و٥/ ٢٧٦ و٢٧٧.

أما قرية الريحانية فليست في جنوبي الشام كما قال هذا المصحح العلّامة، بل هي في شماليها قرب دوما التي أمضيت سنين من عمري قاضيا فيها»[٨].

وأُضيفُ أَن الجَدّ الشيخ محمد المبارك منشئ مدرسة الريحانية، والشيخ عبد الجليل الدرّة، مدير المدرسة أصدرا نشرة أعلنا فيها افتتاح المدرسة بتاريخ منتصف شعبان من سنة ١٣٢٤هـ وكان إصدار النشرة قبل شهر من موعد الافتتاح (أي منتصف رجب من سنة ١٣٢٤هـ) كما هو واضح في تلك النشرة التي ما زلت أحتفظ بنسخة منها، والتي أَثْبتُّ صورتها مع هذا التعريف، لأن ما جاء فيها يثبت أن المدرسة ليست على الطريقة القديمة كما جاء في كتاب «علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري» بل هي اليوم صالحة للموازنة مع أحدث ما جدّ من أنظمة الساعات المكتسبة في النظام الفصلي؛ ففي دراسة ليلية تتيح الدراسةُ لمن يعملون قبل العصر لكسب قوتهم أن يدرسوا ليلًا، كما تتيح ذلك لأصحاب الدراسة النهارية الصباحية. وفيها تنوّع في الموادّ والمقرَّرات الدراسية من تفسير وحديث وفقه وبلاغة ومنطق ولغة وصرف ونحو وإنشاء وتاريخ، وفيها قراءة وكتابة وحساب، وفيها خطّ

(٨) الذكريات ٥/ ٢٥٨. وذكر الأستاذ كرد علي في كتابه «غوطة دمشق» قرية أو محلّة تسمَّى «حوش الريحانية» وقال إنها بين سبينة الصغرى ويلدا، وتكرّر ذكرها في ص٢٠ و٢٧ و٩٦، و١٠٢ و١٠٣ بجانب سبينة. وجاء موقعها في «مخطط غوطة دمشق» الذي نشر مع الكتاب بين سبينة الصغرى ويلدا. ولم أجد في «المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري» الذي نشره مركز الدراسات العسكرية بدمشق سنة ١٩٩٢م قريبًا من دوما غير «الريحان» التي قال إنها تبعد عن دوما ٤كم شرقًا. وأما اسم «الريحانية» فقد تكرر ذكره في المعجم في محافظات حلب واللاذقية وطرطوس وحمص والحسكة والرقة، ولم يرد له ذكر في الغوطة الشرقية حيث تقع دوما!

و«مسك دفاتر» للحسابات التجارية، وفيها لغة عثمانية وفرنسية وترجمة وهندسة وجغرافية وأخلاق وتوحيد وتجويد وسيرة نبويّة، وغيرها.

ويستطيع الطالب أن يجرّب الدروس ويتعرّف بالمدرّسين مدة ثلاثة أيام قبل التسجيل، كما يستطيع أن يسجّل لدراسة مقرَّرٍ واحد أو أكثر، بحسب رغبته، وبحسب تفرّغه، ولكل مقرَّر ثمنه، والدفع في أول كل شهر. وقد فصّلت النشرة بعد ذلك بذكر المقرَّرات وأسماء المعلّمين، ليكون الطالب على علم بكل ما سيلقاه في المدرسة.

وهذه الوثيقة التاريخية لمّا يمض على ما تثبته غير مئة وعشر سنوات، ومع ذلك حاشيةٌ بكلمتين نسفته من التاريخ، لأن المحقّق كتب من عقله معتمدًا ما يعرف دون تحقيق، ولأن المراجع اكتفى بالمطابقة على ما جاء في «التحقيق» فأنَّى لنا بعد ذلك أن نثق بما هو أقدم من ذلك في تراثنا ولو كتب الناشرون المحدَثون أنهم حقّقوا وراجعوا؟!

المعاصرون

عُني بنشره وتحقيقه

محمد كرد علي

علق عليه وأشرف على طبعه

محمد المصري

راجع هذه الطبعة

أ. د. محمد مكي الحَسَني الجزائري

أمين المَجْمَع

تاريخ افتتاح النهضة العلمية الليلية

هي المعـالي وهـذا كنز عرفان * فكن أخا الجـد في حب العلى فاني
فالعلم والمجـد شيء واحد فـإذا * جنيت زهر المعاني فـزت بالثاني
وهذه روضـة الآداب دانيـة * قطـوف أدواحهـا ياصاح للجـاني
تـرى بـلابلها نادت مؤرخة * نور الدروس جلا في نصف شعبان

٤٢٣ ٢٢٠ ٩٠ ٣٤ ٣٠١ ٢٥٦

سنة ١٣٢٤

لحـة

قد اكتفينا بنشر جريدة الإقبال الغراء تفصيل مسالك النهضة النهارية بعدد ١٦٥ وعدد ١٦٧ عن نشرها بهذه المقدمة على أننا سنتبع اللائحة بالمقدمة مبسوطة بما يتعلق بالمشروع المبارك الجليل الذي هو خدمة للدين وقربى لرب العالمين

تنبيه

تقبل المدرسة دخول الطلاب إلى ثلاثة أشهر لتعبية الأقسام الأربعة ثم بعدها لا يقبل إلا على رأس كل ثلاثة أشهر

لئن أخنى الزمان على عكاظ * فأمسى وهو مندرس النواحي
فقد أضحى بمدرسة النجاح * رفيعَ الذكر مزدان المراح
زها ريحانها ولذا تسمّى * بريحانية العرفان صاح
لقد قام العلى فيها خطيباً * وقال العلم حيّ على الفلاح

نهضة علمية * نهارية ليلية

في المدرسة الريحانية

فمن طلب العلى سهر الليالي * وطلّق لذة الراحات بتاً

مقدمة لائحة المشروع المبارك الجليل

نعرض لرجال الفضل * ومحيي المعارف

إنا لآ رأينا شبان العصر الحميد السعيد وناشئته فى حاجة شديدة لاقتناء العلوم والفنون * وذلك لترقى المعارف والتجارة فى ظل مليكنا الأعظم * آناً فآناً وحيناً فحيناً * شرعنا متكلين على الله * وطالبين المعونة والتوفيق * بتوسيع دائرة تعليم الفنون العصريه * والعلوم العربيه * يوم الأربعاء منتصف شهر الله رجب سنة ١٣٢٤ فى مدرستنا الريحانيه * الكائنة بجوار نورالدين الشهيد * قدس الله سره العزيز وكان ذلك بحضور أسرة من أعيان الأمراء وأفاضل العلماء * وقد عرضنا على أسماعهم الكريمة المناهج التى اخترناها * والمسالك التى رتبناها * على أنموذج جديد * وطرز حميد *

* النهضة العلمية الليليه * ولما تحققنا ماينتج عن تنظيم هذه المسالك من الفوائد الجمة * والعوائد المهمه * أحببنا أن نعمم الفائدة بفرع ليلي لشبان العصر الزاهر وفتيانه يتعلمون فيه

أنواع العلوم والفنون * على نهج قويم سهل المنال بديع المثال بما يعود عليهم بإصلاح معاشهم ومعادهم * مفتتحين ذلك ليلة الأربعاء منتصف شهر شعبان المعظم تيمناً وتبركاً بأنوار هذه الليلة المباركة التي يفرق كل أمر حكيم * وقد جعلنا مدة الدروس الليلية من الساعة الواحدة إلى الساعة الرابعة ماعدا ليلتي الجمعة والإثنين * ومن أراد الاقتصار على الساعة الأولى أو الثانية أو الثالثة فلا بأس بذلك * فكما أننا قسمنا مسالك القسم النهاري إلى أربعة كذلك جعلنا لطلاب الفرع الليلي أربعة اقسام

* القسم الأول *

يدرس فيه علم أصول التفسير * وأصول الحديث * وأصول الفقه وعلوم البلاغة والعلوم العقلية المعاني والبيان والبديع والمنطق * وعلوم العربية الصرف والنحو واللغة وقرض الشعر والانشاء والتاريخ

* القسم الثاني *

معين لإتقان القراءة والكتابة والإملاء والحساب * وحسن الخط ومسك الدفاتر الاعتيادية

* القسم الثالث *

تدرس فيه اللغة العثمانية * مفردات ومكالمات وقراءة وإملاء ونحو وصرف وترجمة وتاريخ

* القسم الرابع *

تدرس فيه اللغة الفرنساوية * مفردات ومكالمات وقراءة وإملاء ونحو وصرف وترجمة وتاريخ

ومن رغب بتعليم طريقة مسك الدفاتر التجارية العالية المعروفة (بالدوبيا) فليخابر مدير المدرسة حيث أرجأنا تعيين معلم لها بينما يجتمع قسم من الطلاب يقومون براتب المعلم.

وجميع مايدرس ليلاً يدرس نهاراً مع زيادة فن الجغرافية والهندسة والكسر العادي والاعشاري وما يلزم الناشئة من التوحيد والتجويد والسيرة النبوية وعلم الأخلاق * والتمرين على القراءة العربية بالخطب والمقامات وغيره * مما يتعلق بعضه ببعض

* الراتب الشهري *

وقد جعلنا راتب كل شهر ريالاً مجيدياً سلفاً يدفع على رأس كل شهر بعد الاطلاع على طريقة

التعليم ثلاثة أيام لاغير * ومن أراد الاقتصار على تعليم ساعة واحدة كل ليلة لأخذ علم من العلوم العربية * فنصف مجيدي

وقد اخترنا للنهضة العلمية النهارية والليلية مهرة المعلمين الذين دأبهم بث المعارف * ونشر اللطائف * وإليك بيان أسمائهم

عمدة المعلمين

أستاذ علم أصول التفسير والأخلاق	رئيس المدرسة
أستاذ علي اصول الحديث والفقه	العلامة النحرير الشهير الشيخ أمين افندى سويد
أستاذ علوم البلاغة والعلوم العقلية	. . . . .
أستاذ علم التجويد والقراءة	العالم الحافظ أوحد القرآء الشيخ عبدالله افندى الفجد
معلم علم التوحيد والسيرة النبوية * والخطب العربية	مدير المدرسة
معلم العلوم العربية * وعلم الفقه والحساب	العالم الفاضل المحقق الشيخ خيرافندى الطباع
معلم اللغة العربية * والمقامات الحريرية	النابغة اللغوي المدقق الشيخ عبدالقادرافندى المبارك
معلم اللغة العثمانيه * أحد مأذوني المكتب الملكي	رفعتلو محمد سعيد افندى مراد
معلم اللغة الفرنساوية * أحد مأذوني المكتب الحربي الشاهاني	رفعتلو محمد سعيد افندى الحمصي
معلم حسن الخط * الخطاط الشهير	مكرمتلو الشيخ حسين افندى البخجاتي

هذه عمدة المعلمين ماعدا معلمي القسم المبتدي والمتوسط * ومتى مست الحاجة لزيادة معلمين نقدمها بقدر اللزوم — هذا ماأردنا عرضه على أسماع إخواننا الدمشقيين خصوصا * ومحبي العلوم والمعارف عموما * وفقنا الله لإتمام هذا المشروع العظيم بما قصدناه ورجوناه * مع الصدق في العزيمة * والتوفيق في الرشد * والله المعين وعليه التكلان

في ١٣ شعبان سنة ١٣٢٤

مدير المدرسة
عبدالجليل
الدرا

رئيس المدرسة
محمد بن محمد
المبارك

المقالاتُ والآراء

الرحمٰن الرحيم

د. مكي الحسني(*)

تمهيد

من المعلوم أن مفردات المعجم محدودة العدد ولو بلغ مئات الآلاف، أما المعاني فلا حصر لها. يقول الجاحظ: ((المعاني كثيرة وأسماؤها قليلة)). لذا كانت قلة الألفاظ وكثرة المعاني سببًا من أسباب إنكار الترادف، لأن الترادف عكسُ تَعَدُّدِ المعنى للَّفظ الواحد؛ ذلك أن الترادف يجمع عددًا من الألفاظ على معنًى واحد، وهذا ما أدى إلى نشوء كتب ((الفروق في اللغة)) لإقامة الدليل على أن كلًّا من المترادفَيْن المزعومين ينطوي على ظلٍّ من المعنى لا يشتمل عليه رفيقه.

قال أبو هلال العسكري في كتابه ((الفروق في اللغة))[1]:

(*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق، وأمينه.

(١) أبو هلال العسكري، الفروق في اللغة/ ١٨٩، الطبعة الخامسة، دار الآفاق الجديدة، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

((الرحمٰن على ما قال ابن عباس أرقّ من الرحيم...، وعندنا أن الرحيم مبالغةٌ، لعُدُوله، وأنّ الرحمٰن أشد مبالغةً لأنه أشد عُدُولًا. وإذا كان العُدول على المبالغة، فكلما كان أشد عدولًا كان أشد مبالغة)).

أرى أنه بقوله (الرحيم مبالغةٌ لعُدوله) يعني أن (الرحيم) مَعدول عن (الراحم) للمبالغة؛ لأن من أوزان مبالغة بعض أسماء الفاعلين (فَعِيل)، فكما يقال عالم وعليم، وسامع وسميع، وشاهد وشهيد، وآلِف وأليف، يقال راحم ورحيم، وندعوه تعالى فنقول: يا أرحم الراحمين ارحمنا، فالفرق عند العسكري فرق في ((الكَمِّ)) فقط.

قال ابن خالويه: ((...لأن الرحمٰن خاصٌّ لله)). وجاء في المعجم الوسيط: ((الرحمٰن: الكثير الرحمة، وهو وصفٌ مقصورٌ على الله عَزَّ وجلَّ، ولا يجوز أن يقال لغيره)). وعلى هذا يمكن أن يقال عن إنسان إنه رحيم.

وقد تعمّق الدكتور تمّام حسّان رحمه الله في البحث عن الفرق بين معاني الرحمٰن والرحيم، فاستقرأ نصوص القرآن الكريم لاستخراج الفرق في المعنى، أخْذًا من سياق النص القرآني. وقد تبين له أن كلًّا من اللفظين مخصوصٌ باستعمالاتٍ تحدّد لكلٍّ منهما **تواردًا مع بعض الألفاظ لا يتوارد معها اللفظ الآخر**. ورأيت من المفيد أن أعراض النتائج التي توصَّل إليها الدكتور تمّام حسّان كما أوردها في كتابه ((البيان في روائع القرآن))[٢].

(٢) الدكتور تمام حسان، البيان في روائع القرآن ١/ ٢٩٤، منشورات عالم الكتب، الطبعة الثانية، سنة ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

١- الرحمٰن يُخشى منه ومن عذابه، وليس الرحيم كذلك: ﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴾ [يس: ١١].

٢- والرحمٰن خالق الكون، ولا يَرِدُ الخَلْق مع الرحيم: ﴿ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴾ [الملك: ٣].

٣- والإنسان يعوذ الرحمٰن ولا يقول أعوذ بالرحيم:

﴿ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴾ [مريم: ١٨].

٤- والنَّذْر إنَّما يكون للرحمان:

﴿ فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾ [مريم: ٢٦].

٥- والشيطان يعصي الرحمٰن الذي تجب طاعته ويُخشى عذابه:

﴿ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴾ [مريم: ٤٤].

وكذلك: ﴿ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ﴾ [مريم: ٦٩].

٦- والرحمٰن يُسجد له، ولم يُقَل ذلك في الرحيم: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴾ [الفرقان: ٦٠].

٧- ويُنسب العِباد إلى الرحمٰن ولم يُنسبوا إلى الرحيم: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾ [الفرقان: ٦٣].

وكذلك: ﴿ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴾ [مريم: ٩٣].

وأيضًا: ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ﴾ [الزخرف: ١٩].

٨- والرحمٰن يُملي لعباده ويمدّ لهم في الضلالة إن ضلوا: ﴿ قُلْ مَن كَانَ فِى ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ ﴾ [مريم: ٧٥].

٩- والعهد يُتّخذ عند الرحمٰن: ﴿ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴾ [مريم: ٨٧].

وكذلك: ﴿ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴾ [مريم: ٧٨].

١٠- والحَشر يوم القيامة إنما يكون إلى الرحمٰن: ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴾ [مريم: ٨٥].

١١- والرحمٰن يستوي على العرش: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥].

١٢- والربوبية للرحمان ولم تنسب إلى الرحيم: ﴿ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴾ [طه: ٩٠].

١٣- وتخشع الأصوات يوم القيامة للرحمان:

﴿ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾ [طه: ١٠٨].

١٤- ولا شفاعة إلا بإذن الرحمٰن:

﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴾ [طه: ١٠٩].

وكذلك: ﴿ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ﴾ [النبأ: ٣٨].

١٥- ولا حماية لأحدٍ من الـرحمٰن:

﴿ قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ [الأنبياء: ٤٢].

١٦- والـرحمٰن يعذِّب من يشاء:

﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ [مريم: ٤٥].

١٧- والـرحمٰن هو المستعان: ﴿ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء: ١١٢].

١٨- والـرحمٰن له الملك: ﴿ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ﴾ [الفرقان: ٢٦].

١٩- والـرحمٰن يريد للعصاة الضـر أحيانًا:

﴿ إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا ﴾ [يس: ٢٣].

٢٠- والـرحمٰن صاحب المشيئة:

﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ﴾ [الزخرف: ٢٠].

- يؤخذ مما تقدم أن الـرحمٰن هو المتصف **برحمة الهيمنة** التي يكون لها كلُّ ما يُنسب إليها في الآيات السابقة. ولقد علمنا من السيرة النبوية ومن الاستعمال اللغوي عند العرب أن ((مُسيلمةَ الكذاب)) الذي كان يسيطر على إقليم اليمامة من أقاليم نَجْد، كان يُلقّب نفسه بلقب ((رحمان اليمامة)) أي المهيمن على هذا الإقليم.

أما الرحيم فرحمته تقترن بالتوبة والرأفة والمغفرة والودّ والبِرّ على النحو التالي:

١ – التوبة: قال تعالى:

﴿ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ٣٧].

﴿ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٢٨].

﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [التوبة: ١١٨].

﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٦٠].

٢ – الرأفة: قال تعالى:

﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٤٣].

﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١١٧].

﴿ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل: ٧].

﴿ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ ﴾ [الحديد: ٩].

﴿ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠].

٣– المغفرة: قال تعالى:

﴿ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [البقرة: ١٧٣].

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٨٩].

﴿ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة: ٣].

﴿ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنعام: ١٤٥].

﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأعراف: ١٦٧].

﴿ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ٩١].

٤- **الوُدّ**: قال تعالى:

﴿ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾ [هود: ٩٠].

٥- **البِرّ**: قال تعالى:

﴿ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الطور: ٢٨].

٦- ويأتي لفظ ((**الرحيم**)) في صحبة لفظ ((**العزيز**)) إمَّا في سياق **الوعد بالنصر** كما في قوله تعالى: ﴿ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الروم: ٥].

وكذلك: ﴿ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الدخان: ٤١-٤٢].

- أو في **طلب التَّوكُّل**، نحو: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [الشعراء: ٢١٧].
- أو الكلام عن **تنزيل الكتاب**، نحو: ﴿ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [يس: ٥].

أمَّا في سورة الشعراء فقد وردت صفة العزيز الرحيم عدة مرات (٩، ٦٨، ١٠٤، ١٢٢، ١٤٠، ١٥٩، ١٧٥، ١٩١) في معرض الحكم على نتائج رسالات الأنبياء عليهم السلام، وذلك على صورةٍ مُوَحَّدةٍ هي:

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الشعراء: ٨-٩]

فالعزّة هنا متعلِّقة بوجود (الآية) الدَّالة على قدرة الله. **ومعنى كل ذلك أن هناك فرقًا في المعنى** بين لفظي ((الرحمٰن)) و ((الرحيم))، على اشتراكهما في الاشتقاق والوصف بالرحمة.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

المحاضرات

مسيرة العدد عبر العصور

د. موفق دعبول(*)

في عام ١٦٢٥م قال فرانسيس بيكون: «إذا كان عقل إنسان في حالة تيه، فليدرس علم الرياضيات». الناس ليسوا سواء في موقفهم من الأعداد: فهناك من تثيره الأعداد، وهناك من تسبب له الإحباط. وتنتمي نسبة عالية من الناس إلى النوع الثاني ، الذي يمثله شاب جامعي أخبر أستاذه أنه عندما يكتب الأستاذ أي عدد على السبورة، فإنه يشعر بغثيان يوقفه عن التفكير.

ولكن ليس صحيحًا أنك إما أن تكون موهوبًا في التعامل مع الأعداد والحساب، والرياضيات بوجه عام، وإما ألا تكون كذلك.

إنما التفريق الحقيقي الذي يجب الانتباه إليه هو التمييز بين أولئك الذين تعلموا الرياضيات تعلُّمًا سيئًا، وأولئك الذين أتيحت لهم فرصة التعلّم الجيد. المقدرة الرياضية (الرياضياتية) ليست هبةً سماوية، ولكنها تتألق أو تخبو نتيجة للعملية التعليمية.

(*) عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

الأعداد قبل التاريخ

قال أحدهم ذات مرة: «إنه لو كان بمقدورنا تذكر الأشهر التسعة التي كنا فيها في أرحام أمهاتنا، وجدنا من الإثارة ما يتجاوز كثيرًا أي شيء حدث لنا بعد ذلك. ونحن إذا عرفنا التاريخ غير المكتوب لماضينا، وجدنا سحره يطغى على تاريخ الحروب والملوك».

إن المعلومات القليلة التي توفّرت لدينا عن الأعداد، وعن المعرفة الرياضياتية في حقب ما قبل التاريخ، كان مصدرها الرسوم داخل الكهوف، وبعض المصنوعات اليدوية المحلية، وبعض المنشآت العمرانية، مثل التماثيل والقبور وأكداس الحجارة المنصوبة للذكرى. تشير هذه المنشآت إلى وجود رياضيات متطورة، إلى حدٍّ ما، في حقب ما قبل التاريخ. وإذا كنا لا نستطيع أن نحدد بدقة، المدى الذي بلغه هذا التطور، فإننا نستطيع، على الأقل، أن نتوقع وجود إحساسٍ لدى بناة هذه المنشآت بالهندسة العملية، وبالخطوط المستقيمة والدوائر والقطوع الناقصة، وبعض المنحنيات البسيطة الأخرى.

وليس الإحساس الفطري بالعدد حكرًا على البشر، بل إن للحيوانات بعض هذا الإحساس، إذ إن الحيوانات تستطيع من الخبرة، دون تحليل مباشر، التمييز بين عدد من الأشياء، وعدد أصغر منه. ويذكر عالم التاريخ الطبيعي **(غيلبرت واين)** أنه كان يأخذ سرًّا بيضة كل يوم من عش طائر، وأن الأم أصرت على أن تبيض كل يوم بيضة إضافية، ليعود عدد البيض إلى ما كان عليه. لكن تبين أنه لا يمكن للحيوانات أن تتجاوب مع موقف عددي إلا عندما يكون متصلًا بنوعها

وبضرورات بقائها. وتشير التجارب المخبرية إلى أنك إذا دربت حيوانًا على العد باستعمال نوع واحد من الأشياء، ثم اختبرته باستعمال نوع آخر، فإنه يغدو عاجزًا تمامًا عن إجراء صلة بينهما، فالأشياء، وليست الأعداد، هي التي تعنيه، فهو إذن غير قادر إطلاقًا على التفكير المجرد، ثم إنه عاجز لغويًّا عن التعبير عن أفكار مجردة.

لقد جرى تعليم الحصان (**هانز**) الذكي كيف يفكر ويعدّ، طوال عدة سنوات، لإثبات أن الخيل أذكى من البشر. لكن الاختبارات التي أجرتها جمعية علماء النفس الألمانية في وقت لاحق، بينت أن الحصان لم يكن يفكر في الأسئلة المطروحة عليه، بل كان يستجيب لبعض الإشارات البصرية التي كان يرسلها مدربه.

آلاف السنين مرت دون أن تنجز البشرية قواعد العدّ. وقبل قرون قليلة، كانت مهارة العد حكرًا على نخبة من الناس، وحتى عام ١٩٥٠م، كانت هناك بقاع في العالم لم يتجاوز فيها فَهْمُ مجموعات البشر للعد مرحلة واحدة (واحد، اِثنان، كثير). وهنا أقتبسُ من كتاب الأستاذ شحادة الخوري:

يذكر المؤرخ (**ول ديورانت**) في كتابه قصة الحضارة: «أن التسمانيين لم يعرفوا إلا العددين واحدًا واثنين» فقالوا: «بارمَرِي، كالاباوا، كارْديا» فقط، ومعنى هذه الكلمات: «واحد، اثنان، كثير». ثم ذهب أهل قبيلة «غوراني» في البرازيل إلى أبعد من ذلك فقالوا: «واحد، اثنان، ثلاثة، أربعة، كثير».

ويقول الدكتور محيي الدين صابر في كتابه «التغير الحضاري في مجتمع إفريقي»: «إن قبائل الأزاندي أو نيام نيام كانت ترى في العدد (خمسة) الوحدة الحسابية لأنه يمثل عدد أصابع اليد اليسرى، ولم يُعْنَوا بأصابع اليد اليمنى إذ كانوا يستعملونها في عدِّ أصابع اليد اليسرى».

كان الناس في الماضي يقومون بإجراء تقابل بين الأشياء التي يجب أن تُعَدَّ، وبين أثلامٍ يُحدثونها بالحَصيات، أو خدوشٍ على الخشب. وحين كان يترقب الشاعر الألماني أدالبرت ستيفتر Adalbert Stifter، الذي عاش في القرن التاسع عشر الميلادي لقاءَ حبيبته، ملأ كيسًا بالتفاح، وصار يأكل كل يوم تفاحة إلى أن انتهت مدة الانتظار. وهو لم يكتب إلى حبيبته سوى الكلمات التالية: حين كتبت رسالتي الأخيرة إليك، كان لديّ ٢١ تفاحة، وغدًا لن يبقى سوى ١٣، وأخيرًا، لن يبقى إلا تفاحة واحدة، وبعد التهامها سأصرخ بأعلى صوتي من الغبطة والسرور. وإضافة إلى الخدوش على الخشب، استعمل الأقدمون أصابع اليد، أو أصابع اليدين والرجلين، لعد حيواناتهم أو أشيائهم.

العدّ عند المايا

عاش البشر رَدَحًا طويلًا من الزمن قبل أن تتطور المجتمعات الإنسانية إلى مرحلة يمكن وصفها بأنها مدنية في صورتها الأولى. ارتكزت هذه المدنية على خمسة اكتشافات حاسمة هي: كيف نتحكم في النار، وكيف تزرع البذور وتنمّى المحاصيل، وكيف تُرَوَّض حيوانات العمل كالكلب والثور والحصان لنستفيد منها، وكيف نصهر الحديد والخامات الأخرى لصناعة الأدوات والأسلحة، وكيف نستعمل الدولاب لتحريك الحُمُولة الثقيلة. وعندما بدأ الوافدون إلى أمريكا اللاتينية في بواكير القرن الخامس عشر بفرض ثقافاتهم على العالم الجديد، هذا العالم الذي كان فيه آنذاك عدد من الحضارات القديمة، أبرزها حضارة الإنكا والأزتيك والمايا، لم يكن حينها لدى شعوب هذا العالم الجديد سوى مظهرين اثنين من مظاهر

الحضارة، وهما التحكم في النار، والاقتصاد المبني على المحاصيل الزراعية. وكان آنذاك للمايا لغة مكتوبة ألّفوا بها كتبًا في تاريخهم وشعائرهم الدينية وأعيادهم. حُفرت هذه المؤلفات، المشتملة على الأعداد التي كانوا يتعاملون بها، على أحجار تذكارية. وتبين من ذلك أنهم كانوا يتقدمون على أوربا في الحساب وعملياته ألف سنة، غير أنه لم يكن ممكنًا فهم الأعداد المايانية لغياب النصوص المكتوبة عنها. وعلى هذا، فإننا نميل إلى أن المايانيين استعملوا النظام العشريني (النظام الذي أساسه عشرون بدلًا من الأساس عشرة في النظام العشري). لعل منشأ النظام العشري هو العد بأصابع اليدين العشر، ومنشأ النظام العشريني هو العد بأصابع اليدين والرجلين معًا. ولعل منشأ النظام الاثني عشري إلى جانب النظام العشري هو أن العدد ١٢ قَسُوم (أي قابل للقسمة) على ٢ و ٣ و ٤ و ٦ .

كانت الأعداد تكتب رأسيًّا بدءًا من الأسفل بالفئات الدنيا.

ونجد في الجدول التالي العدد ٣، ١٤، ٢، ١٠، ١ وهو يساوي ٢٤١٠٨٣ في النظام العشري:

الأرقام المايانية	قيمة المنزل	القيمة العشرية
	١ مرة ١٦٠٠٠٠	= ١٦٠٠٠٠
—	١٠ مرات ٨٠٠٠	= ٨٠٠٠٠
	مرتان ٤٠٠	= ٨٠٠
••	١٤ مرة ٢٠	= ٢٨٠
—	٣ مرات ١	= ٣
•		

ونرى في الجدول التالي الأعداد المايانية من ١ إلى ٢٠

الأعداد المايانية من 1 إلى 20

الاسم	العدد	الرمز
هُيو	1	
كا	2	
أوكس	3	
كان	4	
هو	5	
أواك	6	
أويوك	7	
أواكساك	8	
بولون	9	
لاهون	10	
تولوك	11	
لاكا	12	
أوكس لاهون	13	
كان لاهون	14	
هو لاهون	15	
أواك لاهون	16	
أويوك لاهون	17	
أواكساك لاهون	18	
بولون لاهون	19	
هن كال	20	

وكان العدد ١٣ مقدسًا عندهم، فهو المجموع الكلي للآلهة. لقد أدت أسطورة الخلق المايانية إلى جعل نظام تسجيل الحوادث التاريخية عسيرًا على الفهم. لم تكن الآلهة في هذه الأسطورة راضية عن محاولاتهم الأربع الأولى في خلق الكائنات البشرية، كانوا يدمرون الأنواع كلها ويبدؤون مجدَّدًا، وكانوا يستعملون

في كل مرة موادَّ مختلفة، مثل الطين. وأما في محاولتهم الخامسة التي أدت إلى النوع البشري الحاضر، فلقد استعملوا فيها عجينة من طحين الذرة والماء، وهذا يعني أننا ما زلنا في طور التجربة، وأننا معرضون للفناء إذا قررت الآلهة فساد هذا النوع من البشر. ولقد اتُّخذ القرار العظيم في ٢٣ ك١ (كانون الأول) من عام ٢٠١١. ولسنا ندري مصيرنا بناء على هذا القرار، ومتى هو موعد التنفيذ إنْ كان القرار إفناء البشرية الحالية.

وإلى جانب شعب المايا الذي كان يسكن في اليوكاتان، كان شعب الإنكا الذي كان يسكن في البيرو، وشعب الإزتك الذي كان يسكن المكسيك.

ويبدو أن شعب المايا كان الأكثر تطورًا في الحساب. إلا أن شعب الإنكا استعمل نظامًا عدديًّا مبنيًّا على الموضع، وكانت أرقامهم تتضمن صفرًا. لم يكن لدى الإنكا لغة مكتوبة، وكانت تحفظ سجلاتهم على حبال ذات أطوال مختلفة موصولة بعضها ببعض، أو بقطع خشبية متينة، تسمى هذه الحبال كيبويات (عقد في لغة الإنكا). وللحبال ألوان مختلفة، وعليها عقد تفصلها مسافات متساوية، ويتمثل الصفر على هذه الحبال بفسحة بينها.

ومن القصص الطريفة التي تلقي الضوء على كيفية عمل هذه السجلات، قصة تَنزانية قديمة تدور حول رجل عقد العزم على القيام برحلة، فقبل مغادرته بلده، أخذ قطعة حبل وربط عليها إحدى عشرة عقدة على مسافات متساوية. بعدئذ قال لزوجه وهو يلمس العقد تباعًا، هذه العقدة هي اليوم الذي أغادر فيه، وبعد يوم من ذلك، وهنا أشار إلى العقدة الثانية،أكون قد وصلت إلى مكان وجودي، وهكذا إلى أن وصل إلى العقدة الرابعة، مبيِّنًا أنه يكون قد بلغ الهدف،

ويمكث هناك ثلاثة أيام مشيرًا إلى العقدة السابعة، وعندما تصلين إلى العقدة العاشرة، حَضري طعامًا ليكون جاهزًا في اليوم الحادي عشر عند العقدة الأخيرة.

أما في أمريكا الشمالية، فكان يجري العد باستعمال الأصابع، ثم إنهم كانوا يستعينون بقطع الخشب والحصى والحبال ذات العقد.

ومن أدوات الحساب العِصي، وهي قطع من الخشب تعلَّم بأثلام عليها، ولقد استعملت هذه العصي في مجتمعات الفلاحين طَوال آلاف السنين، وكانت تستعملها الدولة أيضًا على أنها وثائق قانونية، وفي تسهيل أمورها. فالخزانة البريطانية، مثلًا، بدءًا من القرن الرابع عشر حتى عام ١٨٢٨، كانت تستعمل هذه العصي في طلباتها من الضرائب، وكانت تعطيها للمواطنين كإيصالات تَسَلُّمِ الضرائب . ولدى التخلي عن هذا النظام، بقيت كومة ضخمة من هذه العصي مُوْدَعةً في أقبية البرلمان في لندن. وفي عام ١٨٣٤، تقرر التخلص منها بحرقها، وخلال هذه العملية أتت النار على مباني البرلمان بكمالها.

ومن الملاحظ أن العلامات على العصي لم تكن معيارية، بل كانت تختلف باختلاف الأشخاص الذين يحفظون العصي لديهم. وكان كل فرد يستعمل علامات مختلفة للإشارة إلى أعداد الأشياء المختلفة. على سبيل المثال، العشرة التي تدل على رؤوس البقر تختلف عن العشرة التي تستعمل لحاويات اللبن. قد يبدو هذا أمرًا لا يصدق، فإلى عهد قريب كان العدد محاطًا بهالة شبه سحرية. فقبل قُرابة ١٠٠ سنة، لم يكن الفلاحون البولونيون المتدينون يخلطون قطع النقود المخصصة لمهر البنت بالنقود المخصصة لشراء الأرض.

الأعداد في سومر وبابل

من الحضارات القديمة التي كانت موجودة في الشرق الأوسط قبل أربعة قرون من العصر المسيحي، حضارة سومر في الشمال الغربي من الخليج العربي. كان السومريون يكتبون على الطين بتجريحه بأداة مستدقة، ثم تركِهِ إلى أن يجف. وكانوا يستعملون أشكالًا متنوعة من الأقلام تمثل أرقامًا مختلفة. وكان لديهم نظام للمنازل، ونظامهم العددي هو النظام العشري، ولكنهم لم يستعملوا سوى الرقمين ١ و ١٠. وفي الشكل التالي نجد العدد ٤٦٨٢١ مكتوبًا بالنظام السومري، ونلاحظ فيه استعمالًا غير عادي للصفر.

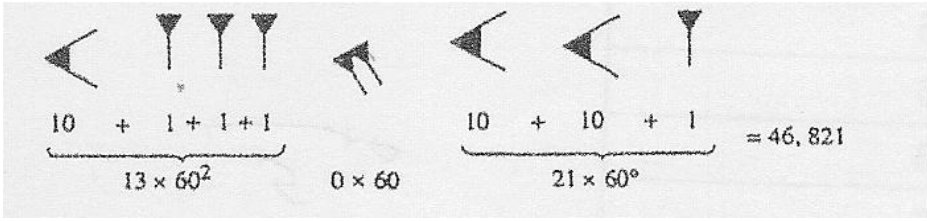

ومن الحضارات القديمة أيضًا، حضارة البابليين الذين جاؤوا بعد السومريين، وحكم هؤلاء بلادًا واسعة: سورية والعراق والأردن، ومن أهم مدنهم بابل.

لقد استولى البابليون على كامل التراث السومري، ومن هذا التراث علم الحساب. غير أنهم أدخلوا بعض التحديث، مثل استعمال جداول لعدد كبير من الإجراءات: الضرب والقسمة والكسور والجذور، وغيرها كثير.

الأعداد في مصر القديمة

كانت الأعداد المصرية تكتب من اليمين إلى اليسار، وكان المصريون يكتبون الكسر بعدد واحد فوقه نقطة فمثلًا ٥̇ تعني الكسر ١/ ٥، فالكسور التي يستعملونها،

هي فقط التي يكون فيها البسط مساويًا الواحد. ابتدأت الأعداد المصرية بالواحد وانتهت بالمليون، فكان يرمز إلى الواحد بورقة بردي، وإلى العشرة بشريط مكون من ورقة بردي مثنية، وإلى المئة بقطعة حبل، وإلى الألف بزهرة اللوتس، وإلى العشرة آلاف بثعبان، وإلى المئة ألف بفرخ ضفدع، وإلى المليون بناسك رافعًا ذراعيه فوق رأسه، وكأنه في حالة ذهول.

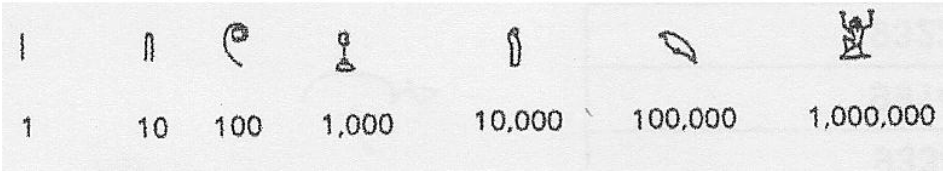

وكمثال على ذلك، فإن العدد 9,526,863 يمثل بتسعة نُسّاك، وخمس ضفادع، وثعبانين، وست زَهَرَات لوتس، وثماني قطعٍ من الحبال، وستة شرطٍ مثنية، وثلاث أوراق بردي.

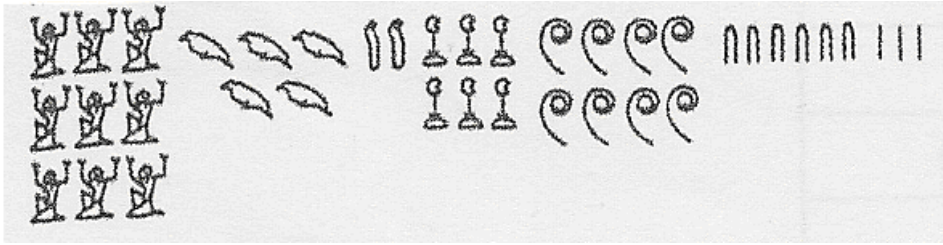

ولقد تمكَّن المصريون من إجراء العمليات الحسابية دون أن يكون لها رموز خاصة بها. وبدلًا من ذلك، كانوا يوردون بجانب الرقم بضع كلمات تشير إلى ما يجب عمله.

الأعداد في الصين القديمة

أدرك الصينيون منذ القدم أن التطبيق من دون نظرية أعمى، و أن النظرية من دون تطبيق عقيمة. لقد أدركوا أهمية التكامل بين التجربة العملية والتحليل النظري. وقبل ميلاد السيد المسيح بأربعة قرون، ابتدعوا نظامًا عشريًّا عدديًّا، وطرائق

حساب في هذا النظام. لقد اكتشفوا السمات الأساسية للأعداد قبل أوربا بزهاء ٢٠٠٠ سنة، وتمكنوا من حل معادلات تربيعية ومن درجات أعلى، وابتكروا المعداد ولوح العد، في الوقت الذي كان فيه معظم العلماء الأوربيين يتعاملون مع السحرة. لقد بقي نظام العد الصيني في قيدِ الاستعمال طَوال ألفي سنة، وهذا مما يشير إلى قوة الرياضيات الصينية واستقرارها... وبقي هذا النظام إلى أن جرى التحويل إلى النظام العددي العربي في القرن العشرين، هذا النظام الذي ساد جميع أرجاء المعمورة.

عرفت الصين خمسة أنماط من الأرقام المكتوبة للأغراض المختلفة. أهم هذه الأنماط الأرقام العَصَوِية (وهذه تستعمل العصي الخشبية التي كانت تمثل الأعداد على ألواح العد)، والأرقام الأساسية. أما الأنماط الأخرى فكانت مشتقة من هذين النمطين، فالأرقام الرسمية، مثلاً، كانت مزخرفة وتستعمل في العقود ووثائق العمل والأوراق النقدية:

الرقم العربي	الاسم الصيني	الرقم العصوي	الرقم الأساسي	الرقم التجاري
0	لينك	□	○	〇
1	أي	𝍠	一	壹
2	إره	𝍡	二	貳
3	سان	𝍢	三	參
4	سزو	𝍣	四	肆
5	وو	𝍤	五	伍
6	ليو	𝍥	六	陸
7	شاي	𝍦	七	柒
8	با	𝍧	八	捌
9	شيو	𝍨	九	玖
10	شي	𝍩	十	拾

كانت الحسابات الصينية تُجرى ذهنيًّا، وأما ألواح العد فكانت لحفظ الحسابات ومتابعتها. كانت هذه الألواح مصنوعة من الخشب، ولها شكل رقعة شطرنج مكوّنة من مربعات، وكان الشخص الذي يقوم بعملية الجمع، مثلًا، يضع العصي على اللوح إلى أن يصل إلى الأعداد المطلوبة، وفي المربعات المناسبة. كان طول كل عصًا عشرة سنتمترات، وعدد العصي ٢٧١، ولها لونان: لون للأعداد الموجبة، ولون آخر للأعداد السالبة. وكانت كل عصا تمثل العدد ١ أو العدد ١٠ أو العدد ١٠٠، تبعًا للمربعات التي وضعت فيها من اليمين إلى اليسار. وفي الشكل المرافق لَوْحُ عدٍّ يطرح العدد ٣٢٠٤٣٠ من العدد ١٤٧٠٦٥٤، وترى في الشكل أن الجواب هو ١١٥٠٢٢٤

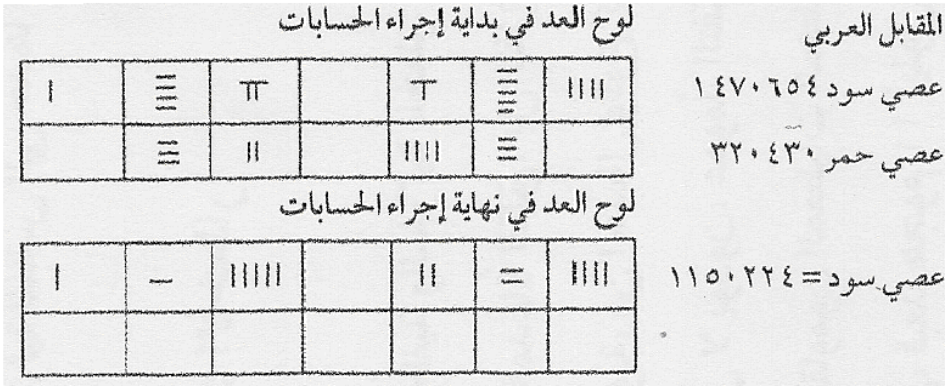

الأعداد عند اليونان

يقول ليوناردوولي: «لقد بالغنا، إلى حدٍّ ما، إذْ نسبنا جميع الفنون إلى اليونان، وكان يظن أن اليونان انطلقت مثل بالاس Pallas (آلهة الحكمة عند الإغريق) متمتعة بعقل كامل النمو، مثل ذاك الذي يملكه زيوس Zeus كبير آلهة

اليونان، لكننا عرفنا أن مجرى العبقرية انطلق من الليديين والفينيقيين والبابليين والمصريين.»

وأما فيما يخص الأعداد، فلقد كان عند اليونانيين نظامان عدديان مختلفان. يعرف أحدهما بنظام الأعداد الهيرودية، أو بنظام الأعداد الأتيكيّة Attic، نسبة إلى أتيكا Attica، وهي منطقة تقع حول أثينا. كانت الحسابات العامة في هذا النظام تسجل بطريقة النقش. كان الأساس في هذا النظام هو العشرة، وكان يستعمل الأحرف الأولى من الكلمات لتمييز بعضها من بعض.

أما النظام العددي الثاني فيعرف بالأيوني Ionic أو الإسكندري. يتألف هذا النظام من ٢٤ حرفًا من الألفباء اليونانية ومن ثلاثة أحرف مهجورة.

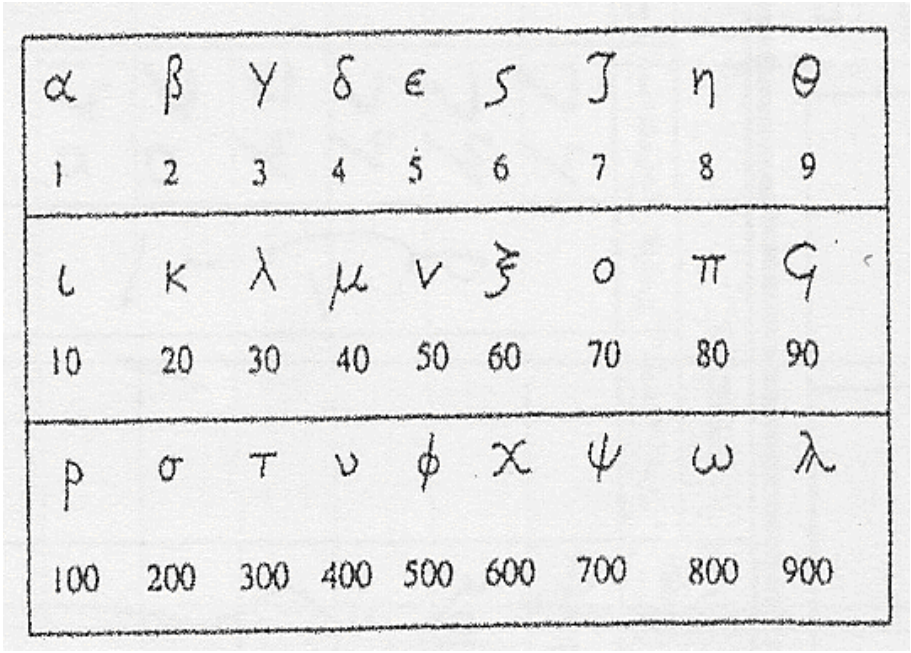

الأعداد عند الهنود

اهتم سكان الهند منذ مطلع حضارتهم بالأعداد، فقد استعملوا النظام العشري قبل الميلاد بألفي سنة، وكانت لديهم طرائق للعد متقدمة على معاصريهم من المصريين والبابليين واليونان، ولعل أهم اكتشافات الهنود:

١- استعمال رموز عددية خاصة غير مرتبطة بأي مؤثر خارجي، مثل الحروف الهجائية أو أصابع اليد أو القدم.

٢- استعمال نظام المنازل.

٣- استعمال رمز للصفر، وهو الأهم.

الأعداد والحساب عند العرب

قال كارل مينيجر: «كانت بغداد وقرطبة، وهما الخلافتان العربيتان المشرقية والمغربية، موضعين طرفيّيْن لنظام عملاق يمتد إلى عدة قارات، ومن بينهما تدفق التيار الحضاري عبر كبل فائق الموصلية بلغة عربية واحدة».

كان اتجاه التيار من الشرق إلى الغرب. فالشرق، إذا تابعنا بأسلوب المجاز، هو المرسِل والغرب هو المستقبِل.

إن استعمال الأرقام العربية التسعة والصفر في كتاب الخوارزمي عن الحساب، كان سببًا لمعركة عقائدية (إيديولوجية) استمرت ثلاثة قرون في أوربا مع الحساب الجديد وضده. وقد وقف التغيير مع البرنامج العربي، مع نظام المراتب، ومع استعمال عشرة رموز فقط لتمثيل جميع الأعداد، وأما معارضو التغيير فكانوا

أغلبيـة التجـار والمحاسـبين، الـذين تعـوّدوا اسـتعمال المعـداد، واسـتعمال الأرقـام الأبجدية اليونانية والأرقام الرومانية.

Arabic	Egyptian	Babylonian	Mayan	Chinese	Greek	Rom
1						I
2						II
3						III
4						IV
5						V
6						VI
7						VII
8						VIII
9						IX
10						X
26						XXVI
723						DCCXXIII
11,578						MDLXXVIII

جعلـت الأرقـام والخوارزميـات العربيـة الحسـاب بسـيطًا، يمكـن معـه الاستغناء عن الأدوات المساعدة، مثل المعداد، حيث يمكن التعامل مباشـرة مع الأعداد ذاتها.

لقد سهَّل ذلك إدراكُ طبيعة الأعداد بوصفها كائناتٍ مجردةً، يمكن أن تحلّ محلّ أي مجموعة من الأشياء العينية، أو يمكن التعامل معها على أنها مجردات بحتة. وإذا كان إقليدس ورياضياتيون يونانيون آخرون قد حرروا الهندسة من قيود المسح الأرضي ووسائل البناء، فإن العرب وحدهم قدموا خدمة مشابهة للعدد.

لقد استعمل العرب في البدء حروف أبجديتهم بصفتها أعدادًا، ثم إنهم استعملوا في أيامهم الأولى النظام الستيني الذي تعلموه من السومريين والبابليين القدماء، ولقد هيأتهم هذه الخبرات لاكتشاف الطاقة الهائلة للنظام العشري الكامل، إذ يمكن استعمال عشرة رموز فقط بدلًا من ستين رمزًا لتسريع جميع الحسابات.

إن اكتشاف رمز الصفر خاصة (جاءت الكلمة اللاتينية zero من الكلمة العربية صفر) نقل الحساب من الشكل الحسي إلى الشكل المجرد، وغدت المراتب العددية، إلى جانب المظهر المادي للعدد، حاسمة لتَعَرُّفِ العدد.

وفي هذا الصدد قال أحد مؤرخي العلم، كما يذكر الأستاذ الخوري:

« إن الصفر أعظم اختراع رياضي على مرِّ العصور».

وقال العالم (**روم لاندو**):

«لقد كانت الخدمة التي أسداها العرب للأرقام هي استعمالهم الصفر استعمالًا عمليًّا».

الأرقام الأبجدية العربية (جُمل)

(1ـ9)	أ	ب	ج	د	هـ	و	ز	ح	ط	(آحاد)
(10ـ90)	ى	ك	ل	م	ن	س	ع	ف	ص	(عشرات)
(100ـ900)	ق	ر	ش	ت	ث	خ	ذ	ض	ظ	(مئات)
(1000)	ع									(ألف)

(اقرأ من اليمين إلى اليسار)

استبدل بهذا النظام ، واستغرق ذلك وقتا طويلا ، الأعدادُ العشريةُ :

١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	٠	(مسلمو المشرق)
1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	(مسلمو المغرب)

نظر العرب إلى الأعداد العشرية على أنها طبيعية، بيد أن أوربا، في العصر الوسيط، ولعدة قرون، وجدت هذه الرموز غامضة وصعبة لدرجة أن الأوربيين، اتهموا العرب الذين يمارسون المهارات الجديدة، بأنهم سحرة ومخادعون.

وإن الأخذ بنظم العد العشرية جعل العمليات الحسابية الأربع سهلة جدًّا. لننظر مثلًا في عملية ضرب العدد ٥٦٧ في العدد ٩٣٢، كما وردت في كتاب الحساب للخوارزمي.

إن عملية الضرب هي كما في المخطط التالي:

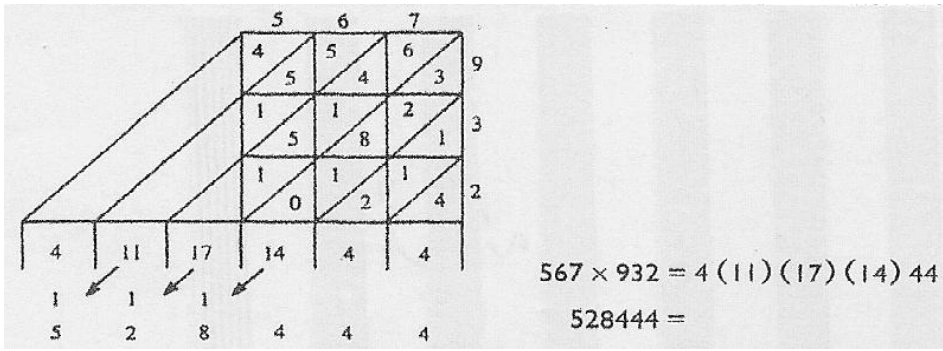

وضعنا في الأعلى العدد ٥٦٧ وفي اليمين العدد الآخر ٩٣٢، ثم رسمنا الأقطار وامتداداتها كما في الشكل.

ضربنا الأرقام العليا في الرقم الرأسي الأول. فمثلا حاصل ضرب ٥ في ٩ يساوي ٤٥ .

نضع ٥ (الآحاد) تحت قطر المربع الأيسر الأعلى الأول، و ٤ فوق هذا القطر. ثم ضربنا ٦ في ٩ فكان الجداء ٥٤. وضعنا في المربع الأوسط الأعلى ٤ تحت قطر هذا المربع وخمسة فوقه وهكذا. جمعت بعد ذلك الأرقام في الأقطار، فكان الجواب في السطر الأسفل مع ملاحظة أنه إذا زاد مجموع أرقام أي قطر على تسعة،يحمل رقم العشرات إلى العدد على يساره، فكان الجواب ٥٢٨٤٤٤.

هذا ويمكن إيجاز إسهامات العرب الرئيسية الثلاثة فيما يلي:

١- ابتدعوا ونشروا معرفة النظم العشرية، وأوجدوا طريقة القيمة المكانية للتعبير عن الأعداد، ومكَّنوا أولئك الذين اقتفوا أثرهم في الرياضيات من إدراك الأعداد على أنها نظم مجردة.

٢- مكنوا من إدراك أنه في سياق النظام العشري، من الممكن إخضاع الكسور والأعداد الصحيحة والأنواع الأخرى من الأعداد للقواعد العامة ذاتها، بعد تعريفها بطريقة مناسبة، ووضعوا، بوجه خاص، الأساس لتوضيح الأعداد السالبة ومعالجة الجذور والقوى.

٣- أوضحوا أن الأنواع المختلفة من النظم العددية ليست ممكنة فحسب، بل يمكن أيضًا مبادلتها فيما بينها.

ونحصل على النتائج ذاتها إذا استعملنا النظام العشري أو العشريني أو الثنائي.

وقبل أن أختم حديثي أنقل إليكم ما قرأته في إحدى أوراق التقويم السنوي والذي يبين قيمة الأخلاق أمام المال والجاه والعلم والأولاد وغير ذلك.

جاء في هذه الورقة ما يلي: «سأل أحد الخلفاء الخوارزمي مبتكر علم الجبر: صف لي الإنسان بالأرقام ...قال: يا أمير المؤمنين نضع رقم (١) للأخلاق ... فإذا وضعنا على يمينه صفرًا للمال صار (١٠)، فإذا وضعنا صفرًا للجاه صار (١٠٠) ... وهكذا حتى ترتفع قيمته مع زيادة الأصفار في المكتسبات كالأولاد والعلم وغير ذلك.

ثم قال : «فإذا حذفنا رقم (١) رجع الإنسان صفرًا لا قيمة له».

غير أن الأستاذ الراحل الدكتور عبد الرزاق قدورة لفت انتباهي إلى الأمر ذاته قبل أكثر من عشر سنوات دون أن ينسبه للخوارزمي.

ثم إني أجد المعنى ذاته في قول شوقي:

فإنما الأممُ الأخلاقُ ما بقِيَتْ فإن هُمُ ذهبت أخلاقُهُم ، ذهبوا

ومن العجيب أن الشائع لدى الكثير من الناس، حصر الأخلاق على المتدينين... فرجلٌ صاحبُ خلق هو بالضرورة رجل متدين...

صحيح أن الأديان السماوية، وغير السماوية أيضًا، تدعو إلى مكارم الأخلاق فالإنسان لا يكون متدينًا إلا إذا كان على خلق. إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق أو صالح الأخلاق كما يقول الرسول الكريم . ولكن فات هؤلاء الناس

أنه ليس بالضرورة أن يكون الرجل ذو الأخلاق ملتزمًا بدين، إلا إذا قبلنا بمفهوم للدين أوسع من المفهوم الشائع.

وهنا نلتقي مع البحتري إذ يقول:

إذا تشاكلت الأخلاق واقتربت دنت المسافة بين العجم والعرب

وعلى هذا فإن التربية التي لا تُعنى بالأخلاق هي تربية فاسدة والبيت الذي لا يربي أبناءه على الصدق والأمانة والوفاء وقبول الآخر هو بيت خرِب.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

أنباءٌ مجمعيةٌ وثقافية

الدكتور برهـان العـابد

الدكتور مروان المحاسني(*)

أيها الحفل الكريم

إني إذ أقف اليوم في هذه المناسبة الحزينة، أتساءل عمّا سوف أقولـه؟ أهـو كـلامٌ يحمـل العـزاء لعائلـة كريمـة رافقـتْ أيـامي سـنواتٍ طويلـة، وشـاركتُها أفراحَهـا وأتراحها، وتتبعتُ نجاحات بَناتِها وأحفادِهـا، وأنـا في حقيقـة أمـري كواحـد منهـا، أطلب من يواسيني لفقـدي أخًـا صـدوقًا، تعـاون معـي عـلى مـدى عقـود في سـعينا لتقديم أفضل ما نعرفه لمرضانا، بغية إخراجهم من محنتهم.

أم هـو كـلامُ المَراثـي تُنتقـى فيهـا الكلـمات والأوصـاف، وتُشـحذ الأسـاليبُ البلاغيـة لتعطـي عـن الفقيـد صـورةً مضـخّمة منمّقـة، لا تـدخل إلى حقـائقِ حياتـه وتطلّعاته، ومكامنِ ما له من فضلٍ في خدمة مجتمعه.

(*) ألقى الأستاذ الدكتور مروان المحاسني رئيس مجمع اللغة العربية بدمشق كلمة المجمع في حفل تأبين العضو المراسل للمجمع الدكتور برهان العابد رحمه الله. وقد أقيم الحفل في مكتبة الأسد الوطنية بتاريخ ٢٠/ ١١/ ٢٠١٤.

بل إني قد آثرت أن أتقدّم بكلام بسيط، والكلمات للمعاني نواقل، والمعاني حمّالة للقيم والمشاعر، لأطلعكم على ما لا يعرفه إلا قليلون عن الدكتور برهان العابد، مؤسس قسم التخدير في سورية، والأستاذ الكبير الذي أطلق مدرسةً علمية انتشر أبناؤها في بلادنا، حاملين لعلمهم الدقيق، المشفوعِ بوجدان مسلكي لا يبارى.

لقد سبقني برهان العابد إلى كلية الطب في الجامعة السورية، التي نفخر بأننا نحمل شهادتها، كما نعتزّ بشرف التدريس فيها، وقد استفدنا من زعامتها على بلاد العرب في تعليم العلوم باللغة العربية، وبخاصة تعليمُ الطب السريع التطوّر في القرن العشرين، وذلك برعاية أساتذة كبار من أمثال مرشد خاطر وحسني سبح وصلاح الدين الكواكبي، الذين صبّوا لنا المصطلحات العربية الواضحة، التي تضيء ما غَمُض من مصطلحات أجنبية تصلنا وهي ليست مكتوبةً حتى بلغة أصحابها، بل بالاستعارة من لغتين تاريخيتين هما اللاتينية واليونانية.

وحين تخرّجنا في مطلع الخمسينيات كان قد جرى تدريبنا السريري في أقدم مستشفى في مدينة دمشق، هو المستشفى الوطني، الذي ألحقه بكلية الطب الدكتور رضا سعيد مؤسس الجامعة، ليكون المجال التطبيقي لتدريس الطب. وكان المستشفى معروفًا باسم «مستشفى الغُرباء» لأنه كان المستشفى المجاني الوحيد الذي يلجأ إليه، إلى جانب أفراد الشعب، كلُّ من يصاب بمرضٍ ما خلال وجوده في دمشق.

ولما وصلنا في تدريبنا إلى الاطّلاع على مجريات الأمور في غرف العمليات، وجدنا أن التخدير المطلوب لكل حالة جراحية يقوم به ممرضٌ قديم ورثته الكلية، وقد جرى تدريبه على الأدوات الموجودة في المستشفى. ومُعظم التخدير كان

باستنشاق المريض للهواء من خلال قناعٍ يقوم المُخدّر بتطبيقه على الفم والأنف، ثم يبادر إلى تنقيط سائل الأثير أو الكلوروفورم على القناع، حتى يَدخل المريض في نومٍ عميق يمتد طيلة إجراء العمل الجراحي، أو بواسطة جهاز مغلق يبثّ بخار الأثير في رئتي المريض ما اقتضى الأمر ذلك. وقد جرى بعدئذ تدريبُ الأطباء المعاودين قبل تخرّجهم على استعمال تلك الأدوات بالقدْر الذي تسمح به حالة المريض، وكنّا من الذين دُرّبوا، وقد خدّرنا أعدادًا من المرضى على هذه الطريقة القديمة. وحين قررت الجامعة استدعاء خبير أجنبي يُطلع الجراحين على طرائق التخدير الحديث، القائمةِ على التحقق من كمية المادة المخدرة التي تدخل إلى جسم المريض، وصل إلينا طبيب مختص بريطاني، الدكتور سكوت، الذي كان أول من شرح لنا كيف يُدخَل أنبوبٌ متين من الحَنْجرة إلى الرغامى، ويبقى مستقرًّا فيها، والمخدِّر ينظّم كمية غازات التخدير الداخلة إلى جهاز التنفس، ويُدخل موادّ ترخي العضلات عن طريق الوريد، وهو يراقب حالة المريض، ومقدارَ الأكسجين المطلوب لحسن توازنه، القلبي والتنفّسي.

إن ما يحيط بهذا الفن الجديد من مُرتكزات علمية ومنطلقات تقنية دقيقة، وما تتطلبه من وعي للمسؤولية، أمور قد اجتذبت الدكتور برهان العابد إلى التخصص بهذا العلم الحديث على أعلى المستويات. وهكذا كان إيفاده إلى جامعة كليفلاند في الولايات المتحدة عام ١٩٥٥.

وعاد الدكتور بعد سنوات ثلاث انتهت بحصوله على المؤهل المطلوب، ونحن ما زلنا في المستشفى القديم، ننتظر افتتاح مستشفى المواساة الذي أُعِدّ ليكون المشفى الجامعي المتميّز ببناء جديد، وثماني غرف للعمليات مجهّزة بأحدث الأدوات

والمتطلبات. وعُيّن الدكتور العابد مدرسًا في الكلية تَدَرَّج في المراتب التدريسية حتى وصل إلى الأستاذية عام ١٩٧١ وبلغ أمنيته عام ١٩٧٦ حين انفصل عن قسم الجراحة من الناحية الإدارية، ليؤسس قسمًا خاصًّا بالتخدير والإنعاش ويرأسه بقرار من وزير التعليم العالي.

إنه القسم الذي تدرّب فيه عدد كبير من الأطباء، ابتداء من غرفة الإنعاش التي تستقبل المريض الخارج من غرفة العمليات حتى غرفة العناية المُركَّزة، التي لم يقبل الدكتور العابد تسميتَها «عنايةً مشددة» بل عنايةً مركّزة تأكيدًا أن التركيز هو على المريض الفرد، وأما التشدّد فهو في تطبيق التعليمات العامة. وقد انتشر مدرَّبو هذا القسم في جميع المشافي السورية ومنهم من انتقل إلى بلاد عربية أخرى.

لقد كان قسم التخدير قسمًا حقيقيًّا له سجلّاته وإحصاءاته الخاصة، وفيه مكتبة عامرة بكتب التخصص يغذّيها الدكتور العابد بأحدث المنشورات العلمية، بعد أن أصبح التخدير علمًا واسع التفرعات، تتطور فيه الأدوات وطرق استعمالها بسرعة كبيرة. ولقد تطور قسم التخدير ليتطابق مع الجراحات الجديدة التي تتطلب حنكةً ومقدرةً كبيرتين في التخدير في سياق معالجةِ حالات لم تُعالج قبل ذلك في بلادنا. فحين وصل إلينا أولُ طفل يشكو نقصًا خِلقيًّا في اكتمال المري، وقد كُشف الأمر في اليوم الأول من ولادته، اضطرّ المخدر إلى ابتداع الأدوات المناسبة لتخدير طفلٍ وليدٍ، لا يصل وزنه إلى كيلوغرامَيْن، ولم تُمكِن تغذيته بأي طعام منذ ولادته. ذلك أن العملية الجراحية تتطلب فتح الصدر لإعادة الاتصال بين المري المنقوص والمعدة، مع مداراة حجم الرئة الكافية أثناء التخدير، لإدخال الأكسجين المضغوط اللازم لبقائه حيًّا، ولا حاجة إلى وصف ما تتطلبه العناية بالطفل خلال الأيام التالية

للعمل الجراحي. وقد كثرت تلك الحالات بعد ذلك وأجرينا العمليات المطلوبة، بعد أن أدرك أطباء التوليد ضرورة التحقق من اكتمال المري عند كل وليدٍ خديجٍ، ويكفي لذلك عملٌ بسيط هو إدخال أنبوب ليِّن من الفم للتحقق أنه يصل إلى المعدة دون أي عائق.

وحين ابتدأنا جراحة الصدر التي نعالج فيها إصابات الرئة، وآفات مجموع محتويات الصدر، أصبح موضوع توفير الدم أثناء العمل الجراحي أمرًا لا مفرّ منه، ولو بكميات محدودة من قبيل الاحتياط. ثم شرعنا في مطلع الستينيات بالعمليات على القلب، وعلى الأوعية الكبيرة وأهمها الأبهر، عندها لم يعد بالإمكان انتظارُ النجدة من مصرف الدم الموجود في الهلال الأحمر السوري، بل كان لا بد من إنشاء مصرفٍ خاص بمستشفى المواساة. وقد تطلب ذلك تشجيعَ عائلات المرضى على التبّرع بالدم الكافي ليُحفظ في المصرف الخاص بالمواساة، إضافة إلى إقناعهم بأهمية هذا التبّرع بشكل مستعجل خلال مدة العملية الجراحية ليُنقل الدم عبيطًا(*) قبل تخزينه، بغية إنقاذ المريض في حالات النزوف الغزيرة. وقد قدّم هذا المصرف خدمات جليلةً لمرضانا وبخاصة بعد أن أُجريَت في المواساة عمليات خطيرة على الدماغ، وعلى العظام وأخرى لاستئصالٍ جذري لسرطانات بدأت تظهر في الكبد والكلى، وغيرها من الأعضاء، إذ إن برهان العابد قد تولّى إدارة تلك المهمة الخطيرة بكل حزم وتشدد، متجنبًا ما قد يحدث في مصارف أخرى من أخطاء في تحديد الزمر الدموية أو سوء تخزين الدم.

(*) «الدم العبيط»: هو الطازج الذي لم يسبق تخزينه.

وقد كان الدكتور العابد محاطًا بمخدرين متميزين مختصين كالدكتورة نظيرة عز الدين والدكتورة نفيسة طيفور والدكتور وجيه المعلم، وهم يتجاوبون مع متطلبات متعاظمة يفرضها تطور الجراحة، وقد سافروا إلى أوربا للاطلاع على تطورات علم التخدير.

ثم كان أن فوجئ العالم الطبي حين أكد الصينيون أن ما كنا نعرفه لديهم من فنٍ طبي يساعد على تسكين الآلام، وذلك باستعمال إبرٍ خاصة يوخز المريضُ بها في مواضع تشريحية دقيقة تَمّ تحديد مواضعها على مر السنين بل القرون، قد أصبح علمًا قادرًا على تخدير أجزاء كاملة من الجسم، بما يسمح بالوصول إلى أعضاء البطن والصدر، على حين يبقى المريض محتفظًا بوعيه، وقادرًا على إتمام الحديث مع جرّاحه..فما كان من برهان العابد إلا أن يطلب العلم ولو في الصين، فالتحق بمجموعة طبية دولية يمثل فيها سورية، كانت قد دعتها الحكومة الصينية لإطلاع أطباء العالم على هذا الفتح الجديد. وغاب عنا الدكتور العابد بضعة شهور، وكان أن اجتذبته اللغة الصينية على الرغم مما هو معروف من صعوبتها أشكالًا وأصواتًا، فدرسها وتوصّل إلى أنه تمكّن من أن يتقدم بالشكر للجامعة بلهجة صينية مفهومة نيابةً عن زملائه.

وعاد برهان العابد إلى المواساة ليُدخل مفهومًا جديدًا هو عيادةٌ لمعالجة الآلام على الطريقة الصينية، وقد استفاد من هذه العيادة عدد غير قليل ممن يشتكون من آلام مفصلية أو في العمود الفقري، وكذلك الذين يشتكون من صداع معنّد وخاصة أولئك المصابين بمرض الشقيقة.

وإلى جانب هذه النشاطات الطبية الفنيّة فقد كان الدكتور برهان العابد من المغرمين بدراسة التاريخ، وكاد أن يصبح متخصصًا بتاريخ حروب الفرنجة في بلادنا، إذ كان يحفظ تسلسل ملوكهم وإماراتهم، وبخاصة في تلك الحقبة التي لمع فيها صلاح الدين وازدهرت فيها البيمارستانات التي أنشأها نور الدين زنكي في بلاد الشام، وكان تنظيمها للعناية بالمرضى مدارَ إعجابٍ لا مُتناهٍ من قبل الفرنجة. وقد ألقى محاضرة بعنوان «ما نقله الصليبيون من الطب العربي» لخّص فيها مسارات المسلمين في المجالات الطبية.

فلا عجب بعدئذٍ أن يُكلّف تدريسَ تاريخ الطب في كلية الطب، خلفًا لأستاذنا الكبير الدكتور شوكت الشطي، الذي ألف كتبًا عديدة بيّن فيها المساهمات الكبرى التي قدمها الأطباء المسلمون، والتي انفتحت عليها أوربا في قرونها الوسطى، لتَبنيَ على كشوفاتها وخبراتها طبًّا متطورًا بقي مستنِدًا إلى ابن سينا والرازي والزهراوي حتى القرن السادس عشر.

وقد ألف الدكتور العابد كتابًا مختصرا عن تاريخ الطب خص فيه ما يجب على طلاب الطب أن يعرفوه عن تطور الطب خلال القرون، مؤكدًا أهمية المساهمة العربية الإسلامية في العديد من الدقائق العلمية، ومن أهمها كشف حقيقة الدوران القلبي الرئوي، التي كان أوّلَ من وصفها العالمُ الدمشقي ابن النفيس، وتولى بعده سرفيتوس شرحَها في القرن الثامن عشر.

هذا إلى جانب محاضرات عديدة ألقاها في جامعة دمشق وفي المراكز الثقافية وفي المؤتمرات الطبية العربية، وقد نظَّم المؤتمر الأول للأطباء المخدرين السوريين في

دمشق وتلته ثلاثة مؤتمرات أخرى، واعتنى بترجمة عدد من كتب الإسعاف وطب الكوارث وكتب التخدير خدمة لطلاب الكلية.

إنها شذرات علمية نفيسة ورذاذ فكري يُمطِر به العقول المتعطشة إلى معارفَ حديثة وتراثية، مستندًا في ذلك إلى ثقافة واسعة، تشمل إتقان اللغتين الفرنسية والإنكليزية، مكّنته من استيعاب الكثير من مقوِّمات الحضارة الغربية، وهذا ما سَمَحَ له بنقل أساسياتها إلى مجتمعه.

وكانت هذه الشذرات وسيلته المفضّلة للترويح عن النفس تفريجًا لما يتحمله المخدر أثناء تدبيره شؤون المريض الغارق في سبات عميق طيلة ساعات، لا يربطه بالحياة إلا ما يتولى الطبيب الإشراف عليه من وسائل دقيقة تنذره بكل تغيّر طرأ على مريضه.

ثم أقول ليس مجمع اللغة العربية حكرًا على أساطين اللغة من نحويين وصرفيين وأسلوبيين وشعراء وأدباء، بل هو منذ تأسيسه يسعى إلى ضم كبار العاملين في العلوم الحديثة الوافدة على سورية، وهم الذين سهّلوا نقل العلوم إلى العربية فصقلوا المصطلحات وألّفوا الكتب التدريسية.

وهكذا فقد نظر مجمع اللغة العربية في النشاطات العلمية للدكتور برهان العابد وبخاصة إضافتُهُ لعلمٍ حديث يجري تدريسه باللغة العربية، بفضل مصطلحات شارك في إنجازها وهو عضو لجنة المصطلحات في المجلس الأعلى للعلوم. وقد انتخب الأعضاء العاملون في مجمع اللغة العربية الأستاذ الدكتور برهان العابد، رئيس اتحاد المخدرين العرب، عضوًا مراسلًا في مجمع اللغة العربية في

الجلسة الرابعة من عام ٢٠٠٧ بتاريخ ٧/ ٢/ ٢٠٠٧ ليشارك في مؤتمرات المجمع وفي ندواته ويطّلع على كنوز مكتبته ليستفيد منها في بحوثه.

أيها الحفل الكريم

هكذا أكون قد بسطت أمامكم سيرة صديق حميم، وعالم فاضل، غلب عليه التواضع في مسار حياته، وإنها لسيرة ثريّة عَطِرة، لرجل تميّز بحدّة ذكائه، وظرفه وسرعة بديهته، وتعفّفه.

وأقول إن التأبين ليس مجال تقريظٍ يعتمده المتكلم، حين يقتطف من سيرة الفقيد نُبذًا يعتبرها إنجازات افتراضية، تضفي على الفقيد هالة مصطنعة. بل إن التأبين هو نظرة إلى مسيرة الفقيد في مجتمع يخيّم عليه سديم من الأنانية والأَثَرَة ليكشف فيها نقاطًا مضيئة تَميّز بها في مجالات عمله وفي علاقاته بمجتمعه.

فقد كان برهان العابد رجل حزم وعزم وإقدام، جاهد بكل ثقة وجديّة ليرفع تخصص التخدير من شعبة في قسم الجراحة إلى قسم له ذاتيته العلمية وأهدافه ومسؤولياته. فقد ثابر في مجهوده لتوسيع إمكانات القسم الذي يديره قاصدًا إلى التطابق مع تطورات العلوم الطبية، والتجاوبِ مع كل المستجدّات، في مستشفى جامعي كبير تتصادم فيه الأنانيات والنظرات الشخصية التي تجعل كلَّ مختص يعتبر أن قسمه هو الأولى بكل الأولويات.

إلا أن فقيدنا كان متمسكًا بمسؤوليته الأساسية وهي مسؤوليته عن الإنسان الذي وُكِلَ أمره إليه، فهو لا يراعي إلّا ما يراه يخدم مصلحة مريضه. وكان وجدانه الأخلاقي شديدَ التحكم في سلوكه، فلم أرَه مرة يرفض التخدير متذرّعًا بسوء حالة

المريض المطلوب تخديره لعملية مستعجلة مهما تكن الصعوبات، بل كان يستأذن لسويعات تُتيح له إعادة التوازنات إلى أجهزة المريض التي طرأ عليها الخلل، ليوصله إلى حالة من الاستقرار تُتيح للجراح الوصول إلى الآفة المتمكنة من جسم المريض.

إنه مسلك يضفي على فقيدنا صفات جديدة في علو همته وصبره وتماسك معتقده في قيمة الإنسان.

رحم الله فقيدنا الكبير الذي سيبقى ذكره حاضرًا في قلوب من عرفوه، وفي ذاكرة الذين أفادوا من علمه، وفي الذاكرة الجمعية التي لا يغيب عنها من أسدى إلى مجتمعه خدمات لا تنسى.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

استقبال الأستاذ الدكتور محمود أحمد السيِّد

عضوًا عاملًا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة

الإثنين ٢٣ من جمادى الأولى سنة ١٤٣٥هـ الموافق ٢٤ من مارس (آذار) ٢٠١٤م

في الساعة الواحدة ظهر يوم الإثنين ٢٣ جمادى الأولى سنة ١٤٣٥هـ الموافق ٢٤ مارس (آذار) سنة ٢٠١٤م اجتمع مؤتمر مجمع القاهرة في دورته الثمانين برئاسة الأستاذ الدكتور حسن الشافعي رئيس المجمع وبحضور أعضاء المجمع العاملين، والمراسلين، ولفيف من الأساتذة الخبراء بالمجمع، وعدد من رؤساء الجامعات، وعمداء الكليات وأساتذة الجامعات، وجمع غفير من رجالات الصحافة والإعلام، ورؤساء بعض الجمعيات والمؤسسات المدنية المهتمة باللغة العربية.

وبعد أن افتتح الأستاذ فاروق شوشة الأمين العام للمجمع المؤتمر، **ألقى كلمة** هنّأ فيها الحاضرين بالمؤتمر السنوي للمجمع، وهنأ الأستاذ الدكتور محمود أحمد السيد العضو العامل عن سورية الذي انتخبه مجلس مجمع اللغة العربية في القاهرة بالإجماع في جلسته المنعقدة يوم الإثنين في ٢٥ نوفمبر (تشرين الثاني) عام ٢٠١٣م، **وألقى** الأستاذ شوشة كلمة في استقبال الدكتور محمود السيد، في حين ألقى الأستاذ الدكتور السيد كلمة تحدّث فيها عن سلفه الأستاذ الدكتور محمد إحسان النص رحمه الله، وشكر مجمع القاهرة على ثقته، وفيما يلي نص الكلمتين:

كلمة أمين مجمع اللغة العربية بالقاهرة
الشاعر الكبير الأستاذ فاروق شوشة

في استقبال الأستاذ الدكتور / محمود أحمد السيد
عضوًا عاملًا في المجمع
في المكان الذي خلا برحيل الأستاذ الدكتور إحسان النص

الأستاذ الدكتور/ حسن الشافعي

رئيس مجمع اللغة العربية

ورئيس اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية

السادة الأساتذة الأعضاء

السادة الضيوف

يسعدني أن أقدم لكم واحدًا من صفوة العلماء العرب، ارتبط اسمه بالفكر التربويّ والثقافي والأكاديمي والمجمعي، وصار علمًا متألِّقًا في كل هذه المجالات، وأضفى حضوره الإيجابي وحيويَّته الفائقة – في كل مجال منها- تألقًا وجِدّة، ونظرًا صائبًا، مستقبليًّا يتطلع إلى آفاق أرحب مما نحن فيه، وإلى تقدمٍ تبتغيه أمتنا العربية وتعمل على تحقيقه، هو الأستاذ الدكتور محمود أحمد السيد الذي نستقبله عضوًا

عاملًا اليوم في مجمع اللغة العربية، في المكان الذي خلا برحيل العالم والأستاذ الكبير الدكتور إحسان النص.

والدكتور محمود السيد الذي نستقبله اليوم، واحد من فُرسان الفصحى المعدودين، وعالم من علماء التربية الكبار، ومُنظّرٌ ثقافي من طراز رفيع، وخلاصةُ تمثّلٍ جميلٍ للثقافتين العربية والأجنبية، أنتج هذا النموذج البديع في تكوينه وفي عناصره واجتمعتا في وجدانه وفي عقله عملًا دائبًا وجهدًا متصلًا، يُشعُّ منهما باستمرار، موقفُ العروبيِّ المنحاز إلى الثقافة العربية، والهوية العربية، والموقف العربي الصحيح في وجه التغريب وطمس معالم الهوية، وفي وجه الدعوات المستمرة – نتيجة مؤامرات شتَّى – لتشتيت شمل الرابطة العربية الوثقى، وتفكيك عُرى الانتماء العربي إلى كل ماهو أصيلٌ وباقٍ في تراثه، وكلِّ ماهو منفتحٌ على العالم ومستوعب لأحدث مافيه وأكثره تلاؤمًا مع متطلبات الواقع العربي، وتفاعلًا مع كل ما لدينا من ثقافة وفكر وإبداع. شعارُه الدائم: هويّة عربية قومية، وانتماء عربي لايقبل المناقشة أو التشكيك، وإسهام فاعل في كل عملٍ يعود بالنفع على هذه الأمة ويؤدي إلى نهضتها وتقدمها في حاضرها ومستقبلها.

والمتتبع لمسيرة الدكتور محمود السيد منذ حصوله على الدكتوراه في التربية – تخصص مناهج وطرائق تدريس اللغة العربية – من جامعة عين شمس عام ١٩٧٢، يرى أن هذا النجم العربي الساطع، في كل المدارات التي ارتبط اسمه بها، له من الحضور والتأثير والفاعلية، مايؤكد أنه منذور دومًا لدور يضطلع به، ورسالة عروبية يؤمن بها، وعلم عميق وفكر ثاقب ومعرفة واسعة، تحدو خطاه، وتدفع به إلى الأماكن المتقدمة والرائدة.

ويكفي أن نتوقف عند علامات وصُوَى، على الطريق الحافل، الذي امتلأ بإنجازاته وخبراته، والمناصب التي تقلّدها، وقام بواجباتها على خير وجه.

لذا، فإننا نجده عميدًا لكلية التربية بجامعة دمشق، ومديرًا لقطاع التربية في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (ألكسو) بتونس، ووزيرًا للتربية ثم وزيرًا للثقافة في الجمهورية العربية السورية بين عامي ٢٠٠٠ و ٢٠٠٦ موزعة بالتساوي على الوزارتين، وليصبح بعد ذلك كله عضوًا عاملًا في مجمع اللغة العربية بدمشق، فنائبًا لرئيس المجمع، فعضوًا باتحاد مجامع اللغة العربية، فرئيسًا منتخبًا للمجلس العلمي لمكتب تنسيق التعريب في الرباط، فمكلفًا بأعمال المدير العام لهيئة الموسوعة العربية.

فإذا انتقلنا إلى خبراته وإسهاماته الأكاديمية في مجال التعليم العالي وجدناه أستاذًا في عدة جامعات عربية هي جامعة دمشق وجامعة وهران بالجزائر وجامعة الكويت، وفي جامعات أجنبية هي سيانا في إيطاليا وعدة جامعات صينية مشرفًا على عشرات الرسائل الجامعية للماجستير والدكتوراه في التربية بجامعة دمشق، ومناقشًا لعشرات الرسائل في جامعة السلطان قابوس بسلطنة عمان، وجامعة البحرين وتونس والجامعات السورية، وعضوًا بالهيئة الاستشارية لعدد من المجلات التربوية: مجلة البحوث التربوية في جامعة قطر، والبحوث التربوية في جامعة البحرين والبحوث التربوية في جامعة الكويت ومجلة اللسان العربي بالمغرب.

وكان من الطبيعي لمثل هذا الجهد العلمي الموفور، أن يواكبه عدد ضخم من

الكتب المؤلفة، التي تتناثر على صفحاتها قطوفٌ من فكره التربوي والثقافي، ولوامعُ من إسهاماته في تأصيل هذا الفكر وصبغه دومًا بالطابع العروبي، والاعتزاز بتراث هذه الأمة العربية في كل ما قدمته للإنسانية، ولغيرها من أصحاب الثقافات والحضارات، وتأكيد قدرتها الدائمة على الخلق والإبداع، وصياغة مشروعات النهضة والتقدم، والارتفاع إلى مستوى التحديات.

من هنا ، فقد أخذت مؤلفاته المطبوعة تصبّ في جوانب شتى تربوية وثقافية وأدبية ونفسية، وتثري كثيرًا من اهتمامات صاحبها في كل المواقع التي أتيح لها أن تظفر ببعض قدرته على العطاء، وجدّيته في تحمل المسؤولية، ووفرة مايتدفق به فكره من مقترحات وتوصيات وحلول، واقتحام لآفاق جديدة، في سياق مغامرته العلمية الطويلة وجهوده الطيبة المثمرة.

إنه العالم والباحث والمفكر الذي اتسع ويتسع اهتمامه بالآفاق المستقبلية للتربية العربية، وقضايا الثقافة، وتراثنا العربي ، ومشكلات النظام التربوي العربي، والأداء اللغوي، وطرائق تعليم اللغة للأطفال، واللغة العربية وتحديات العصر، وقضايا التعريب والخطة العامة لتعريب التعليم، والإسهامِ في الموسوعة العربية، والنهوض باللغة العربية والتمكين لها، والخطة العامة لتنسيق التعريب، والمعاصرة والتراث. وهي كلّها عناوين لبعض كتبه التي توقفت عندها، وقد قاربت الخمسين مؤلَّفًا، تضرب بسهام نافذة في مجالات واسعة، خلاصتها: الانتماء العربي والهوية العربية، وجدلُ الحاضر والمستقبل، واللغة العربية أداءً وتعليمًا وتعلُّمًا، وصولًا إلى تنسيق التعريب الذي هو موضوع مؤتمرنا لهذا العام.

أيها الأساتذة المجمعيون

أيها السادة الضيوف

إني لا أقدم لكم شخصية غريبة عليكم، فهو العضو المراسل لمجمعنا عن الشقيقة سورية منذ سنوات كثيرة، قبل أن يُتوّج اليوم عضوًا عاملًا، وقاعات هذا المجمع، وجلساته تمتلئ بفيض من مشاركاته ومداخلاته وتعقيباته العلمية واللغوية، وتضيء بكثير من ثمرات فكره وعميق خبراته وتجاربه، وتتسع دومًا لإشارات يده عندما يطلب الكلمة، فندرك أن ثمة جديدًا سيقال، وأن ضوءًا كاشفًا سيجلو بعض ما نحن فيه. ثم، هل أضيف إلى هذا كله، شيئًا عن إنسانيته الفياضة، ومودته وبشاشته، وجمال لغته وعذوبة أدائه، وامتلائه بهذا الحسّ العروبي المتوهج، وغيرته الدائمة على اللغة العربية وتراثنا العربي، مُنطلقًا وركيزةً للبناء والتقدم.

وائْذَنْ لي أيها العالم الجليل – في ختام هذه الكلمة- أن أقول لك وللجميع إن هذا المجمع يسعده أن يستقبلك اليوم، وأن يستقبل فيك سورية الحبيبة، بكل ماتمثله من زاد قومي وحضاري وثقافي وإبداعي يبقى في وجدان هذه الأمة وفي تاريخها، زخمًا متواصلًا، وتوجُّهًا عروبيًّا أصيلًا، وشقيقة لمصر في مواقف البطولة والكفاح والتصدي، والحفاظ على التراب العربي، صيانةً لهذه الأمة الواحدة ولهذا الوطن الواحد، في معركة البقاء والمصير.

وأهلًا بك بيننا أيها الأخ الكريم والصديق العزيز

كلمة الأستاذ الدكتور محمود أحمد السيد في مجمع اللغة العربية بالقاهرة
في حفل استقباله عضوًا عاملًا في المجمع
خلفًا للأستاذ الدكتور محمد إحسان النص رحمه الله

الأستاذ الدكتور حسن الشافعي رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة المحترم

السيد أمين مجمع اللغة العربية بالقاهرة الأستاذ فاروق شوشة الموقر

أيها السادة: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

لا بدَّ لي في البداية من أن أتوجه بالشكر الجزيل لمجمعكم الموقر مجمع اللغة العربية في القاهرة على انتخابي بالإجماع عضوًا عاملًا في المجمع الذي تعلقت به منذ أن كنت طالبًا أحضر لنيل درجة الدكتوراه في التربية في جامعة عين شمس وذلك في مطلع سبعينيات القرن الماضي، حيث كنت أتردد على المجمع للاطلاع على بعض الوثائق التي تساعدني في الإطار النظري لرسالة الدكتوراه وكان عنوانها «أسس اختيار موضوعات القواعد النحوية في منهج تعليم اللغة العربية في المرحلة الإعدادية» بإشراف الأستاذ المرحوم الدكتور محمود رشدي خاطر طيّب الله ثراه.

وكان الدكتور إبراهيم مدكور أمين المجمع آنذاك رحمه الله يستقبلني بابتسامته العذبة، ويوجه إلى تقديم كل ما كنت أحتاج إليه من كتب ووثائق

وقرارات مجمعية. ولكم كنت أستمتع وأنا أقرأ في مجلة المجمع وجهات النظر اللغوية لأعضاء المجمع في الجلسات التي كان يعقدها لمناقشة تلك القضايا اللغوية.

وشاءت الأقدار أن أعمل بعد حصولي على الدكتوراه مدرسًا في جامعة وهران بالجزائر وفي جامعتي الكويت ودمشق، وأن أمارس العمل الإداري من رئاسة قسم إلى وكيل كلية للشؤون العلمية إلى عميد لكلية التربية بجامعة دمشق، إلى خبير في المركز العربي لبحوث التعليم العالي التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بدمشق، إلى مدير لقطاع التربية في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بتونس، وإلى وزير للتربية والثقافة في سورية. هذا كله إلى جانب إنجازي بحوثًا علمية لمصلحة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الألكسو)، ولمصلحة مكتب اليونسكو الإقليمي للتربية في الدول العربية في عمان وبيروت، ومصلحة مكتب اليونسيف بدمشق، والمجلس العربي للطفولة والتنمية بالقاهرة، وإلى تقديم الخبرة لبعض وزارات التربية في الدول العربية (البحرين- الإمارات العربية المتحدة- اليمن).

وفي الندوات والملتقيات التي كانت تعقدها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم التقيت كلًّا من أستاذنا الفاضل الدكتور شوقي ضيف رحمه الله والأستاذ الدكتور كمال بشر مدّ الله في عمره، فاقترحا عليَّ أن أكون عضوًا في مجمعكم، ولَكَم لقي هذا المقترح صدى طيبًا في نفسي، وأخبرني الأستاذ الدكتور كمال بشر أن انتخابي عضوًا مراسلًا في المجمع هو بصورة مؤقتة، وقد جاء انتخابي عضوًا مراسلًا في القرار نفسه الذي تمّ فيه انتخاب أستاذنا الراحل الدكتور محمد إحسان النص

عضوًا مراسلًا أيضًا، إلا أنه رحمه الله أصبح عضوًا عاملًا بعد ثلاث سنوات في حين استمر انتخابي مؤقتًا عشرين عامًا، ويرجع السبب إلى أن ثمة حصة لسورية في المجلس، وكانت تلك الحصة قد استوفيت، ولا يمكن تجاوزها، ويبدو أن الأمور مرهونة بأوقاتها، فأكرر الشكر الجزيل على انتخابي عضوًا عاملًا بعد عقدين من ممارستي عضوية المراسلة.

وتجدر الإشارة إلى أنني كنت في زيارة أستاذنا الراحل الدكتور شوقي ضيف رئيس مجمع اللغة العربية الأسبق بعد تسميتي عضوًا مراسلًا في المجمع بالقاهرة، فأطلعني على مقالة نشرها في الصفحة الثقافية في جريدة الأهرام الأستاذ سامي خشبة، وفيها ينتقد مجمع اللغة العربية في القاهرة متهمًا إياه بالتقصير في تيسير اللغة العربية، واقترح عليّ أستاذنا الدكتور شوقي رحمه الله أن أردّ عليه، فكتبت ردًّا موضوعيًّا مبيّنًا الأعمال التي قام بها المجمع، وأرسلت المقال إلى السيد خشبة من تونس مكان عملي آنذاك عام ١٩٩٤ في المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، فما كان من السيد سامي خشبة إلا أن نشر المقال بحرفيته، شاكرًا جزيل الشكر لكاتبه الموضوعية في الرد والغنى في المعلومات التي تضمنها المقال، وعقّب على المقال بكل لطف وتهذيب يشكران له؛ وما كان ذلك ليحدث لولا الرأي السديد والتوجيه الحكيم لأستاذنا رئيس المجمع الأسبق الدكتور شوقي ضيف، إذ كان التشجيع والتعزيز المفعم باللطف من سماته وسجاياه رحمه الله الرحمة الواسعة وطيّب الله ثراه.

أما أستاذنا الراحل الدكتور محمد إحسان النص الذي انتقل إلى رحمة الله منذ عامين، وأحلّ محلّه في مجلسكم الموقر فهو أستاذي في كلية التربية بجامعة دمشق عام

١٩٦٣، حين كنت طالبًا في دبلوم التأهيل التربوي، وكان يشرف على مجموعتنا في التربية العملية، وكان الموضوع الأول في التعبير الذي درّسته في حياتي بإشرافه في ثانوية جول جمال بدمشق، ولقد سهرت طوال الليل وأنا أحضر ذلك الدرس، حفظًا للشواهد التي سأوظفها في مواضعها، ولكم كان رحمه الله باشًّا ومبتسمًا في أثناء إعطاء الدرس! وقد تبدّى استحسانه من عينيه أولًا في أثناء الدرس، ألم يقل شاعرنا العربي:

والعين تبدي الذي في نفس صاحبها من المحبة أو كره إذا كانا ؟

كما تبدّى من كلمات الثناء والإطراء التي أسبغها عليّ في أثناء مناقشة الدرس بعد إعطائه.

كان أستاذنا الراحل من مواليد دمشق عام ١٩٢١، حاز الشهادة الابتدائية عام ١٩٣٤، والتحق بالمدرسة الثانوية (مكتب عنبر أولًا، وجودت الهاشمي وابن خلدون ثانيًا)، ونال الشهادة الثانوية (شعبة الفلسفة) عام ١٩٤٠، وكان الأول على طلاب سورية. وبعد حيازته الشهادة الثانوية نجح في مسابقة أعلنتها الدولة، وكان الأول فيها فعيّن رئيسًا لديوان الترجمة لدى المستشار الفرنسي في وزارة الإعاشة إبّان الانتداب الفرنسي على سورية، ثم انتسب إلى كلية الحقوق في الجامعة السورية، ولم تكن الجامعة آنذاك تشتمل إلا على كليتي الحقوق والطب، ونجح في السنة الأولى من كلية الحقوق، إلا أن وزارة المعارف أعلنت مسابقةً لإيفاد طلاب للحصول على الإجازة الجامعية (الليسانس) بغية تعيينهم مدرسين في المدارس الثانوية، وتقدم إلى المسابقة في تخصص الأدب العربي، ونجح وكان الأول فيها

أيضًا، وأوفد إلى جامعة القاهرة، وكان من أساتذته كوكبة من الأساتذة المجلّين في الدراسات الأدبية، يذكر منهم الدكتور طه حسين، الأستاذ أمين الخولي، الأستاذ أحمد أمين، الدكتور عبد الوهاب عزام، والدكتورة سهير القلماوي، والدكتور شوقي ضيف، تغمدهم الله جميعًا بواسع رحمته. وحصل على الإجازة الجامعية بدرجة ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى.

وبعد عودته إلى سورية عمل مدرسًا في المدارس الثانوية (ثانوية المأمون بحلب، ثانوية جودة الهاشمي، ثانوية ابن خلدون) عشر سنوات، كما عمل على تأليف بعض الكتب المدرسية منفردًا أو بالاشتراك مع آخرين، وبلغ عدد الكتب المدرسية التي ألّفها اثني عشر كتابًا في الأدب والنحو والمطالعة والبلاغة والعروض. ولم يقتصر عمله على التأليف والتدريس، وإنما مارس نشاطًا في حقل العمل المهني، فكان أحد مؤسسي رابطة المدرسين، وأوجد لهم ناديًا يجتمعون فيه.

ونجحت مساعيه في الإيفاد مجددًا للحصول على شهادتي الماجستير والدكتوراه في الآداب عام ١٩٥٦، وكان إيفاده إلى مصر، فحصل على الماجستير عام ١٩٥٩ وكان عنوانها «الخطابة في العصر الأموي»، وعلى الدكتوراه عام ١٩٦٢ وكان موضوعها «العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي»، ونال في كلتيهما درجة الامتياز مع مرتبة الشرف الأولى بإشراف الأستاذ الدكتور شوقي ضيف رحمه الله.

وبعد عودته من الإيفاد عمل مديرًا لثانوية جول جمّال بدمشق، ومدرسًا في كلية الآداب بجامعة دمشق عام ١٩٦٣، وحصل بعدها على مرتبة أستاذ مساعد عام ١٩٦٦م. وبعد تعيينه أستاذًا مساعدًا أعير إلى كلية الآداب بجامعة الجزائر للإسهام في عملية

التعريب، وبقي ست سنوات في التدريس بالجامعة يحاضر، ويكتب مقالات في الصحف والمجلات الجزائرية، ويشرف على الرسائل الجامعية في الدراسات العليا.

وبعد عودته من الجزائر، عاد إلى ممارسة عمله في كلية الآداب بجامعة دمشق حيث حصل على مرتبة الأستاذية، وامتد عمله التدريسي في الجامعة حتى سنة ١٩٧٩، وكان قد عيّن عميدًا لكلية الآداب عام ١٩٧٨، واستمر في العمادة ما يزيد على عام، ثم قدّم استقالته وتعاقد مع جامعة الكويت حيث بقي فيها عشر سنوات، وعيّن رئيسًا لقسم اللغة العربية بجامعة الكويت عام ١٩٨٧، ثم تخلّى عن رئاسة القسم بعد عام، وفي أثناء عمله في جامعة الكويت تولّى رئاسة لجنة التعيينات والترقيات في كلية الآداب، وألّف عددًا من الكتب، ونشر عدة بحوث، وشارك في ندوات تلفزية وجامعية.

وفي عام ١٩٨٩ استقال من جامعة الكويت، ويذكر أنه كان سعيدًا في أثناء إقامته مدة عشر سنوات في الكويت، ولم ينغّص عليه حياته طوال تلك المدة إلا فقدان ولده إياد سنة ١٩٨٤ في حادثة مرورية.

ولقد انتخبه أعضاء مجمع اللغة العربية في دمشق عضوًا عاملًا في المجمع بتاريخ ١٥/ ٣/ ١٩٧٩، إلا أنه آثر إرجاء حفل استقباله إلى حين عودته من الكويت عام ١٩٨٩، حيث جرى حفل استقبال له في الرابع عشر من شهر حزيران (يونية) من العام نفسه، وعندها ألقى كلمة تحدَّث فيها عن زميله الراحل الأستاذ عارف النكدي رحمه الله.

وفي العام نفسه عمل في هيئة الموسوعة العربية رئيسًا لقسم الحضارة العربية إلى جانب عمله في المجمع، ثم استقال من عمله في الموسوعة عام ٢٠٠١، وقد

انتخبه المجمع عام ١٩٩٣ نائبًا لرئيس المجمع، واستمر في عمله حتى ٢٠٠٦ ليعود بعدها يمارس عمله في مجمعي اللغة العربية بدمشق والقاهرة.

أَلَّف الدكتور إحسان النص رحمه الله أحد عشر كتابًا إلى جانب رسالتيه في الماجستير والدكتوراه، ومن الكتب التي ألفها (حسان بن ثابت حياته وشعره، زهير بن أبي سلمى حياته وشعره، الشعر السياسي في عصر بني أمية، الشعر الغزلي في عصر بني أمية، قبيلة إياد منذ العصر الجاهلي حتى العصر الأموي، اختيارات من كتاب الأغاني في ستة أجزاء، قبائل العرب أنسابها وأعلامها في جزأين، كتب الأنساب العربية، العباس بن الأحنف حياته وشعره، تحقيق كتاب الأنساب، تحقيق ديوان ابن زيدون).

وألقى ما يزيد على عشرين محاضرة وكلمة في استقبال أعضاء جدد في مجمع دمشق، وفي تأبين بعض أعضائه الراحلين. ومن المحاضرات التي ألقاها: «حديث الدارين (الظاهرية والعادلية)، الحقيقة الضائعة، التخطيط الثقافي في الوطن العربي، الوحدة في مفهوم الفن، المرأة في الأمثال العربية، معلم اللغة العربية، السخرية من الذات في أدبنا العربي القديم، أغاليط في تاريخنا الأدبي».. أما كلماته في حفل الاستقبال فكانت كلمته في حفل استقباله عام ١٩٨٩، وكلماته في حفل استقبال كل من الدكتور مسعود بوبو، الدكتور عبد الوهاب حومد، الدكتور محمود السيد، الدكتور محمد الدالي، الدكتور ممدوح خسارة. وكانت كلماته في تأبين كل من الدكتور مسعود بوبو، الدكتور عبد الوهاب حومد، الأستاذ أحمد راتب النفاخ، الدكتور هشام القاسم.

نشر الدكتور النص في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق في حدود ثلاثين بحثًا منها أحد عشر بحثًا بعنوان «كتب الأنساب العربية» وقد جمعها ونشرها في كتاب مستقل بعد نشرها في مجلة المجمع. ومن البحوث المنشورة أيضًا (قطوف من دوحة العربية، الحسن بن أحمد الهمداني في كتابه الإكليل في ثلاثة بحوث، لغويات، أحمد رضا العاملي، مصنفات اللغويين العرب في خلق الإنسان، نظرات لغوية، الشاعر الجاهلي في مواجهة الموت، لغويات: أمر هام ومهم، ومَهمة ومُهمة، تيسير تعليم النحو).

ونشر في الموسوعة العربية خمسة وعشرين بحثًا، منها (الأدب العربي في عصر صدر الإسلام والدولة الأموية، الأحوص، مقدمة في الأدب العربي، إرم ذات العماد، أيام العرب في العصر الجاهلي، بشر بن أبي خازم، قبيلة بكر بن وائل، قبيلة تغلب، قبيلة تميم، قبيلة ثقيف، قبيلة ثمود، ثورات البربر، الجاحظ، جرير، جميل بثينة، قبيلة جرهم، قبيلة قحطان، قبيلة قريش، قبيلة كنانة، قبيلة قيس بن عيلان، عمرو بن باتة، ابن أيبك الصفدي).

كما نشر في مجلة الأسبوع الأدبي أحد عشر بحثًا، منها (المجتمع العربي قبل الإسلام، العصبية القبلية، مظاهر العصبية القبلية وآثارها، صلة القبيلة بالقبائل الأخرى، شريعة الثأر، الأحلاف القبلية، الصعلكة في المجتمع الجاهلي، الأشهر الحرم والأسواق، القيم الاجتماعية في المجتمع الجاهلي، الوأد، المرأة في المجتمع الجاهلي).

ومن البحوث المنشورة في موسوعة أعلام العرب والإسلام (الشيخ عبد الرزاق البيطار، محمد كرد علي، ابن قتيبة، أبو الفرج الأصفهاني، الزبير بن بكار، حمّاد الراوية، أحمد بن عبد الوهاب النويري، ابن عبد ربه، ابن حجة الحموي، حمزة الأصفهاني، الجاحظ، محمد بن موسى الدميري).

ومن البحوث التي ألقاها في مؤتمرات مجمع اللغة العربية في القاهرة: نظرات في كتاب «ردّ العامي إلى الفصيح»، نظرات في كتاب «لغة الجرائد» للشيخ إبراهيم اليازجي، «من وسائل التنمية اللغوية، المعاجم المتخصصة معاجم المستقبل، أزمة المثقف العربي في عصر العولمة، أثر الشعراء والنقاد الغربيين في شعرائنا ونقادنا في تحليل النص الأدبي، أغاليط في تاريخنا الأدبي».

وثمة بحوث أخرى نشرت في مجلة المعرفة السورية منها (المنزع العقلاني في الأدب العربي، موقف الشاعر الجاهلي من المرأة، العقد النفسية في تاريخنا الأدبي)، وفي مجلة المعلم العربي منها (ساطع الحصري وأصول التدريس) وفي مجلة العربي الكويتية منها (حول سجايا العرب) وفي مجلة دراسات تاريخية منها (سياسة الدولة الأموية إزاء قبائل الجزيرة وأثرها)، وفي مجلة كلية الآداب الكويتية منها (مواقف لأبي حيان التوحيدي ونظراته اللغوية الاجتماعية) وفي مجلة معهد الدراسات العليا بالجزائر منها (مع صالح الخرفي في أطلس المعجزات)، وفي الكتاب التذكاري الذي نشره قسم اللغة العربية بجامعة الكويت عام ١٩٨٥ حيث نشر بحثًا عنوانه (الوتر الحزين في شعر نازك الملائكة).

ونشر في جريدة تشرين السورية ما يزيد على أربعين مقالة تناولت قضايا لغوية وثقافية ودفاعًا عن اللغة العربية، كما تناولت كلمات في وداع بعض رفقائه الراحلين، وثمة عدة مقالات تحت عنوان محنة، منها: محنة العربية، محنة العربية (طغيان العامية)، محنة العربية (لغتنا وتدريس العلوم)، محنة النقد العربي المعاصر، محنة الفضائيات العربية، محنة فساد الذوق السليم، محنة التقدم العلمي، محنة الشعر، فوضى المصطلحات، يزعمون

أنهم شعراء، الفن الزائف، انتشر الداء واستفحل الوباء، لسنا وحدنا، كنوزنا المسلوبة، عالم اللا معقول، عقدة الذنب، الإنسان ذلك الوحش، حس المواطنة...إلخ.

وهكذا تتبدى لنا حياته أيها السادة زاخرة بالنشاط العلمي والأكاديمي، إذ تجلّى ذلك النشاط في التدريس والتأليف والبحث ونشر المقالات إلى جانب البحوث، ولا يمكننا أن ننسى نشاطه في لجان مجمع اللغة العربية بدمشق حيث كان عضوًا فعّالًا في لجنة النشاط الثقافي ولجنة اللغة العربية وأصول النحو، ولجنة المعجمات اللغوية، ولجنة المجلة والمطبوعات، ولجنة منح الجوائز، ولجنة متابعة تنفيذ توصيات مؤتمرات المجمع.

ولقد كان لي شرف مزاملته في أغلب هذه اللجان، فكان رحمه الله يتسم بالحيوية والنشاط وتقديم الآراء والمقترحات والمبادرات الإيجابية، وكان لي شرف مزاملته أيضًا في عدد من الندوات الإذاعية والتلفزية في سورية وفي حضور عدد من مؤتمرات مجمع اللغة العربية في القاهرة، فكان نعم الزميل والأستاذ لطفًا وتهذيبًا جمًّا ومعاملة حضارية.

ولم أشأ أن أتحدث عن عمله في مجمعكم الموقر منذ أن انتسب إليه، ذلك أنكم أيها السادة الأعضاء تعرفون من أمره في ذلك فوق ما أعرف، لقد زاملتموه وزاملكم، ولازمتموه ولازمكم، وأحببتموه وأحبكم. وما عرف الذين خالطوه والذين عملوا معه أنه تعمد النيل من إنسان أو الإساءة إليه، وكان أقرب إلى الصمت فإذا تحدث لم يقل إلا خيرًا، فكان مثال الشخصية الحكيمة والمتزنة، وإن حكمته هي التي جعلت نبله تواضعًا، وصيرت تعففه وترفعه إباءً، ومنحت اتزانه وأناته هذا التقدير وذلك الحب.

رحمك الله أستاذنا الجليل الرحمة الواسعة سعة ما قدمته لأمتك من أفانين العطاء وللغتك الخالدة من ضروب الاعتزاز بها والدفاع عنها، وحمايتها، والعمل على نشرها.

وأخيرًا أكرر الشكر لكم أيها السادة ولمجلس مجمعكم الموقر مجمع اللغة العربية في القاهرة على الثقة الغالية التي منحتموني إياها والتي أعتز بها، فلقد طوقتم عنقي بما أحللتموني منكم هذا المحل الكريم الذي أقصر عنه، ولكني آمل أن أكون كفاءً له، وأن أكون قادرًا على النهوض بهذه الأمانة وهذه المسؤولية تجاه حبيبتنا العربية الفصيحة، وعلى السير بها إلى أبعد مداها. والله من وراء القصد.

أيها الحفل الكريم

آتي إلى المؤتمر وفي القلب غصة، وشتان بين الماضي والحاضر، ولتغفروا لي صراحتي: لقد عشت أيها الإخوة الربيعَ العربي عام ١٩٥٨ حين كنت مواطنًا في الجمهورية العربية المتحدة إبان الوحدة بين سورية ومصر في دولة واحدة وفي جو من السلام والأمان، حين كان السوري يأتي إلى القاهرة بالهوية الشخصية، وكذلك هي حال المصري عندما يأتي إلى دمشق بالهوية الشخصية. ولكنني في وضعي الحالي وبعد مضي ما يزيد على نصف قرن أنتظر أسبوعًا للحصول على منحي تأشيرة دخول إلى القاهرة تزين جواز سفري بدلًا من الدخول بالهوية الشخصية كما كان عليه الحال سابقًا.

وأتساءَل: هل أنا في ربيع عربي عندما تعيش أمتي التشرذم وتعميق القطرية والإقليمية والانقسام بدلًا من الأمان والسلام والوحدة والوئام؟ مَن المستفيد من

هذه التجزئة والتباعدات وتعميق الهوة والانقسامات إلا أعداء الأمة؟ وها هي ذي إسرائيل هي التي تعيش ربيعها عندما ترى العرب في شتائهم القارس يتقاتلون ويتباعدون ويتفرقون، ويعانون الخلافات والإرهاب والعذابات والكيد والخصومات والتفنن في العداوات، وتبديد الثروات في غير مصلحة الأمة التي فقدت البوصلة حتى باتت لا تفرّق بين العدو والصديق والسمّ والرحيق.

ورحم الله أمير الشعراء أحمد شوقي عندما صرخ قائلًا:

إلامَ الخلف بينكُمُ إلامَ وهذي الفتنة الكبرى علامَ؟
وفيمَ يكيدُ بعضكُمُ لبعضٍ وتُبدون العداوة والخصاما؟

ومعذرة من الشاعر إذا استبدلتُ «الفتنة» بـ «الضجة».

ربيعنا العربي أيها الإخوة في وحدة أمتنا والتئام شملنا على التفاهم والمحبة، وسيادة لغتنا على أرضها، لغتنا الأم، لغة الضاد لغة القرآن الكريم، وألّا تكون ثمة ضرة غريبة تنافسها على أرضها:

للضاد ترجع أنسابٌ مفرّقة فالضادُ أفضلُ أم برّةٍ وأبِ
تفنى العصور وتبقى الضاد خالدة شجًا بحلق غريب الدار مغتصب

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

من قرارات مجلس المجمع في الألفاظ والأساليب(*)

في عام ٢٠١١

(*) هذه قرارات مجلس مجمع اللغة العربية بدمشق، وهي قابلة للتعديل في مؤتمر المجمع.

(يرجى مِمَّن له ملاحظات عليها أن يتفضل بإرسالها إلى المجلة).

(١)
أزَّمَ وتأزيم

١- المسألة:

يشيع في الاستعمال المعاصر الفعل (أزَّمَ) ومصدره (تأزيم)، بمعنى إحداث أزمة وشدة في أمر. ولم يرد هذا البناء للفعل (أزَّم) ولا دلالته المحدثة في المعاجم.

٢- الاقتراح:

جواز استعمال (أزَّم وتأزيم) بمعنى إحداث أزمة، وهي الشدة والضيق، وإضافة هذه الدلالة إلى المعجم.

٣- التعليل:

أ- في المعاجم:

لسان العرب: "الأَزْم: القطْع بالناب والسكين. الأزْمة: الشدة والقحط. والأزمة: السَّنة المجدِبة. والمتأزِّم: المتألم لأَزمة الزمان.. وأزَمَ أَزْماً: تَقَبَّض، والمأزِم: المَضيق".

الوسيط: "الأَزْمة والأَزَمة: الضيق والشدة، يقال: أزمة مالية.. وتأزَّمَ: أصابته أزْمة".

ويفهم من هذا أن الأَزْم والأَزْمة هي الاشتداد والضيق، وأن الفعل (أزَّم) على بناء (فعَّل) لم يرد، ولكن ورد (تأزَّمَ) بمعنى تألَّم لضيق الزمان وأصابته أزمة.

ب- في الصرف:

ما دام قد ورد الفعل (تأزَّم) بمعنى أصابته أزمة، وهو على بناء (تفَعَّل) الذي من معانيه المُطاوعة، فيمكن العودة إلى فعله المتعدي (أزَّم) الذي يفيد المعالجة.

ج- في الدلالة:

إذا صح اشتقاق (أزَّم)، وهو اشتقاق قياسي جاز أن يكون معناه أصابه بأزْمة أي أوقعَه بأزمة وضائقة، وهذا هو المعنى المقصود لدى المحدثين.

على أنه يمكن اشتقاق الفعل (أزَّم) من الأزمة، بمعنى شدَّد وضيق، لأن الأزمة هي الشدة والضيق، كما اشتقت العرب الفعل (تَوجَّب) من كلمة (وَجْبة)، بمعنى أكلَ وجبة واحدة في اليوم.

د- في الاستئناس:

أجازها مجمع القاهرة في كتاب الألفاظ والأساليب ٤/ ٤٤٤.

٤- قرار اللجنة:

جواز استعمال (أزَّم وتأزيم) بمعنى إحداث أزمة، وهي الشدة والضيق، وإضافة هذه الدلالة إلى المعجم.

(٢)

الأولويَّة

١- المسألة:

يشيع في الاستعمال المعاصر كلمة (الأَولويَّة) بمعنى الأَسبقيَّة والأحقِّيَّة في ترتيب الأمور المطلوب إنجازها، ولم ترد على هذا البناء وهذه الدلالة في المعاجم العربية.

٢- الاقتراح:

جواز قولهم: (الأَوْلَوِيَّة) من (الأَوْلى) بمعنى الأَسبقيَّة والأحقِّيَّة، وإضافتها إلى المعجم العربي، وأما (الأوَّليَّة) فهي من (الأوَّل).

٣- التعليل:

في المعاجم:

لسان العرب: "الأوَّل: المتقدِّم وهو نقيض الآخِر، والأنثى الأُولى.. وتقول: هذا أَوَّلُ بيِّنُ الأَوَليَّة..". "وفلانٌ أَولى بهذا الأمر: أحقُّ به، وهما الأَوْلَيان: الأحقَّان.. وفلانٌ أَولى بكذا أحرى به وأَجدر، وتقول في المرأة: هي الوُلْيا، وهنَّ الوُلْيَيات".

الوسيط: "الأَوْلى اسم تفضيل بمعنى الأحقّ والأَجدر والأقرب".

ب- في الصرف:

الكلمة مصدر صناعي من اسم التفضيل (أَوْلى) على وزن (أَفْعَليَّة)، والمصدر الصناعي يمكن أن يصاغ من الأسماء الجامدة والمشتقة، فقولنا (الأَوْلَوِيَّة) يعني حالة ما هو أحقُّ وأجدر من غيره.

ج- في الاستئناس:

أجازها مجمع القاهرة في الألفاظ والأساليب ٤/ ٥٥٧.

٤- قرار اللجنة:

جواز قولهم: (الأَوْلَوِيَّة) من (الأَوْلى) بمعنى الأَسبقيَّة والأحقِّيَّة، وإضافتها إلى المعجم العربي، وأما (الأَوَّليَّة) فهي من (الأَوَّل).

(٣)

البُؤَساء

١- المسألة:

يشيع في الاستعمال قولهم: (البُؤَساء) جمعاً لكلمة (بائس)، ويخطِّئها بعضهم لأن قياس جمع (بائس) عندهم (بائسون) لأنها صفة لمذكر عاقل.

٢- الاقتراح:

صحة قولهم: "بُؤَساء" جمعاً قياسياً لـ (بائس) بمعنى مفتقر وشديد الحاجة.

٣- التعليل:

أ- في المعاجم:

في لسان العرب: "البأس: العذاب، والشدة في الحرب، ورجلٌ بَئِسٌ: شجاع، بَئِسَ بَأْساً وبَؤُسَ بَآسةً. والبُؤْس: الشدة والفقر. وبَئِسَ الرجل يَبْأَسُ بُؤْساً وبَأْساً وبَئِيساً إذا افتقر واشتدت حاجته".

في الوسيط: "بَئِسَ يَبْأَسُ بَأْساً وبُؤْساً وبَئِيساً: افتقر واشتدت حاجته فهو (بائس)".

يتضح من هذا أن (بائس) اسم فاعل من الفعل بَئِسَ يَبْأَسُ أي البائس هو المفتقر المحتاج.

ب- في الصرف:

واضح أن (بُؤَساء) هي جمع تكسير على وزن (فُعَلاء) كنُبَهاء وكُرَماء، وهذا الجمع قياسي لبناءين:

الأول: صفة لمذكر عاقل على وزن (فَعِيل) بمعنى (فاعل) صحيحة اللام غير مضاعفة دالة على سجيَّة مدحٍ أو ذمٍّ كنَبيه ونُبَهاء، وكريم وكُرَماء، وشَجيع وشُجَعاء، وجَبين (جبان) وجُبَناء.

والثاني: صفة لمذكر عاقل على وزن (فاعل) دالة على سجيَّة مدحٍ أو ذمٍّ كعالم وعُلماء، وجاهل وجُهلاء. وشذَّ جمع جبان على جُبَناء (لأنه جمع جَبين وهو الجبان).

وهذا الصنف الثاني منطبق تماماً على كلمة (بائس) التي هي صفة لمذكر عاقل على وزن (فاعل).

أما البؤساء جمعاً لـ (بَئيس) بمعنى الشجاع فليست موضع جدال.

٤- قرار اللجنة:

صحة قولهم: "البُؤَسَاء" جمعاً لـ (بائس) بمعنى فقير ومحتاج.

(٤)
بتَّ الأمرَ وبتَّ في الأمر

١- المسألة:

يخطِّئ بعضهم عبارة: "بتَّ في الأمر" بمعنى أعطى حكماً قاطعاً فيه، أو قطع فيه برأي، والصواب عندهم: "بتَّ الأمرَ" بمعنى قطَعَهُ متعدياً بنفسه.

٢- الاقتراح:

جواز قولهم: "بتَّ في الأمر" بمعنى أعطى فيه حكماً قاطعاً بتعدية الفعل (بتَّ) بالحرف (في).

٣- التعليل:

أ- في المعاجم:

اللسان: "البت: القطع المستأصل.. وبتَّ الحاكم القضاء على فلان إذا قطعه وفصلَه.. وسكران ما يبُتُّ أي ما يقطع أمراً".

الوسيط: "بتَّ الشيءُ بُتوتاً: انقطع. وبتَّ الشيءَ يبتُّه بَتّاً وبَتَّةً وبَتاتاً: قطعَه قطْعاً مستأصلاً. وبتَّ الحكم: أصدرَه، وبتَّ الأمر: نواه وجزمَ به.. وبتَّ اليمين: جزمَ بها وأمضاها".

وجاء في الوسيط في مادة (قطع): "قطع برأيه: بتَّ فيه".

ويعلم من هذا أن (بتَّ) يجيء لازماً ومتعدياً بنفسه كثيراً، ولكنه جاء متعدياً بـ (في) في عبارة المعجم الوسيط، ومع أن واضعي المعجم الوسيط استعملوه ولكنهم لم يوردوه في مادة (بتَّ).

ب- في الدلالة:

إذا كانت (بتَّ) بمعنى (قطعَ)، فإن هذا الأخير قد يُعدَّى بـ (في)، على مثال قول ابن جني في الخصائص ١/ ٥٣: "لا يُقطَع فيها بيقين" أي لا يقطعون الأمر أو الخلاف في ذلك بيقين.

جاء في المحلَّى لابن حزم الأندلسي ٩/ ١٢٢: "فهؤلاء عمر وعثمان وزيد بن ثابت لا يقطعون فيه بشيء".

وجاء في فتاوى السبكي- كتاب الصيام ١/ ٤١٧: "ومنها ما لا يقطعون فيه بعدم الإمكان".

وعلى ما سبق يمكن قبول (بتَّ في الأمر) على تضمين (بتَّ) معنى (قطعَ)، ومن شروط التضمين التقارب في المعنى.

ج- في الاستئناس:

أقرته المعاجم الحديثة مثل معجم اللغة العربية المعاصرة فقال: "بتَّ في الأمر أنهاه ووصل فيه إلى قرار.. وقضية مبتوت فيها". وأشارت بعض كتب التصحيح اللغوي إلى أنها صحيحة. وخرَّجها دوزي على تقدير (بتَّ رأيه في الأمر) أي بحذف المفعول به.

٤- قرار اللجنة:

جواز قولهم: "بتَّ في الأمر" بمعنى أعطى فيه حكماً قاطعاً بتعدية الفعل (بتَّ) بالحرف (في).

(٥)

بَحْت وبَحْتة

١- المسألة:

يخطِّئ بعضهم تأنيث كلمة (بحت) كأن يقال: "تلك موسوعة لغوية بحتة" لأن هذه الكلمة مصدر، وهو مما يستوي فيه المذكر والمؤنث عند الوصف به لدى بعضهم.

٢- **الاقتراح:** صحة قولهم: "بحت وبحتة" صفة بمعنى صرف وخالص مما يخالطه.

٣- التعليل:

أ- في المعاجم:

اللسان: "البحت الخالص من كل شيء، يقال: عربي بحت وعربية بحتة.. الجوهري: عربي بحت أي محض، وكذلك المؤنث والاثنان والجمع، وإن شئت قلت: امرأة عربية بحتة، وثنَّيت وجمعت، وقال: وبعضهم لا يثني ولا يجمع ولا يحقِّر".

الوسيط: "البحت: الصرف الخالص لا يخالطه غيره. وعربي بحت: خالص بحت شديد يستوي فيه المذكر والمؤنث والمثنى والجمع، وقد يؤنَّث ويجمع، فيقال: عربية بحتة وأعراب بُحوت".

وواضح مما سبق أن تأنيث كلمة (بحت) جائز وكذا تثنيتها وجمعها، فلا حرج في استعمالها مؤنثة.

٤- **قرار اللجنة:**

صحة قولهم: "بحت وبحتة" صفة بمعنى صرف وخالص مما يخالطه.

(٦)
بَخَّ وبَخَّاخ وبَخَّاخة

١- المسألة:

يشيع في الاستعمال المعاصر الفعل (بخَّ) بمعنى أرذَّ السائل ورشَّه، والاسم (بخَّاخ) لمن يقوم بالفعل، و(بخَّاخة) للآلة التي يُرشُّ بها كقولهم: "بخَّ عليه الماء"، "بخَّ الحشرات بالمُبيد"، "بخَّ الثعبان سمَّه" ويخطِّئها بعضهم لأنها لم ترد في المعاجم القديمة.

٢- الاقتراح:

جواز قولهم: "بخَّ" بمعنى أرذّ ورشَّ، وكذا سائر مشتقات الفعل، وإضافتها إلى المعجم.

٣- التعليل:

أ- في المعاجم القديمة:

ليس في المعاجم القديمة كلمة بهذه الدلالة، وورد فيها لفظ (بَخٍ بَخٍ) بمعنى الاستحسان، و(بَخْبَخَ) بمعنى قال له بَخٍ بَخٍ.

ب- المعاجم الحديثة:

جاء في المعجم العربي الأساسي الصادر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم بجامعة الدول العربية: "بخَّ السائل: رشَّه. وبخَّاخ وبخَّاخة (والجمع بَخَّاخات) آلة الرش".

وذكره دوزي في تكملة المعاجم العربية ١/ ٢٤٧ نقلاً عن غيره من معاجم بعض المستشرقين.

ج- كتب التراث:

ذكر أحمد تيمور في المعجم الكبير للعامية المصرية أن (بخَّ) ورد بمعنى رش الماء في كتاب (مطالع البدور) لأديب من القرن التاسع الهجري ج٢ ص١٠، وفي كتاب (روض الآداب) للحجازي ص ٢٩ في بيت لجمال الدين الصوفي يقول فيه:

أتانا بما وَرْدٍ ذكيٍّ فبخَّه بثغرٍ له كالمسك بل هو أَعْطَرُ

وذكر الدكتور محمد حسن عبد العزيز في بحث له في كتاب (الألفاظ والأساليب) لمجمع القاهرة أن الكلمة وردت في معجم العربية المعاصرة لهانزفير، وذكر أيضاً بخَّاخة ومِبخَّة.

د- في الاستئناس:

أقرها مجمع اللغة العربية بالقاهرة في كتاب الألفاظ والأساليب ٤/ ٢٢٢.

ملاحظة:

الكلمة آرامية الأصل فعلها (إبَّخ) ومصدره (بْخوخا) بمعنى بخَّ، بحسب قول مدير مدرسة اللغة الآرامية بمعلولا الأستاذ جورج رزق الله.

٤- قرار اللجنة:

جواز قولهم: "بخَّ" بمعنى أردّ ورشَّ، وكذا سائر مشتقات الفعل، وإضافتها إلى المعجم.

(٧)

البِداية

١ – المسألة:

يشيع كثيراً في الاستعمال اللغوي المعاصر كلمة (البِداية) بمعنى (البَدء)، ولم تذكر المعاجم هذه الكلمة بهذا البناء.

٢– الاقتراح:

جواز قولهم: "البِداية" بمعنى البدء، وإضافتها إلى المعجم.

٣– التعليل:

أ– في المعاجم:

لسان العرب: "البدء: فعل الشيء أولُ، بَدأَ به وبَدأَه يبدؤه بَدْءاً وأَبدأَه وابْتَدأَه. يقال: لك البدءُ والبَدْأة والبَدِيئة والبَداءة والبُداءة والبَداهة على البدل، أي لك أن تبدأ مثل غيرك في الرمي وغيره. وحكى اللحياني: كان ذلك في بَدْأتنا وبِدأتنا بالقصر والمد.. وقولهم: أفعله بادئ بَدْء وباديَ بديءٍ أي أول شيء".

ويلحظ أن اللسان ذكر ستة مصادر للفعل (بدأ)، وليس بينها (البداية).

الوسيط: "بدأَ بَدْءاً وبَدأةً: حدث ونشأ. البَدْء: أول كل شيء، يقال: نقلْتُه بدْءاً وبَدْءَ بَدْءٍ وأول بدء. البُداءة: البَدْء".

وهكذا فالمعاجم القديمة والحديثة لم تذكر هذه الكلمة بين المصادر الكثيرة التي ذكرتها للفعل (بدأ).

ب- في كتب التراث العربي:

ولكن تكررت كلمة (البداية) آلاف المرات في كتب التراث العربي، ولعل أهمها كتاب (البداية والنهاية) لابن كثير الدمشقي المتوفى (٧٧٤هـ)، وتكررت لدى معظم من جاء بعده من المؤرخين.

وممن تكررت عنده مرات: السبكي في الأشباه والنظائر ١/ ١٣١، والنووي في المجموع ٢/ ٤٠٥، وابن قدامة في الشرح الكبير ٧/ ٥٦٥، ولسان الدين الخطيب في (الإحاطة في أخبار غرناطة) ١/ ٣٥٧، وابن خلدون في تاريخه ٦/ ٣٤.

أمّا في كتابة المحدثين فلا يكاد كتاب يخلو منها.

ج- في الصرف:

يمكن حمل هذه الكلمة على المزاوجة بكلمة (النهاية)، وكثيراً ما تلجأ العربية إلى هذا، ولاسيما في الحقل الدلالي الواحد كقولهم: "الغدايا والعشايا" وهي الغَدَوات.

كما يمكن عدُّ الكلمةِ مصدرَ مرة للفعل المزيد (بادأ)، إذ المصدر القياسي (بِداء ومبادأة) على مثال جاهرَ جِهاراً ومجاهرةً، فمصدر المرة منه (بِداءة)، وقلب الهمزة في العربية ياءً مسموع في نحو: عباءة وعباية، وساءه سواءً وسَواية ومساءة ومَساية، كما في اللسان.

كما يمكن عدُّها مما زيدت التاء عليه كما في كثير من المصادر نحو: ناب الأمر نَوباً ونَوبةً، ونَظرَهُ ينظرُه نظَراً ومنظراً ومنظرةً.

د- في الاستئناس:

أوردها معجم اللغة العربية المعاصرة بمعنى البَدْء.

٤- قرار اللجنة:

جواز قولهم: "البداية" بمعنى البدء، وإضافتها إلى المعجم.

(٨)

بَرَّرَ وتَبْرير

١- المسألة:

يشيع في الاستعمال المعاصر الفعل (برَّرَ) بمعنى (سَوَّغَ) و(علَّل)، وكذا مشتقاته من نحو تبرير ومُبرَّر. ويخطِّئها بعضهم لأن هذا الفعل ليس له هذه الدلالة في المعاجم القديمة.

٢- الاقتراح:

جواز قولهم :"برَّرَ" بمعنى (سَوَّغَ) و(علَّل)، وإضافة هذه الدلالة إلى مادة (برر) في المعجم.

٣- التعليل:

أ- جاء في المعاجم:

اللسان: "أبرَّ الله حجَّك لغة في (برَّ الله حجَّك) أي قَبِله.. والمَبرور: المقبول المقابَل بالبر وهو الثواب، يقال: برَّ الله حجَّه وأبرَّه برّاً وإبراراً "

المصباح المنير: "برَّ الله الحجَّ: قَبِله".

المعجم الكبير: "برَّر عمله: ذكر من الأسباب ما يسوِّغه. (محدثة). وبَرَّ الحجُّ: قُبِل" ومثله في المعجم الوسيط.

ب- في الصرف والدلالة:

إذا كان الفعل الثلاثي (برَّ) بمعنى (قَبِل)، فإن مزيده (برَّرَ) على زنة (فعَّلَ) الذي من معانيه جعل الشيء على صفة أو حالة نحو: أمَّرَه إذا جعله أميراً، وعلى هذا يصبح معنى (برَّر غيابه) هو جعله مقبولاً بما قدَّم من الأسباب، ومثله في ذلك مثل مرادفه (سوَّغ) الذي معناه جعلَ الشيء سائغاً أي سهلاً، وجعله جائزاً.

ج- في الاستئناس:

أجازه مجمع القاهرة في كتاب (في أصول اللغة) ١/ ٢٤٤.

٤- قرار اللجنة:

جواز قولهم: "برَّرَ" بمعنى (سَوَّغَ) و(علَّل)، وإضافة هذه الدلالة إلى مادة (برر) في المعجم.

(٩)

ابتزَّ وابتزاز

١ – المسألة:

يشيع في الاستعمال اللغوي المعاصر فعل (ابتزَّ) بمعنى أخذَ مالاً أو موافقةً من أحدهم بوساطة التخويف أو التهديد، ومصدره (ابتزاز). ولم ترد هذه الدلالة للفعل ومصدره في المعاجم القديمة والحديثة.

٢ – الاقتراح:

جواز قولهم: "ابتزَّ" بمعنى أخذَ مالاً من أحدهم أو استغلَّه دون رضاه وبوساطة التخويف أو التهديد، أو قد يتمُّ بالترغيب، وإضافة هذه الدلالة إلى المعجم.

٣ – التعليل:

أ – في المعاجم:

جاء في لسان العرب: "البَزُّ: السَّلب، وابتززتُ الشيءَ: استَلَبْتُه. وبزَّهُ يبُزُّه: غلبَه وغصبَه. وبزَّ الشيءَ: انتزعه، وابتزَّ ثيابه: سلبَه إياها.. والبُزابز: الشديد من الرجال إذا لم يكن شجاعاً".

الوسيط: "بزَّ قرينَه بزّاً وبَزَّةً وبِزِّيزى: غلبَه، وبزَّهُ: سلبَهُ. وابتزَّ قرينَه: بَزَّه" [أي سلبَه]. ويُعلم من هذا أن البناء وارد في العربية فلا خلاف فيه.

ب – في الدلالة:

يفهم مما ورد في المعاجم أن الدلالة المعاصرة للكلمة قريبة من الدلالة المعجمية القديمة، فالدلالتان القديمة والمعاصرة تتضمنان معنى السلب، وهو

الانتزاع والأخذ غصباً. وتزيد الدلالة المعاصرة أن هذا الانتزاع والغصب يتم بطريقة غير مباشرة وهي التهديد والتخويف بإفشاء سر أو نشر فضيحة مخفية، بل الترغيب أحياناً بتقديم منفعة أو مكسب، ولكن ليس ذلك اعتماداً على شجاعة المبتز أو قوَّته، بل على مكره واستغلاله، ولعل هذا ما توحي به كلمة (البُزابز)، وهو الشديد من الرجال إذا لم يكن شجاعاً، فالسلب والغصْب عند البُزابز ليس وراءه شجاعة، بل وراءه مكرٌ ومكيدة خبيثان، فدلالة الكلمة المعاصرة تطوير محدود في الدلالة القديمة.

ج- في الاستئناس:

ورد في صبح الأعشى (٩/ ٩): "وأن يؤيدها [أي الوزارة] فيه بما يقضي له بالإحراز والتخويل ويحميه من الابتزاز والتحويل"، ويحتمل في هذا النص أن يكون معنى الكلمة موافقاً أو قريباً مما نحن فيه.

وورد في معجم لغة الفقهاء لمحمد قلعجي: "ابتزاز المال: استجراره بغير حق وبغير رضى صاحبه" (٦/ ٣٨).

ترجمت بعض المعاجم الثنائية اللغة كلمة (chantage) الفرنسية بكلمتي (ابتزاز بالتهديد، وتخويف بالتشهير).

الكلمة مصطلح قانوني معتمد وشائع.

٤- قرار اللجنة:

جواز قولهم: "ابتزَّ" بمعنى أخذَ مالاً من أحدهم أو استغلَّه دون رضاه وبوساطة التخويف أو التهديد أو الترغيب، وإضافة هذه الدلالة إلى المعجم.

(١٠)

البسيط

١- المسألة:

يخطِّئ بعضهم استعمال كلمة (البسيط) بمعنى الهيِّن الذي لا صعوبة فيه، لأن الأصل أن البسيط هو الواسع.

٢- الاقتراح:

جواز استعمال (البسيط) بمعنى الهيِّن السهل الذي لا صعوبة فيه.

٣- التعليل:

جاء في اللسان: "بَسَطَ الشيء: نشره، والبسيط من الأرض كالبساط من الثياب، وأرضٌ بَساطٌ وبسيطة: منبسطة مستوية، وهي أيضاً العريضة الواسعة". وقال الراغب في المفردات ١٢٣: "واستعار قوم البسيط لكل شيء لا يُتصور فيه تركيب وتأليف ونظْم". ومن هنا أطلق لفظ (البسيط) لدى الناس على السهل الميسور الذي ليس فيه تركيب وتعقيد.

٤- قرار اللجنة:

جواز استعمال "البسيط" بمعنى الهيِّن السهل الذي لا صعوبة فيه.

(١١)

بَسطَهُ ومبسوط

١- المسألة:

يشيع في الاستعمال العام كلمتا (بسطَهُ، ومَبْسُوط) بمعنى سرهُ ومسرور. ويتجنبها بعضهم متوهِّمين عاميتها وعدم فصاحتها.

٢- الاقتراح:

فصاحة قولهم: "بَسَطَه" بمعنى سره، ومَبْسُوط بمعنى مسرور، واشتقاقاتهما.

٣- التعليل:

جاء في لسان العرب: "بسيط الوجه: متهلِّل.. وإنه لَيَبْسُطني ما بسطَك أي يسرني ما يسرك. وفي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم المتعلق بفاطمة رضوان الله عليها: "يَبْسُطني ما يبسطها" أي يسرني ما يسرها، لأن الإنسان إذا سُرَّ انبسط وجهُه واستبشر".

وجاء في الوسيط: "بسط فلاناً: سرَّه، وانبسط: سُرَّ".

٤- قرار اللجنة:

فصاحة قولهم: "بَسَطَه" بمعنى سَرَّه، ومَبْسوط بمعنى مسرور، واشتقاقاتهما.

(١٢)
بَطَحَ ومُتبَطِّح ومُنْبَطِح

١ – المسألة:

يشيع في الكلام اليومي المعاصر كلمة (بطحَ) بمعنى صرعَ كما في قولهم: "بطحَ المصارعُ خصمَه"، ومتبطِّح ومُنبطح بمعنى مُستلقٍ، ويظنها بعضهم من العامية غير الفصيحة ويحاول تحاشيها.

٢ – الاقتراح:

صحة استعمال (بطحَهُ) بمعنى صرعَهُ ومشتقاتها، وصحة استعمال متبطِّح ومُنبطح بمعنى مستلقٍ على وجهه، فهي فصيحة.

٣ – التعليل:

وردت هاتان الكلمتان في المعاجم العربية القديمة والحديثة بهاتين الدلالتين:

جاء في اللسان: "بطحَه على وجهه: ألقاه على وجهه فانبطح، وتبطَّح فلان: إذا اسبطرَّ [تمدَّد] على وجهه ممتداً على وجه الأرض".

وجاء في الوسيط: "بطح فلاناً: ألقاه على وجهه. وانبطح: استلقى على وجهه، وتبطَّح: انبطح".

فليس في البناء أو الدلالة خروج على اللغة الفصيحة، وكانت بعض مصنفات التصحيح اللغوي قد أشارت إلى توهُّم عاميَّتها.

٤ – قرار اللجنة:

صحة استعمال (بطحَهُ) بمعنى صرعَهُ ومشتقاتها، وصحة استعمال متبطِّح ومُنبطح بمعنى مستلقٍ على وجهه، فهي فصيحة.

(١٣)
البَطَّال والمُتَبَطِّل

١- المسألة:

يشيع في الاستعمال كلمة (بَطَّال) بمعنى من ليس له عمل، أو هو متعطِّل عن العمل. ويخطِّئها بعضهم لأنه لم ترد لها هذه الدلالة في المعاجم القديمة، والصواب عندهم (مُتعطِّل).

٢- الاقتراح:

جواز قولهم: "البَطَّال" بمعنى (متعطِّل عن العمل)، وإضافة هذه الدلالة إلى المعجم العربي.

٣- التعليل:

جاء في لسان العرب: "بطَلَ الشيء يَبْطُل بُطْلاً وبُطولاً وبُطْلاناً: ذهب ضياعاً وخُسراً، فهو باطل. ورجلٌ بطَّال: ذو باطل، والباطل: نقيض الحق. والتبطُّل مثل البِطالة وهو اتباع الهوى والجهالة".

ولكن مما جاء في تاج العروس: "بَطَلَ الأجيرُ من حدِّ نَصر بَطالةً أي تعطَّلَ، فهو بَطَّال"، وفيه: "تعطَّلَ الرجلُ: بقيَ بلا عمل".

فالكلمة واردة على هذا البناء (فَعَّال) في تاج العروس وبالدلالة المعاصرة الشائعة.

أمَّا كلمة (المتبطِّل)، التي تعني بحسب لسان العرب من اتبع الهوى والجهالة، فإنها في الوسيط تعني (المتعطِّل عن العمل) إذ جاء في الوسيط: "بطَّلَ العامل: عطَّلَه" فاسم الفاعل (المتبطِّل) تعني المتعطِّل عن العمل.

أمَّا المصدر (بطالة) فيجوز فيه كسر الباء وفتحها.

٤- قرار اللجنة:

جواز قولهم: "البَطَّال" بمعنى (متعطِّل عن العمل)، وإضافة هذه الدلالة إلى المعجم العربي.

(١٤)

بَعيدٌ منه وعنه

١- المسألة:

يحار بعض الكتَّاب في تعدية الفعل (بَعُدَ) ومشتقاته، هل هي بـ من أم عن؟

٢- الاقتراح:

صحة قولهم: "بعيد منه وعنه" بتعدية الفعل (بَعُدَ) ومشتقاته بـ من أو عن بمعنى واحد، وقد يُعدَّى بأحرف أخرى لدلالات مغايرة مقصودة.

٣- التعليل:

أ- في القرآن الكريم:

قوله تعالى: ﴿ومَا هِيَ مِنَ الظالِمِيْن بِبَعِيْد﴾ هود:٨٣، وقوله تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ عَنْها مُبْعَدوْن﴾ الأنبياء:١٠١.

وجاء بمعنى مغاير في قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّة﴾ التوبة: ٤٢.

في المعاجم:

اللسان: :بَعُدَ: تَباعدَ.. إذا لم تكن ممن يقترب منه فتباعدْ عنه.. وقال الطرماح:

تُباعدُ منا من يُحَبُّ اجتماعه وتجمع منا بين أهل الضغائن

باعدْ وبعِّدْ معناهما واحد.

المعجم الكبير: "تباعدَ من فلان وعنه، يقال: ما أنت منا ببعيد..وقال:

عشية لا عفراء منك قريبة فتدنو ولا عفراء منك بعيدُ

الوسيط: "تبعَّدَ: تباعدَ، ويقال: تبعَّدَ منه وعنه".

ومن المعروف أن مشتقات الفعل تعدَّى بما يعدَّى به فعلها، فإذا صحَّ قولهم: بعيد منه وعنه في الصفة المشبهة، صحَّ ذلك في الفعل بَعُدَ وابتعدَ ونحوهما.

٤- قرار اللجنة:

صحة قولهم: "بعيد منه وعنه" بتعدية الفعل (بَعُدَ) ومشتقاته بـ من أو عن بمعنى واحد، وقد يُعدَّى بأحرف أخرى لدلالات مغايرة مقصودة.

(١٥)
بُكْرة وبَعْدَ بُكْرة

١- المسألة:

يشيع في الاستعمال اللغوي اليومي كلمتا (بُكْرة) بمعنى (غداً)، و(بَعْدَ بُكْرة) بمعنى (بعد غدٍ). ويخطِّئها الكثير لأنه ليس لها هذه الدلالة في المعاجم القديمة.

٢- الاقتراح:

جواز قولهم: "بُكْرة" بمعنى (غداً)، و"بَعْد بُكْرة" بمعنى (بعد غدٍ)، وإن كان الأَولى أن يقال غداً أو بعد غد، على أن تستعمل منكَّرة.

٣- التعليل:

أ- في المعاجم:

اللسان: "البُكرة: الغُدوة.. وفي التهذيب: البُكرة من الغد" وفيه أيضاً: "الغُدوة: البُكرة ما بين صلاة الغداة وطلوع الشمس.. والغَداة كالغُدوة".

تاج العروس: "البُكرة: الغُدوة.. وفي التهذيب: البُكرة من الغد. البُكرة: الغدوة".

الوسيط: "البُكرة: أول النهار إلى طلوع الشمس، والعامة يسمُّون الغد بُكرة وباكراً".

وواضح من هذا أن (بُكْرة) بمعنى (غداً) عاميَّة محدثة.

ولكن عبارة تهذيب اللغة: "البُكرة من الغد" قد توحي بأن دلالة الكلمة على الغد مما قد يكون له أصل كصلة الغداة بالغد.

في الصرف والدلالة:

لا خلاف في بناء الكلمة (فُعْلة) إذ أثبتتها المعاجم، ولكن الخلاف في دلالتها التي تطورت حتى جعلت بعض المعاجم المعاصرة وهو معجم العربية المعاصرة لأحمد مختار عمر وفريقه تُورد هذه الدلالة المحدثة لها، إذ جاء فيه: بُكْرة: ١ – غُدوة، إبكار، أول النهار إلى طلوع الشمس.

٢ – باكِر، يوم الغد، بعد بُكرة: بعد غد.

٤ – قرار اللجنة:

عدم جواز قولهم: " بُكْرة " بمعنى (غداً)، و" بَعْد بُكْرة" بمعنى (بعد غد).

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

الكتب والمجلات المهداة

إلى مكتبة مجمع اللغة العربية حتى مطلع عام ٢٠١٥

أ ـ الكتب العربية

أنور درويش(*)

- أسماء لغوية: محمد المكي بن الحسين، تحقيق: علي الرضا الحسيني، الدار درويش.
- **ألكسندر ألوف، فلاديمير ناعوموف**: مجموعة من المؤلفين، ترجمة: يونس كامل ديب، وزارة الثقافة بدمشق، ٢٠١٣، سلسلة الفن السابع (٢٣١).
- **تجريد الفن من النزعة الإنسانية**: خوسيه إي غاسيت، ترجمة جعفر العلوني، سلسلة فنون (٨)، وزارة الثقافة بدمشق، ٢٠١٣.
- **تشريح الأفلام**: برناردف. ديك، ترجمة: محمد منير الأصبحي، سلسلة الفن السابع (٢٣٤)، وزارة الثقافة بدمشق، ٢٠١٣.
- **حراس الكلمة والموقف**: حسين جمعة، اتحاد الكتاب العرب بدمشق، ٢٠١١.

(*) أمين المكتبة العربية في المجمع

- **خزف دمشق الإسلامي المحفوظ في المتحف الوطني بدمشق**: منى المؤذن، وزارة الثقافة بدمشق، ٢٠١٣.

- **دكتاتورية التباين السينمائي**: د.محمد نعيم الخيمي، سلسلة الفن السابع (٢٣٢)، وزارة الثقافة بدمشق، ٢٠١٣.

- **الرؤيا في شعر محمد الماغوط**: راجي شاهين، سلسلة دراسات في الأدب العربي (٢٨)، وزارة الثقافة بدمشق، ٢٠١٣.

- **عالم طب الأسنان لك ولعائلتك**: رشاد محمد ثابت مراد، ٢٠١٣.

- **على خطا المتنبي في أسفاره وأشعاره**: قاسم وهب، سلسلة دراسات في الأدب العربي (٢٧)، وزارة الثقافة بدمشق، ٢٠١٣.

- **في التشكيل اللغوي للشعر مقاربات في النظرية والتطبيق**: د. محمد عبدو فلفل، وزارة الثقافة بدمشق، ٢٠١٣.

- **المدافن والطقوس الجنائزية في العصورالكلاسيكية في ريف دمشق**: إبراهيم عميري، سوزان روبه، المديرية العامة للآثار والمتاحف ٢٠١٣.

- **المنثور البهائي**: أبي سعد النيرماني، تحقيق: علي كردي، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠١٣.

- **الإدارة؟ إنها ليس ما تظن**: هنري منتزبرغ، بروس آلستراد، ترجمة: وليد شحادة: (الخطة الوطنية للترجمة؛ ٩)، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠١٤.

- **أرجوزة المرأة في بلاد الشام(المُلهاة)**: محمود مفلح البكر، وزارة الثقافة، (مشروع جمع وحفظ التراث الشعبي؛ ٥٢)، دمشق، ٢٠١٤.

- **الأسطورة اليونانية**: فؤاد جرجي بربارة، وزارة الثقافة، ط٢، (سلسلة الخطة الوطنية للترجمة؛ ٦)، دمشق، ٢٠١٤.
- **الأعمال الشعرية**: توفيق أحمد، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠١٤.
- **الأعمال الكاملة**: سليمان العيسى، وزارة الثقافة، (الأعمال الكاملة؛٢٢)، ٣مجلدات، دمشق، ٢٠١٤.
- **أفريقيا في القرن العشرين**: هيلين داميدا، ترجمة: صباح ممدوح كعدان، سلسلة تاريخ العرب والعالم؛ ١١)، وزراة الثقافة، دمشق، ٢٠١٣.
- **الإمام ابن هشام الأنصاري ومنهجه في التأليف النحوي**: أيمن الشوا، (سلسلة تمكين اللغة؛ ٧)، وزراة الثقافة، دمشق، ٢٠١٣.
- **بيت الفرح** (رواية): إيدث وارتون، ترجمة: محمد منير الأصبحي، (الخطة الوطنية للترجمة؛ ٨)، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠١٤.
- **البينات الدالة على الحياة والموت في شعر فارس خضور**: مجد سليمان رزق، (دراسات أدبية؛ ١٨)، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠١٤.
- **تاريخ جبلة وآثارها**: إبراهيم يونس خير بك، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠١٤.
- **جامعة الدول العربية شرخ في مستقبل الوطن**: أنس الراهب، (قضايا راهنة؛ ١٧)، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠١٤.
- **الجمال الموسيقي**: علي القيم، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠١٤.
- **الجيوفيزياء المسلية**: غ.س. فرانتوف، ترجمة: شريف ناصر، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠١٤.

- **الحلية المفقودة: مجموعة قصصية**: غي دو موباسان، ترجمة: أنطوان موسى عرار، (سلسلة الخطة الوطنية للترجمة؛ ٧)، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠١٤.

التراث الأثري السوري: **عفيف بهنسي**: (سلسلة تاريخ سورية: دراسات ونصوص؛ ١١)، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠١٤.

- **الدليل الكامل إلى السينما الإيطالية**: هوارد هيوز، ترجمة: أكرم الحمصي، (الفن السابع؛ ٢٤٧)، وزارة الثقافة، دمشق ٢٠١٤.
- **ديوان ابن حمّاد العدوي**: علي بن حماد البصري، صنعة: حيدر محلاتي، إيران، ٢٠٠٩.
- **الديوان الشعري للأديب اسماعيل عدرة**: (الأعمال الكاملة؛ ٢٨)، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠١٤.
- **ديوان عروة بن حزام**: أحمد عكيدي، (إحياء ونشر التراث العربي؛ ١٩٤)، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠١٤.
- **ديوان علي الرضا الحسيني**: علي الرضا الحسيني، دار النوادر، ٢٠١٤.
- **رحلة مع الشعر العربي**: محمد المختار ولد أباه، مطبعة الأمنية، الرباط، ٢٠٠٩.
- **سلسلة التاريخ الإسلامي (من العصر الراشدي إلى العصر الحديث)**: سهام دعدوش، (١١مجلداً)، دمشق ٢٠٠٢.
- **سيناريو فيلم المغادرون**: ويليام موناهان، ترجمة: عهد صبيحة، (سلسلة الفن السابع؛ ٢٤١)، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠١٣.
- **سيناريو فيلم الناشزون**: آرثر ميلر، ترجمة: أحمد أمير، (الفن السابع؛ ٢٤٥)، وزارة الثقافة، ٢٠١٤.

- **شرح الأرجوزة في أحكام النجوم**: ابن قنفذ القسنطيني، تحقيق: مارك أوليبيراس، جامعة برشلونة، برشلونة، ٢٠١٢.
- **شرح المفصل**: يعيش بن علي بن يعيش، تحقيق: إبراهيم محمد عبد الله، دار سعد الدين، دمشق، ٢٠١٣.
- **شروق وظلال** (مذكرات ماري بيكفورد): ماري بيكفورد، ترجمة: أحمد عزت طه، (سلسلة الفن السابع؛ ٢٤٦)، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠١٤.
- **شعراء وقصائد من فرنسا (تراجم وترجمات)**: محمد المختار ولد أباه، مطبعة الكرامة، الرباط، ٢٠٠٨.
- **الشيخ عبد المنعم الفرطوسي**: حيدر محلاتي، المكتبة الأدبية المختصة، ١٩٩٨.
- **صاحبة النزل**: مسرحية: كارلو غولدوني، ترجمة: نبيل رضا المهايني، (الخطة الوطنية للترجمة؛ ١٠)، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠١٤.
- **الطيماوس واكريتيس**: أفلاطون، ترجمة: فؤاد جرجي بربارة، (سلسلة الخطة الوطنية للترجمة؛ ٥)، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠١٤.
- **عملية الإبداع والإدراك الفني**: مقاربة تكاملية: بوريس ملاخ، ترجمة: نزار عيون السود، (سلسلة دراسات أدبية؛ ١٦)، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠١٣.
- **الغائصون**: عبد الفتاح رواس قلعه جي، (سلسلة من المسرح؛ ٢٤)، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠١٤.
- **فكرة المخرج**: الطريق إلى البراعة في فن الأخراج: كين دانسيجر، ترجمة: محمد علام خضر، (الفن السابع؛ ٢٤٤)، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠١٤.
- **الفن التشكيلي السوري**: يارا معلا، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠١٤.

- **في طرائق تدريس اللغة العربية**: محمود السيد، جامعة دمشق، كلية التربية، دمشق ٢٠١١.
- **الفيلفيس**: أفلاطون، تحقيق: أوغست ديس، ترجمة: فؤاد جرجي بربارة، (سلسلة الخطة الوطنية للترجمة؛ ٤)، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠١٤.
- **قرى الكتلة الكلسية في شمال سوريا**: لينا قطيفان، أيمن سليمان، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠١٤.
- **قضايا معاصرة في التعليم العالي**: وائل معلا، (سلسة فكرية؛ ٩)، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠١٤.
- **على أجنحة الخيال وفي أدغال السرد**: فائزة محمد داود، (دراسات أدبية؛ ١٧)، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠١٤.
- **ابن علوية الكاتب**: حيدر المحلاتي، المكتبة الأدبية المختصة، ٢٠٠٧.
- **المدرسة المجتمعية**: صالحة سنقر، دار الفكر، ٢٠٠٥.
- **المرحلة العربية الإسلامية من تاريخ طب العيون**: نشأت الحمارنة، اكتمال رجب، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠١٤.
- **معجزة عادية: مسرحية**: يفغيني شفارتسي، ترجمة: آنا عكاش، (سلسلة مسرحيات عالمية؛ ٨)، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠١٤.
- **معجم مصطلحات الكهرباء**: إنكليزي- فرنسي: عربي سمير فلازي، مكتبة الرشاد للطباعة، الجزائر، ٢٠١٣.
- **معجم مصطلحات الكهرباء**: فرنسي– عربي: سمير فلازي، مكتبة الرشاد للطباعة، الجزائر، ٢٠١١.

- **المعجم العربي لأسماء الملابس**: رجب عبد الجواد إبراهيم، مراجعة عبد الهادي التازي، دار الآفاق العربية، القاهرة، ٢٠٠٢.
- **الموسوعة الفقهية**: (٤٥ مجلداً)، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، وزارة الأوقاف، الكويت، ٢٠٠٨.
- **الواقع العربي والتحديات الكبرى**: محمد صالح الهرماسي، (دراسات فكرية؛ ١٠)، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠١٤.
- **الوجيز في تاريخ النيوليبرالية**: ديفيد هارفي، ترجمة: وليد شحادة، (سلسلة دراسات فكرية؛ ٨)، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠١٣.

ب- الكتب الأجنبية

ربى المعدني(*)

Books:

- Indigenous Use and Management of Marine Resources/ Nobuhiro Kishigami, James M.Savelle.
- Reconquista/ Françis Dessart.
- Larousse: Dictionnaire (A-F) (F-A)/ Daniel Reig.
- AL-Mughni AL-Kabir Dictionary (E-A)/ Hasan S.Karmi.

(*) أمينة المكتبة الأجنبية في المجمع.

- Dictionary of the Symbolism Selected Flowers and Plants/ Effat AL-Qadi Bacha.
- Oxford Advanced Learner's Dictionary.

- المورد المرئي: معجم موسوعي (عربي- إنكليزي- فرنسي- إسباني) / روحي البعلبكي.

Periodicals:

- Journal of Asian and African Studies, No.84, 2012.
- Le Muséon: Joural of Oriental Studies, Tome 127, Fas.1-2, 2014.
- AWRAQ, N.7, 2013.
- IBLA: Revue de L'Institut des Belle-Lettres Arabes, 76 Année, N. 211, 2013-1.

❁ ❁ ❁ ❁ ❁

[١]

أعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق

في مطلع عام (١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م)

أ – الأعضاء

	تاريخ دخول المجمع
الدكتور محمد هيثم الخياط	١٩٧٦
الدكتور محمد مروان المحاسني «رئيس المجمع»	١٩٧٩
الدكتور عبد الله واثق شهيد	١٩٨٨
الدكتور محمود السيد «نائب رئيس المجمع»	٢٠٠١
الدكتور محمد مكي الحسني «أمين المجمع»	٢٠٠١
الأستاذ شحادة الخوري	٢٠٠٢
الدكتور موفق دعبول	٢٠٠٢
الدكتور مازن المبارك	٢٠٠٦
الدكتور أنور الخطيب	٢٠٠٨

	تاريخ دخول المجمع
الدكتور ممدوح خسارة	٢٠٠٨
الأستاذ مروان البواب	٢٠٠٨
الدكتور عمر شابسيغ	٢٠٠٨
الدكتور محمد محفل	٢٠٠٨
الدكتور عيسى العاكوب	٢٠٠٨
الدكتورة لبانة مشوح	٢٠٠٨
الدكتور عبد الإله نبهان	٢٠٠٨
الدكتور هاني رزق	٢٠١٠
الدكتور أحمد قدور	٢٠١٠
الدكتور محمد سعيد الصفدي	٢٠١٠

ب- الأعضاء المراسلون في البلدان العربية (*)

	تاريخ دخول المجمع
المملكة الأردنية الهاشمية	
الدكتور ناصر الدين الأسد	١٩٦٩
الدكتور عبد الكريم خليفة «رئيس المجمع»	١٩٨٦
الدكتور محمود السمرة	١٩٨٦
الدكتور نشأت حمارنة	٢٠٠٢
الدكتور عدنان بخيت	٢٠٠٢
الدكتور علي محافظة	٢٠٠٢
الجمهورية التونسية	
الدكتور رشاد حمزاوي	١٩٨٦
الأستاذ أبو القاسم محمد كرو	١٩٩٣
الدكتور إبراهيم شبوح	١٩٩٣
الدكتور إبراهيم بن مراد	١٩٩٣
الدكتور عبد الوهاب بوحديبة «رئيس بيت الحكمة»	٢٠٠٠
الدكتور عبد السلام المسدّي	٢٠٠٢
الدكتور عبد اللطيف عبيد	٢٠٠٢

	تاريخ دخول المجمع
الجمهورية الجزائرية	
الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي	١٩٧٢
الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح «رئيس المجمع»	١٩٧٧
الدكتور عبد الملك مرتاض	٢٠٠٢
الدكتور العربي ولد خليفة	٢٠٠٢
الدكتور صالح بلعيد	٢٠٠٧
المملكة العربية السعودية	
الدكتور أحمد محمد الضبيب	٢٠٠٠
الدكتور عبد الله صالح العثيمين	٢٠٠٠
الدكتور عبد الله الغذامي	٢٠٠٠
الدكتور عوض القوزي	٢٠٠٠
الدكتور عبد الله بن الرحيم عسيلان	٢٠٠٧
جمهورية السودان	
الأستاذ علي أحمد بابكر «رئيس المجمع»	٢٠٠٧

(*) ذكرت الأقطار وفقًا للترتيب الهجائي، والأسماء وفقًا للترتيب الزمني.

	تاريخ دخول المجمع
الجمهورية العربية السورية	
الدكتور عمر الدقاق	١٩٩٢
الدكتور أحمد دهمان	٢٠٠٠
الدكتور عدنان حموي	٢٠٠٠
الدكتور عدنان درويش	٢٠٠٠
الدكتور عمر موسى باشا	٢٠٠٠
الدكتور محمد مراياتي	٢٠٠٠
الدكتور محمود فاخوري	٢٠٠٠
الدكتور رضوان الداية	٢٠٠٢
الدكتور صلاح كزارة	٢٠٠٢
الدكتور عبد الكريم رافق	٢٠٠٢
الدكتور علي أبو زيد	٢٠٠٢
الدكتور علي عقلة عرسان	٢٠٠٢
الدكتورة فاتن محجازي	٢٠٠٢
الدكتور محمد حسان الطيان	٢٠٠٢
الدكتور محمود الربداوي	٢٠٠٢
الدكتور يحيى مير علم	٢٠٠٢
الدكتور أحمد الحاج سعيد	٢٠٠٧
الدكتور صادق فرعون	٢٠٠٧
الدكتور عبد الحليم منصور	٢٠٠٧
الدكتور عماد الصابوني	٢٠٠٧

	تاريخ دخول المجمع
الجمهورية العراقية	
الدكتور ناجح الراوي	٢٠٠٠
الدكتور أحمد مطلوب «رئيس المجمع»	٢٠٠٠
الدكتور محمود حياوي حماش	٢٠٠٢
الدكتور بشار عواد معروف	٢٠٠٢
الدكتور داخل حسن جريو	٢٠٠٧
الدكتور علي القاسمي	٢٠٠٧
الدكتور صلاح مهدي الفرطوسي	٢٠٠٧
فلسطين	
الدكتور أحمد حسن حامد «رئيس المجمع»	٢٠٠٧
الكويت	
الدكتور عبد الله غنيم	١٩٩٣
الدكتور علي الشملان	٢٠٠٠
الدكتور سليمان العسكري	٢٠٠٠
الدكتور سليمان الشطي	٢٠٠٠
الأستاذ عبد العزيز البابطين	٢٠٠٢
الجمهورية اللبنانية	
الدكتور فريد سامي الحداد	١٩٧٢
الدكتور عز الدين البدوي النجار	٢٠٠٠
الدكتور أحمد شفيق الخطيب	٢٠٠٢
الدكتور جورج عبد المسيح	٢٠٠٢

تاريخ دخول المجمع	
الجماهيرية الليبية	
الدكتور محمد أحمد الشريف	١٩٩٣
جمهورية مصر العربية	
الدكتور رشدي الراشد	١٩٨٦
الأستاذ وديع فلسطين	١٩٨٦
الدكتور كمال بشر	١٩٩٢
الدكتور محمود علي مكي	١٩٩٣
الأستاذ مصطفى حجازي	١٩٩٣
الأستاذ محمود فهمي حجازي	١٩٩٣
الدكتور جابر عصفور	٢٠٠٠
الدكتور حسين نصار	٢٠٠٢
الدكتور عبد الحافظ حلمي	٢٠٠٠

تاريخ دخول المجمع	
الدكتور فاروق شوشة «أمين المجمع»	٢٠٠٢
الدكتورة وفاء كامل فايد	٢٠٠٢
الدكتور نبيل علي	٢٠٠٧
المملكة المغربية	
الدكتور عبد الهادي التازي	١٩٨٦
الدكتور محمد بن شريفة	١٩٨٦
الدكتور عباس الجراري	١٩٩٣
الدكتور عبد اللطيف بربيش	٢٠٠٠
الأستاذ عبد القادر زمامة	٢٠٠٢
الدكتور الشاهد البوشيخي	٢٠٠٢
الجمهورية العربية اليمنية	
الدكتور عبد العزيز مقالح	٢٠٠٠

ج- الأعضاء المراسلون في البلدان الأخرى

	تاريخ دخول المجمع
أُزبكستان	
الدكتور نعمة الله إبراهيموف	١٩٩٣
إسبانية	
الدكتور خيسوس ريو ساليدو	١٩٩٢
ألمانية	
الدكتور رودلف زلهايم	١٩٩٢
الدكتور فولف ديتريش فيشر	٢٠٠٢
إيران	
الدكتور فيروز حريرجي	١٩٨٦
الدكتور محمد باقر حجتي	١٩٨٦
الدكتور مهدي محقق	١٩٨٦
الدكتور محمد علي آذر شب	٢٠٠٢
الدكتور محمد علي التسخيري	٢٠٠٢
الدكتور محمد مهدي الآصفي	٢٠٠٢
باكستان	
الدكتور أحمد خان	١٩٩٣
البوسنة والهرسك	
الدكتور أسعد دراكوفيتش	٢٠٠٢
الدكتور فتحي مهدي	٢٠٠٢
الدكتور محمد أرناؤوط	٢٠٠٢
تركية	
الدكتور فؤاد سزكين	١٩٧٧
الدكتور أكمل الدين إحسان أوغلو	١٩٨٦
رومانية	
الدكتور نيقولا دوبريشان	٢٠٠٢
الصين	
الأستاذ عبد الرحمن ناجونغ	١٩٨٥
الدكتورة أمل قوه شوه هوه	٢٠٠٧
فرنسة	
الأستاذ أندره ميكيل	١٩٨٦
الأستاذ جاك لانغاد	١٩٩٣
الأستاذ جورج بوهاس	١٩٩٣
الأستاذ جيرار تروبو	١٩٩٣
الهند	
الدكتور محمد أجمل أيوب الإصلاحي	٢٠٠٢

[٢]

أعضاءُ مجمعِ اللغةِ العربيَّةِ بدمشق الراحلونَ

أ- رؤساء المجمع الراحلون

رئيس المجمع	مدة تولِّيه رئاسة المجمع
الأستاذ محمد كرد علي	(١٩١٩ - ١٩٥٣)
الأستاذ خليل مردم بك	(١٩٥٣ - ١٩٥٩)
الأمير مصطفى الشهابي	(١٩٥٩ - ١٩٦٨)
الدكتور حسني سبح	(١٩٦٨ - ١٩٨٦)
الدكتور شاكر الفحام	(١٩٨٦ - ٢٠٠٨)

ب– أعضاء مجمع اللغة العربية الراحلون

١– الأعضاء

	تاريخ الوفاة
الشيخ طاهر السمعوني الجزائري	١٩٢٠
الأستاذ إلياس قدسي	١٩٢٦
الأستاذ سليم البخاري	١٩٢٨
الأستاذ مسعود الكواكبي	١٩٢٩
الأستاذ أنيس سلوم	١٩٣١
الأستاذ سليم عنحوري	١٩٣٣
الأستاذ متري قندلفت	١٩٣٣
الشيخ سعيد الكرمي	١٩٣٥
الشيخ أمين سويد	١٩٣٦
الأستاذ عبد الله رعد	١٩٣٦
الشيخ عبد الرحمن سلام	١٩٤١
الأستاذ رشيد بقدونس	١٩٤٣
الأستاذ أديب التقي	١٩٤٥
الشيخ عبد القادر المبارك	١٩٤٥
الأستاذ معروف الأرناؤوط	١٩٤٨
الدكتور جميل الخاني	١٩٥١
الأستاذ محسن الأمين	١٩٥٢
الأستاذ محمد كرد علي «رئيس المجمع»	١٩٥٣
الأستاذ سليم الجندي	١٩٥٥
الأستاذ محمد البزم	١٩٥٥
الشيخ عبد القادر المغربي «نائب رئيس المجمع»	١٩٥٦
الأستاذ عيسى إسكندر المعلوف	١٩٥٦
الأستاذ خليل مردم بك «رئيس المجمع»	١٩٥٩
الدكتور مرشد خاطر	١٩٦١
الأستاذ فارس الخوري	١٩٦٢
الأستاذ عز الدين التنوخي «نائب رئيس المجمع»	١٩٦٦
الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي «رئيس المجمع»	١٩٦٨
الأمير جعفر الحسني «نائب رئيس المجمع»	١٩٧٠
الدكتور سامي الدهان	١٩٧١
الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي	١٩٧٢
الأستاذ عارف النكدي	١٩٧٥
الأستاذ محمد بهجة البيطار	١٩٧٦
الدكتور جميل صليبا	١٩٧٦

	تاريخ الوفاة
الدكتور أسعد الحكيم	١٩٧٩
الأستاذ شفيق جبري	١٩٨٠
الدكتور ميشيل الخوري	١٩٨٠
الأستاذ محمد المبارك	١٩٨١
الدكتور حكمة هاشم	١٩٨٢
الأستاذ عبد الكريم زهور عدي	١٩٨٥
الدكتور شكري فيصل «أمين المجمع»	١٩٨٥
الدكتور محمد كامل عياد	١٩٨٦
الدكتور حسني سبح «رئيس المجمع»	١٩٨٦
الأستاذ عبد الهادي هاشم	١٩٨٨
الأستاذ أحمد راتب النفاخ	١٩٩٢
الأستاذ المهندس وجيه السمان	١٩٩٢
الدكتور عدنان الخطيب «أمين المجمع»	١٩٩٥
الدكتور مسعود بوبو	١٩٩٩
الدكتور محمد بديع الكسم	٢٠٠٠
الدكتور أمجد الطرابلسي	٢٠٠١

	تاريخ الوفاة
الدكتور مختار هاشم	٢٠٠٢
الدكتور عبد الوهاب حومد	٢٠٠٢
الدكتور عادل العوا	٢٠٠٢
الأستاذ محمد عاصم بيطار	٢٠٠٥
الدكتور عبد الحليم سويدان	٢٠٠٦
الدكتور محمد عبد الرزاق قدورة	٢٠٠٧
الدكتور شاكر الفحّام «رئيس المجمع»	٢٠٠٨
الدكتور عبد الكريم اليافي	٢٠٠٨
الأستاذ جورج صدقني	٢٠١٠
الدكتور محمد زهير البابا	٢٠١١
الدكتور عبد الكريم الأشتر «عضو شرف في ٢٠١١»	٢٠١١
الدكتور محمد إحسان النّص «نائب رئيس المجمع»	٢٠١٢
الدكتور محمد عزيز شكري	٢٠١٢
الدكتورة ليلى الصّباغ	٢٠١٣
الأستاذ الشاعر سليمان العيسى	٢٠١٣

٢- الأعضاء المراسلون الراحلون من الأقطار العربية (*)

المملكة الأردنية الهاشمية

الأستاذ محمد الشريقي	١٩٧٠
الدكتور محمود إبراهيم	١٩٩٩
الدكتور سامي خلف حمارنة	٢٠١٠

الجمهورية التونسية

الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب	١٩٦٨
الأستاذ محمد الفاضل ابن عاشور	١٩٧٠
الأستاذ محمد الطاهر ابن عاشور	١٩٧٣
الأستاذ عثمان الكعاك	١٩٧٦
الدكتور سعد غراب	١٩٩٥
الدكتور سليم عمّار	١٩٩٩
الدكتور محمد السويسي	٢٠٠٧
الدكتور صالح الجابري	٢٠٠٩
الأستاذ محمد المزالي	٢٠١٠
الدكتور محمد الحبيب بلخوجة	٢٠١٢

الجمهورية الجزائرية

الشيخ محمد بن أبي شنب	١٩٢٩
الأستاذ محمد البشير الإبراهيمي	١٩٦٥
الأستاذ محمد العيد محمد علي خليفة	١٩٧٩
الأستاذ مولود قاسم	١٩٩٢
الأستاذ صالح الخرفي	١٩٩٨
الدكتور أبو القاسم سعد الله	٢٠١٣

المملكة العربية السعودية

الأستاذ خير الدين الزركلي	١٩٧٦
الأستاذ عبد العزيز الرفاعي	١٩٩٣
الأستاذ حمد الجاسر	٢٠٠٠
الأستاذ حسن عبد الله القرشي	٢٠٠٤
الأستاذ عبد الله بن خميس	٢٠١١

جمهورية السودان

الشيخ محمد نور الحسن	١٩٧٠
الدكتور محيي الدين صابر	٢٠٠٣
الدكتور عبد الله الطيب	٢٠٠٣
الأستاذ حسن فاتح قريب الله	٢٠٠٥
الأستاذ سر الختم الخليفة	٢٠٠٦

الجمهورية العربية السورية

الدكتور صالح قنباز	١٩٢٥
الأب جرجس شلحت	١٩٢٨

(*) ذكرت الأقطار وفقًا للترتيب الهجائي، والأسماء وفقًا للترتيب الزمني.

الأب جرجس منش ١٩٣٣
الأستاذ جميل العظم ١٩٣٣
الشيخ كامل الغزي ١٩٣٣
الأستاذ جبرائيل رباط ١٩٣٥
الأستاذ ميخائيل الصقال ١٩٣٨
الأستاذ قسطاكي الحمصي ١٩٤١
الشيخ سلمان الأحمد ١٩٤٢
الشيخ بدر الدين النعساني ١٩٤٣
الأستاذ ادوارد مرقص ١٩٤٨
الأستاذ راغب الطباخ ١٩٥١
الشيخ عبد الحميد الجابري ١٩٥١
الشيخ محمد زين العابدين ١٩٥١
الشيخ عبد الحميد الكيالي ١٩٥٦
الشيخ محمد سعيد العرفي ١٩٥٦
البطريرك مار اغناطيوس افرام ١٩٥٧
المطران ميخائيل بخاش ١٩٥٨
الأستاذ نظير زيتون ١٩٦٧
الدكتور عبد الرحمن الكيالي ١٩٦٩
الأستاذ محمد سليمان الأحمد «بدوي الجبل» ١٩٨١
الأستاذ عمر أبو ريشة ١٩٩٠
الدكتور شاكر مصطفى ١٩٩٧
الدكتور قسطنطين زريق ٢٠٠٠
الدكتور خالد الماغوط ٢٠٠٠
الأستاذ عبد المعين الملوحي ٢٠٠٦
الدكتور عبد السلام الترمانيني ٢٠٠٦
الدكتور عبد السلام العجيلي ٢٠٠٦
الدكتور عبد الله عبد الدايم ٢٠٠٨
الدكتور صلاح الدين المنجد ٢٠١٠
الدكتور عدنان تكريتي ٢٠١١
الأستاذ مدحة عكاش ٢٠١١
قداسة البطريرك ماراغناطيوس زكا الأول عيواص ٢٠١٤
الدكتور برهان العابد ٢٠١٤

الجمهورية العراقية

الأستاذ محمود شكري الآلوسي ١٩٢٤
الأستاذ جميل صدقي الزهاوي ١٩٣٦
الأستاذ معروف الرصافي ١٩٤٥
الأستاذ طه الراوي ١٩٤٦
الأب انستاس ماري الكرملي ١٩٤٧
الدكتور داود الجلبي الموصلي ١٩٦٠
الأستاذ طه الهاشمي ١٩٦١
الأستاذ محمد رضا الشبيبي ١٩٦٥
الأستاذ ساطع الحصري ١٩٦٩
الأستاذ منير القاضي ١٩٦٩

الدكتور مصطفى جواد ١٩٦٩
الأستاذ عباس العزاوي ١٩٧١
الأستاذ كاظم الدجيلي ١٩٧٢
الأستاذ كمال إبراهيم ١٩٧٣
الدكتور عبد العزيز الدوري ١٩٧٣
الدكتور ناجي معروف ١٩٧٧
البطريرك اغناطيوس يعقوب الثالث ١٩٨٠
الدكتور عبد الرزاق محيي الدين ١٩٨٣
الدكتور إبراهيم شوكة ١٩٨٣
الدكتور فاضل الطائي ١٩٨٣
الدكتور سليم النعيمي ١٩٨٤
الأستاذ طه باقر ١٩٨٤
الدكتور صالح مهدي حنتوش ١٩٨٤
الأستاذ أحمد حامد الصراف ١٩٨٥
الدكتور أحمد عبد الستار الجواري ١٩٨٨
الدكتور جميل سعيد ١٩٩٠
الأستاذ كوركيس عواد ١٩٩٢
الشيخ محمد بهجة الأثري ١٩٩٦
الأستاذ محمود شيت خطاب ١٩٩٨
الدكتور فيصل دبدوب ١٩٩٨
الدكتور إبراهيم السامرائي ٢٠٠١
الدكتور محمد تقي الحكيم ٢٠٠٢
الدكتور صالح أحمد العلي ٢٠٠٣
الدكتور عبد العزيز البسام ٢٠٠٥
الدكتور جميل الملائكة ٢٠٠٥
الدكتور عبد اللطيف البدري ٢٠٠٦
الدكتور حسين علي محفوظ ٢٠٠٩
الأستاذ هلال ناجي ٢٠١١
الدكتور محمود الجليلي ٢٠١١
الدكتور يوسف عز الدين ٢٠١٣

فلسطين

الأستاذ نخلة زريق ١٩٢١
الشيخ خليل الخالدي ١٩٤١
الأستاذ عبد الله مخلص ١٩٤٧
الأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي ١٩٤٨
الأستاذ خليل السكاكيني ١٩٥٣
الأستاذ عادل زعيتر ١٩٥٧
الأب أوغسطين مرمرجي الدومنيكي ١٩٦٣
الأستاذ قدري حافظ طوقان ١٩٧١
الأستاذ أكرم زعيتر ١٩٩٦
الدكتور إحسان عباس ٢٠٠٣
الأستاذ أحمد صدقي الدجاني ٢٠٠٣
الدكتور إدوارد سعيد ٢٠٠٣

الكويت

الدكتور خالد عبد الكريم جمعة ٢٠١٣

الجمهورية اللبنانية

الأستاذ حسن بيهم	١٩٢٥
الأب لويس شيخو	١٩٢٧
الأستاذ عباس الأزهري	١٩٢٧
الأستاذ عبد الباسط فتح الله	١٩٢٩
الشيخ عبد الله البستاني	١٩٣٠
الأستاذ جبر ضومط	١٩٣٠
الأستاذ أمين الريحاني	١٩٤٠
الأستاذ جرجي يني	١٩٤١
الشيخ مصطفى الغلاييني	١٩٤٥
الأستاذ عمر الفاخوري	١٩٤٦
الأستاذ بولس الخولي	١٩٤٨
الشيخ إبراهيم المنذر	١٩٥١
الشيخ أحمد رضا (العاملي)	١٩٥٣
الأستاذ فيليب طرزي	١٩٥٦
الشيخ فؤاد الخطيب	١٩٥٧
الدكتور نقولا فياض	١٩٥٨
الأستاذ سليمان ظاهر	١٩٦٠
الأستاذ مارون عبود	١٩٦٢
الأستاذ بشارة الخوري «الأخطل الصغير»	١٩٦٨
الأستاذ أمين نخلة	١٩٧٦
الأستاذ أنيس مقدسي	١٩٧٧
الأستاذ محمد جميل بيهم	١٩٧٨
الدكتور صبحي المحمصاني	١٩٨٦
الدكتور عمر فرّوخ	١٩٨٧
الأستاذ عبد الله العلايلي	١٩٩٦
الدكتور نقولا زيادة	٢٠٠٦
الدكتور محمد يوسف نجم	٢٠٠٩

الجماهيرية العربية الليبية

الأستاذ علي الفقيه حسن	١٩٨٥
الدكتور علي فهمي خشيم «رئيس المجمع»	٢٠١١

جمهورية مصر العربية

الأستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي	١٩٢٤
الأستاذ رفيق العظم	١٩٢٥
الأستاذ يعقوب صروف	١٩٢٧
الأستاذ أحمد تيمور	١٩٣٠
الأستاذ أحمد كمال	١٩٣٢
الأستاذ حافظ إبراهيم	١٩٣٢
الأستاذ أحمد شوقي	١٩٣٢
الأستاذ داود بركات	١٩٣٣
الأستاذ أحمد زكي باشا	١٩٣٤
الأستاذ محمد رشيد رضا	١٩٣٥
الأستاذ أسعد خليل داغر	١٩٣٥
الأستاذ مصطفى صادق الرافعي	١٩٣٧

الأستاذ أحمد الإسكندري ١٩٣٨
الدكتور أمين المعلوف ١٩٤٣
الشيخ عبد العزيز البشري ١٩٤٣
الأمير عمر طوسون ١٩٤٤
الدكتور أحمد عيسى ١٩٤٦
الشيخ مصطفى عبد الرازق ١٩٤٧
الأستاذ أنطون الجميل ١٩٤٨
الأستاذ خليل مطران ١٩٤٩
الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني ١٩٤٩
الأستاذ محمد لطفي جمعة ١٩٥٣
الدكتور أحمد أمين ١٩٥٤
الأستاذ عبد الحميد العبادي ١٩٥٦
الشيخ محمد الخضر حسين ١٩٥٨
الدكتور عبد الوهاب عزام ١٩٥٩
الدكتور منصور فهمي ١٩٥٩
الأستاذ أحمد لطفي السيد ١٩٦٣
الأستاذ عباس محمود العقاد ١٩٦٤
الأستاذ خليل ثابت ١٩٦٤
الأمير يوسف كمال ١٩٦٦
الأستاذ أحمد حسن الزيات ١٩٦٨
الدكتور طه حسين ١٩٧٣
الدكتور أحمد زكي ١٩٧٥
الأستاذ حسن كامل الصيرفي ١٩٨٤
الأستاذ محمد عبد الغني حسن ١٩٨٥
الأستاذ محمود محمد شاكر ١٩٩٧
الأستاذ إبراهيم الترزي ٢٠٠٢
الدكتور عبد القادر القط ٢٠٠٣
الدكتور أحمد مختار عمر ٢٠٠٣
الدكتور شوقي ضيف ٢٠٠٦
الدكتور عز الدين إسماعيل ٢٠٠٧
الدكتور محمود حافظ ٢٠١١
«رئيس المجمع»

المملكة المغربية

الأستاذ محمد الحجوي ١٩٥٦
الأستاذ عبد الحي الكتاني ١٩٦٢
الأستاذ علال الفاسي ١٩٧٣
الأستاذ عبد الله كنُّون ١٩٨٩
الأستاذ محمد الفاسي ١٩٩١
الأستاذ محمد المكي الناصري ١٩٩٤
الأستاذ عبد الرحمن الفاسي ٢٠٠١
الأستاذ عبد الوهاب بن منصور ٢٠٠٨
الدكتور أمين علي السيد ٢٠٠٨
الأستاذ الأخضر الغزال ٢٠٠٨
الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله ٢٠١٢

الجمهورية العربية اليمنية

القاضي إسماعيل بن علي الأكوع ٢٠٠٨

٣- الأعضاء المراسلون الراحلون من البلدان الأخرى

	تاريخ الوفاة
الاتحاد السوفييتي «سابقاً»	
الأستاذ كراتشكوفسكي (أغناطيوس)	١٩٥١
الأستاذ برتل (ايفكني ادواردوفيتش)	١٩٥٧
الدكتور غريغوري شرباتوف	٢٠٠٦
إسبانية	
الأستاذ آسين بلاسيوس (ميكل)	١٩٤٤
الأستاذ اميليو غارسيا غومز	١٩٩٥
ألمانية	
الأستاذ هارتمان (مارتين)	١٩٢٨
الأستاذ ساخاو (إدوارد)	١٩٣٠
الأستاذ هوروفيتز (يوسف)	١٩٣١
الأستاذ هوميل (فبريتز)	١٩٣٦
الأستاذ ميتفوخ (أوجين)	١٩٤٢
الأستاذ هرزفلد (أرنست)	١٩٤٨
الأستاذ فيشر (أوغست)	١٩٤٩
الأستاذ بروكلمان (كارل)	١٩٥٦
الأستاذ هارتمان (ريتشارد)	١٩٦٥
الدكتور ريتر (هلموت)	١٩٧١

	تاريخ الوفاة
إيران	
الشيخ أبو عبد الله الزنجاني	١٩٤٧
الأستاذ عباس إقبال	١٩٥٥
الدكتور علي أصغر حكمة	١٩٨١
الدكتور محمد جواد مشكور	١٩٩٥
الدكتور هادي معرفت	٢٠٠٧
إيطالية	
الأستاذ غريفيني (اوجينيو)	١٩٢٥
الأستاذ كايتاني (ليون)	١٩٢٦
الأستاذ غويدي (اغنازيو)	١٩٣٥
الأستاذ نلّينو (كارلو)	١٩٣٨
الأستاذ غبرييلّي (فرنسيسكو)	١٩٩٦
باكستان	
الأستاذ محمد يوسف البنوري	١٩٧٧
الأستاذ عبد العزيز الميمني الراجكوتي	١٩٧٨
الأستاذ محمد صغير حسن المعصومي	١٩٩٦
الأستاذ محمود أحمد غازي الفاروقي	٢٠١٠

	تاريخ الوفاة
البرازيل	
الدكتور سعيد أبو جمرة	١٩٥٤
الأستاذ رشيد سليم الخوري (الشاعر القروي)	١٩٨٤
البرتغال	
الأستاذ لويس (دافيد)	١٩٤٢
بريطانية	
الأستاذ إدوارد (براون)	١٩٢٦
الأستاذ بفن (أنطوني)	١٩٣٣
الأستاذ مرغليوث (د.س.)	١٩٤٠
الأستاذ كرينكو (فريتز)	١٩٥٣
الأستاذ غليوم (ألفريد)	١٩٦٥
الأستاذ اربري (أ.ج.)	١٩٦٩
الأستاذ جيب (هاملتون أ.ر.)	١٩٧١
بولونية	
الأستاذ (كوفالسكي)	١٩٤٨
تركية	
الأستاذ أحمد اتش	
الأستاذ زكي مغامز	١٩٣٢
تشكوسلوفاكية «سابقاً»	
الأستاذ موزل (ألوا)	١٩٤٤

	تاريخ الوفاة
الدانمرك	
الأستاذ بوهل (فرانز)	١٩٣٢
الأستاذ استروب (يحيى)	١٩٣٨
الأستاذ بدرسن (جون)	١٩٧٤
السويد	
الأستاذ سيترستين (ك.ف.)	١٩٥٣
الأستاذ ديدرينغ سفن	١٩٨٦
سويسرة	
الأستاذ مونتة (إدوارد)	١٩٢٧
الأستاذ هيس (ح.ح.)	١٩٤٩
فرنسة	
الأستاذ باسيه (رينه)	١٩٢٤
الأستاذ مالانجو	١٩٢٦
الأستاذ هوار (كليمان)	١٩٢٧
الأستاذ غي (أرثور)	١٩٢٨
الأستاذ ميشو (بلير)	١٩٢٩
الأستاذ بوفا (لوسيان)	١٩٤٢
الأستاذ فران (جبريل)	١٩٥٣
الأستاذ مارسيه (وليم)	١٩٥٦
الأستاذ دوسو (رينه)	١٩٥٨
الأستاذ ماسينيون (لويس)	١٩٦٢
الأستاذ ماسيه (هنري)	١٩٧٠

	تاريخ الوفاة
الدكتور بلاشير (ريجيس)	١٩٧٣
الأستاذ كولان (جورج)	
الأستاذ لاوست (هنري)	١٩٨٣
الأستاذ نيكيتا إيلييسف	١٩٩٧
فنلندة	
الأستاذ كرسيكو (يوحنا اهتنن)	
المجر	
الأستاذ غولدزيهر (أغناطيوس)	١٩٢١
الأستاذ ماهلر (إدوارد)	
الأستاذ عبد الكريم جرمانوس	١٩٧٩
النروج	
الأستاذ موبرج	
النمسا	
الدكتور اشتولز (كارل)	
الأستاذ جير (رودلف)	١٩٢٩
الدكتور موجيك (هانز)	١٩٦١

	تاريخ الوفاة
الهند	
الحكيم محمد أجمل خان	١٩٢٧
الأستاذ آصف علي أصغر فيضي	١٩٨١
الأستاذ أبو الحسن علي الحسني الندوي	١٩٩٩
الدكتور عبد الحليم الندوي	٢٠٠٥
الدكتور مختار الدين أحمد	٢٠١٠
هولندة	
الأستاذ هورغرونج (سنوك)	١٩٣٦
الأستاذ هوتسما (مارتينوس تيودوروس)	١٩٤٣
الأستاذ اراندونك (ك. فان)	١٩٤٧
الأستاذ شخت (يوسف)	١٩٧٠
الولايات المتحدة الأمريكية	
الدكتور مكدونالد (ب)	١٩٤٣
الأستاذ هرزفلد (ارنست)	١٩٤٨
الأستاذ سارطون (جورج)	١٩٥٦
الدكتور ضودج (بيارد)	١٩٧١

((استدراك))

- **سقطت الصفحة ١١٩١ من الجزء (٨٧/ ٤) سهواً في المطبعة، وهذا مضمونها:**

(٤٩)

مَوقُوتٌ ومُوَقَّتٌ ووَقتِيٌّ

(حُكُومَةٌ مُوَقَّتَةٌ ووقتِيَّةٌ)

١- المسألة:

يشيع في الاستعمال الإداري خاصة كلمات (مُوَقَّتٌ ومُؤقَّتٌ ومَوقُوتٌ ووَقْتيٌّ). ويُخطِّئُ بعضهم استعمال كلمتي "مُؤَقَّتٌ" (بالهمزة) و"وَقتِيٌّ" (على النسب) والصواب عندهم: "مَوقُوتٌ ومُوقَّتٌ".

٢- الاقتراح:

صحة استعمال: "مُوَقَّتٌ ومَوقُوتٌ ووَقْتيٌّ" وجواز استعمال "مؤَّقتٌ" بالهمزة.

٣- التعليل:

جاء في اللسان "الوَقتُ: مِقدَارٌ من الزَّمانِ . وكلُّ شيءٍ قدَّرت له حيناً فهو مُوَقَّتٌ.. ووَقْتٌ مَوقُوتٌ ومُوقّتٌ: محدود .. ووقَّتَ الشيءَ يُوقِّتهُ، ووَقتَهُ يَقِتُهُ إذا بيَّن حدَّهُ. فنقول: وَقَتَهُ فهو مُوقُوتٌ إذا بيَّن للفعلِ وَقتاً يُفعَلُ فيه. وأُقِّتَتْ بالهمزة، لغة. مثل: وُجُوهٌ وأُجُوهٌ، وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾ [المرسلات: ١١]، اجتمع القُرّاء على همزها، وهي في قراءة عبدالله (وُقِّتَتْ)، وقرأها أبو جعفر (وُقِتَتْ) خفيفة بالواو. وإنَّما هُمِزت لأنَّ الواو إذا كانت أول حرف وضُمَّت هُمِزت، يقال: هذه أجُوهٌ حسانٌ، لأنَّ ضمة الواو ثقيلة. وليس في اللسان (أَقَتَ).